وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية / كلية الآداب

قسم علم الاجتماع

الِهبات العينية في مدينة بغداد

دراسة انثرويولوجية في المادية الثقافية

أطروحة تقدم بها

حيدر علي حسن

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل

درجة دكتوراه فلسفة آداب في علم الاجتماع

بإشراف

الأستاذ الدكتور

بسمة رحمن عودة

١٤٤٣هـ ٢٠٢١ م

{ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء }

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

سورة آل عمران الآية ﴿٣٨﴾

الإهـداء

الى روح والدي ...

والدتي ...

زوجتي ...

أولادي ...

فاطمة

(ابا الحسن)

أحمد

شكر وتقدير

بعد الحمد والشكر لله تعالى لما أنعمه عليّ في اتمام هذه الرسالة، أتوجه بخالص شكري وتقديري وامتناني الى الاستاذ الدكتور **بسمة** رحمن عودة التي تفضلت بقبول الإشراف على هذه الاطروحة، إذ كان لتوجيهها وإرشادها ومتابعتها لي الدور الكبير والاثر الواضح في أن تكون هذه الدراسة بالشكل الذي أنتهت اليه،فجزاها الله عني كل الخير.

وأتقدم بشكري وإمتناني الى أساتذة قسم علم الاجتماع جميعهم في كلية الآداب جامعة القادسية، لما قدّموه لي من معلومات قيمة خلال السنة الدراسية التحضيرية ،التي أعانتني على إنجاز هذه الدراسة، وأقدم خالص الامتنان والتقدير اليهم جميعاً ولا سيَّما الاستاذ الدكتور نبيل عمران، ويسعدني ويشرفني أن أقدم شكري وأعتزازي لأستاذي الدكتور ياس العباسي والدكتور علي زيدان والدكتور مشحن عبد زيد وكل أساتذتي الذين أعانوني وقدموا لي العون، والدكتورة الرائعة المترجمة خالدة حامد، وصديقي الدكتور كرار ناصر.

وأتقدم بالشكر الجزيل الى مجتمع الدراسة في منطقة الزعفرانية الذين قدموا لي المساعدة في انجاز دراستي كذلك الشكر الجزيل للزملاء والاصدقاء والى كل الذين لم تسعفني الذاكرة على ذكرهم .

إقرار المشرف

أشـهد إن إعداد هذه الأطروحـة الموسومة بـــ (الهبـات العينيـة فـي محافظة بغداد دراسة انثروبولوجية في المادية الثقافية) والمقدمة من الطالب حيدر علي حسن، جرت تحت أشرافي في جامعة القادسية / كليـة الآداب/ قسم الاجتماع ، وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه في علم الاجتماع.

التوقيع:
المشرف: أ.د بسمة رحمن عودة
التاريخ: / /٢٠٢١

بناءاً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذه الاطروحة للمناقشة

التوقيع:
الاسـم: أ.م.د فلاح
رئيس قسم علم الاجتماع
التاريخ: / /٢٠٢١

إقرار المقوم اللغوي

أشهد إن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (الهبات العينية في محافظة بغداد دراسة انثروبولوجية في المادية الثقافية) والمقدمة من الطالب حيدر علي حسن، في جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم الاجتماع ، قد جرى تصحيحها لغوياً وأصبحت مؤهلة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د أسيل سامي امين

التاريخ: / /٢٠٢١

إقرار الخبير العلمي

أشـــهد أن هــذه الاطروحـــة الموســـومة (الهبـــات العينيـــة دراســـة انثروبولوجية في مدينة بغداد) المقدمة من قبل الطالب حيدر علي حسن في جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع/، قد جرى تقويمها علمياً وأصبحت مؤهلة للمناقشة.

التوقيع:
الاسم: أ.د جميل محسن منصور
التاريخ: ٧ /١٢/ ٢٠٢١

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الاطروحة الموسومة (الهبات العينية في محافظة بغداد دراسة انثروبولوجية في المادية الثقافية) المقدمة من قبل الطالب حيدر علي حسن في جامعة القادسية / كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع/، قد جرى تقويمها علمياً وأصبحت مؤهلة للمناقشة.

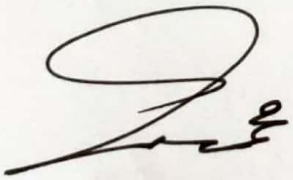

التوقيع:
الاسم: أ.م.د محمد محمودابراهيم
التاريخ: / /٢٠٢١

اقرار لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه

جامعة القادسية/ كلية:
الدراسات العليا
نقر اننا اعضاء لجنة مناقشة طالب الدكتوراه :---حيدر يحيى حسن---

قسم :---علم / مجتمع---اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من قبل الطالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة ---جيد جدا---في ---/ استرجاع الوعي الثقافي--- وعليه وقعنا .

اعضاء لجنة المناقشة:

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
1	عبد السلام نجم الاسدي	استاذ		رئيسا
2	علاء جواد كاظم	استاذ مساعد		عضوا
3	طالب عبد الرضا كيطان	استاذ مساعد		عضوا
4	سلوان فوزي عبد العيساوي	استاذ مساعد		عضوا
5	فؤاد عالم محسن	استاذ مساعد		عضوا
6	د. نسمة سلمان عوده	استاذ		عضوا ومشرفا

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

العميـــــد

/ / ٢٠٢١

ثبت المحتويات

الموضـوع	الصفحـة
الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
شكر وامتنان	ت– ث
ملخص الدراسة	ج
المقدمة	١–٣
البناء النظري للدراسة	
الفصل الاول : مجالات الدراسة ومفاهيمها	
المبحث الأول : عناصر الدراسة	٤
الأول: موضوع الدراسة	٤
الثاني: أهمية الدراسة	٥
الثالث : مجال الدراسة	٥–٦
المبحث الثاني : إصطلاحات	٦–٧
الأول : الهبة لغًة واصطلاحًا	٧–٨
الثاني: الهدية لغًة واصطلاحًا	٩–١٢
الثالث : منظور الهبات في القرآن الكريم	١٢–١٣
الرابع: نظام الملكية	١٤
الخامس: الإعطاء	١٤–١٦
السادس: الإلزام	١٦–١٩
السابع: المجاملة	٢٠–٢١
الثامن: المعاملة بالمثل	٢١–٢٢
التاسع: التبادل	٢٢–٢٥
المبحث الثالث: المراجعة المنهجية للهبات	٢٦–٢٩

الفصل الثاني : التوجهات الأكاديمية للدراسة	٣٠
نماذج من دراسات عربية **الأول:** زهرة عباس الهدية في المجتمع الجزائري	٣١-٣٥
الثاني: شرايري آمال- التبرع بالدم في الجزائر	٣٥-٣٧
الثالث: السيد حافظ الاسود الهدية دراسة في عمليات التبادل	٣٧-٤٠
نماذج من دراسات اجنبية **الأول:** مارسيل موس مقال في الهبة أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية	٤٠-٤٤
الثاني: موريس غودولييه لغز الهبة	٤٤-٤٨
الفصل الثالث: الموجهات النظرية في المادية الثقافية	٤٩-٥٠
المبحث الاول: الاساسات الأدبية (الأكاديمية)	٥١-٥٤
المبحث الثاني: الاساسات الانثروبولوجية الاكاديمة للمادية الثقافية	٥٤-٥٨
المبحث الثالث: النظرة الداخلية والخارجية Etic-Emic	٥٩-٦٣
المبحث الرابع: الأسس النظرية للمادية الثقافية	٦٤-٦٥
المادية الثقافية	٦٥-٧٠
البنية التحتية	٦٧-٦٩
البناء	٦٩-٧٠
البنية الفوقية	٧٠-٧٢
المبحث السادس: أدوات جمع البيانات والمعلومات	٧٣-٧٥
البناء الحقلي	
الفصل الرابع : ميدان الدراسة	٧٦-٧٧
اولاً: البيئة والتبيؤ	٧٨-٧٩
ثانياً: التجمع الدوري	٨٠-٩١
ثالثاً: التبرعات	٩١-٩٦

رابعاً: القروض العينية	٩٦-١٠١
خامساً: تكنولوجيا التواصل	١٠١-١١٩
سادساً: تبادل المؤن	١٠٧-١١٢
المحطة السابعة: حركة الجسد	١١٢-١١٥
ثامناً: مناسبة العيد (المراسم)	١١٥-١١٧
المحطة التاسعة: الحجر الصحي	١١٧-١١٩
الفصل الخامس : تحليل الدراسة	١٢٠
المبحث الاول: البنية التحتية	١٢١-١٣٥
المبحث الثاني: البناء	١٣٥-١٤١
المبحث الثالث: البناء الفوقي	١٤٢-١٤٥
الخاتمة	١٤٦-١٥٢
المصادر	١٥٣-١٦١
الملاحق	
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	

ملخص الدراسة

يُعد مفهوم الهبات من الموضوعات المهمة التي شغلت الكثير من الباحثين، إذ ان لمظاهر السلوك والفعاليات اليومية او الدورية وانساق الفكر والتصور جانبا من اهتمام حقل الأنثروبولوجيا بوجهتها الثقافية التي تبلورت مع مطلع القرن الماضي لاسّيما على مستوى المدرسة الأنثروبولوجية الامريكية، وقد احتل موضوع الهبات اهتمام الكثير من الباحثين والعلماء، إذ كان إعتماد بحث الهبة الذي انطلق منه كلود ليفي ستراوس في بناء نظريته البنيوية في الانثروبولوجيا معتمدًا على فرضية التبادل لحل إشكالية التحريم الجنسي داخل الجماعة، وبعد ذلك استطاع العالم الانثروبولوجي الأمريكي المعاصر كليفورد غيرتز من تطبيق فرضية مارسيل موس في دراسته الشهيرة حول سوق مدينة صفرو بالمغرب محللًا مجمل المبادلات والأغاني التي يرددها الباعة ومختلف الظواهر المرتبطة بالتبادل بين المجموعات البشرية.

ركزت الدراسة على الهبات العينية المادية على وفق منهج المادية الثقافية والتي استندت الى معرفة الخصائص والصفات المادية للهبات والآلية التي تُعتمد على توزيعها، وبالتالي حاولت الدراسة كشف اللثام على ثقافة المجتمع.

انتظمت الدراسة على بابين الأول شمل الجانب النظري والباب الثاني اتجه نحو العمل الحقلي الميداني في مدينة بغداد والتي ركز الباحث على منطقة الزعفرانية.

اتجه الفصل الاول نحو التعريف بموضوع الدراسة وبيان التساؤلات التي تكون بمثابة الأهداف التي ترمي الدراسة الى تحقيقها وبيان أهمية الموضوع ومجالاته الثلاثة (الزماني والمكاني والبشري) بمبحث اول، ومن ثم التوجه في المبحث الثاني نحو التعريف بالمفهومات الأساسية للموضوع، ومن ثم التوجه الى المبحث الثالث الذي تضمن مراجعة منهجية للمفهومات او قراءة للمفهومات التي اعتمدتها الدراسة.

ولاجل إتمام مجال الدراسة فقد خصص الفصل الثاني في توجهات الدراسة نحو عرض مجموعة من الدراسات التي ناقشت موضوع الهبات وفق تخصصات عدة، اما الفصل الثالث فقد اتجه نحو الموجهات النظرية في المادية الثقافية، حيث اتجه نحو عرض المادة النظرية التي اعتمدتها الدراسة، اذ استعانت الدراسة بمنهجية المادية الثقافية للانثروبولوجي الامريكي مارفن هاريس والتي يشرح فيها أوجه التشابه والاختلاف الثقافي وكذلك نماذج للتغيير الثقافي في إطار

ملخص الدراسة

مجتمعي، كما تُعد استراتيجية البحث العلمي التي تعطي الأولوية للعمليات المادية والسلوكية والأخرى في شرح تطور النظم الاجتماعية الثقافية البشرية.

كما تضمن الفصل الرابع الى (ميدان الدراسة) نحو عملية الوصف المكثف لصور متنوعة لعملية الهبة التي أنجزها الفاعلون بلغة قصصية، بوصفها الأسلوب الملائم لرصد عملية العطاء.

اما الفصل الخامس فقد اتجه نحو تحليل الدراسة وقد ركزت على تفريغ البيانات من الدراسة الميدانية على اساس المتغيرات التي اكدت عليها المادية الثقافية المتمثلة بالجانب الاقتصادي والتكنولوجي والبيئي.

بينما خلصت الدراسة من خلال المناقشة لموضوعاتها بخاتمة بينت اهم ما آلت اليه الدراسة وما تم مناقشته وكيف يمكن الاستفادة من معطياتها، عسى ان تكون الدراسة قد رفدت المكتبة والقارئ بدراسة محلية تعد من اللبنات الأساسية لموضوع الهبات العينية.

المقدمة

شهدت الأنثروبولوجيا مراحل تطور في القرن العشرين، لتصبح كياناً أكاديمياً ومهنة متخصّصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين، فعلى الرغم من أنّ الفكر الأنثروبولوجي قد بقي خلال العقدين الأوليين من القرن العشرين، متأثّراً إلى حدّ بعيد، بالنظريات التي سادت وتبلورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنّه سرعان ما تغيّر وتحوّل إلى منطلقات جديدة، نتج عنها اتّجاهات متعدّدة إزاء دراسة الإنسان وثقافته، سواء ما كان منها نظرياً أو منهجياً، كما ان الاتجاه العلمي نشط في القرن التاسع عشر وتبلور في مجالات متعدّدة، والانثروبولوجيا كحقل متخصص يعد تطوراً حديثاً في تاريخ الفكر الإنساني، لاهتماماته المتداخلة والمتعددة والزوايا المختلفة التي يتعامل بها مع قضايا الإنسان إذ يخوض ويتعمق بكل ما يتعلق بسلوكيات الانسان وصداها في بناء حياة ذلك الانسان وكيفية التناغم والتعامل مع اطر الحياة المختلفة، وان الانثروبولوجيا لم تقتصر على دراسة الوحدات البنائية الصغيرة بما فيها من بناءات تعود الى حياة الانسان، وانما اتسعت مدياتها لتشمل مضامين اخرى في حياة الانسان تتلاءم وتتواكب مع كل ما هو حديث ومتطور، اذ اخذت تتعمق في دقائق واجزاء لم يتم التنبه عليها سابقاً فيما يتعلق بشكل الحياة بالإنسان مادياً وثقافياً وكيفية بلورة صور تعامل الانسان مع الطبيعة وسلوكيات الافراد الاخرى، وبرزت الانثروبولوجيا بصورٍ اخرى وفروع اخذت تغور في ثنايا حياة الانسان وتوضح واقع معيشة الافراد في مجتمعاتهم وكيفية التناغم معها، ولا سيّما دراسة الهبات التي تُعد شكل من اشكال التعايش التي تظهر على مستوى القرابة والاسرة والاصدقاء.

في الادبيات الانثروبولوجية التي عُنيت بدراسة السلوك الانساني وبالفعاليات البشرية، واهمها دراسة مارسيل موس عن الهبة التي طغى عليها التنافس والمزاحمة والمواجهة، فقد بدا له بوتلاتش هنود الكواكيوتل وجيرانهم في الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الشمالية انموذجاً متطرفاً عنه، لكن بعد الوصف الذي كان مالينوفسكي قد قدمه للكولا الذي تمارسه مجتمعات شرق غينيا

الجديدة، استنتج موس ان الأمر يرتبط بظاهرة إنسانية واسعة الإنتشار في الزمان والمكان فجعل من البوتلاتش صنفاً اجتماعياً عاماً، وتحت هذه العلامة عُرفت الهبات التنافسية وشاع صيتها.

ففي البوتلاتش يُعطي المرء لكي (يُحطم) الآخر بهبته، لذلك فهو يعطيه أكثر مما هو قادر على ردّه (او ما يعتقد انه كذلك)، او انه يردّ له أكثر بكثير مما أعطى، فالهبة/البوتلاتش تُحمّل المتلقّي دَيناً وتُلزمه، غير ان الهدف من ذلك هو بشكلٍ علنيّ جعلُ رد هبةٍ مكافئةٍ أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

ركزت الدراسة على الهبات العينية المادية على وفق منهج المادية الثقافية والتي استندت الى معرفة الخصائص والصفات المادية للهبات والآلية التي تُعتمد على توزيعها، ومن ثم حاولت الدراسة كشف اللثام عن ثقافة المجتمع التي تكاد ان تكون شبه مخفية وغير واضحة.

انتظمت الدراسة على بابين الأول شمل الجانب النظري والباب الثاني اتجه نحو العمل الحقلي الميداني في مدينة بغداد وقد ركز الباحث على منطقة الزعفرانية.

اتجه الفصل الاول نحو التعريف بموضوع الدراسة وبيان التساؤلات التي تكون بمثابة الأهداف التي ترمي الدراسة الى تحقيقها وبيان أهمية الموضوع ومجالاته الثلاثة (الزماني والمكاني والبشري) بمبحث اول، ومن ثم التوجه في المبحث الثاني نحو التعريف بالمفهومات الأساسية للموضوع مثل (الهبة والهدية والعطاء والإلزام ونظام الملكية، والمبادلة بالمثل، والتبادل.. وغيرها من المفهومات التي اتصلت بالدراسة كونها تتعلق بدراسة الهبات، ومن ثم التوجه الى المبحث الثالث الذي تضمن مراجعة منهجية للمفهومات او قراءة للمفهومات التي اعتمدتها الدراسة.

ولاجل إتمام مجال الدراسة فقد خصص الفصل الثاني في توجهات الدراسة نحو عرض مجموعة من الدراسات التي ناقشت موضوع الهبات وفق تخصصات عدة، فقد اشتمل الفصل دراسات عربية واجنبية منها دراسة الهبات في المجتمع الجزائري دراسة تبادلية والدراسة الآخرى حول التبرع بالدم في الجزائر دراسة سوسيو انثروبولوجية، ودراسة الانثروبولوجي الفرنسي موريس غودولييه عن لغز الهبة التي اعتمد فيها قراءة للهبات بمنهج تحليلي نقدي.

اما الفصل الثالث فقد اتجه نحو الموجهات النظرية في المادية الثقافية، حيث اتجه نحو عرض المادة النظرية التي اعتمدتها الدراسة، اذ استعانت الدراسة بمنهجية المادية الثقافية للانثروبولوجي الامريكي مارفن هاريس والتي يشرح فيها أوجه التشابه والاختلاف الثقافي ونماذج التغيير الثقافي في إطار مجتمعي، وتُعد استراتيجية البحث العلمي التي تعطي الأولوية للعمليات المادية والسلوكية والأخرى في شرح تطور النظم الاجتماعية الثقافية البشرية.

وتضمن الفصل الرابع (ميدان الدراسة) نحو عملية الوصف المكثف لصور متنوعة لعملية الهبة التي أنجزها الفاعلون بلغة قصصية، بوصفها الأسلوب الملائم لرصد عملية العطاء، اما الفصل الخامس فقد اتجه نحو تحليل الدراسة وقد ركزت على تفريغ البيانات من الدراسة الميدانية على اساس المتغيرات التي اكدت عليها المادية الثقافية المتمثلة بالجانب الاقتصادي والتكنولوجي والبيئي.

بينما خلصت الدراسة من خلال المناقشة لموضوعاتها بخاتمة بينت اهم ما آلت اليه الدراسة وما تم مناقشته وكيف يمكن الاستفادة من معطياتها، عسى ان تكون الدراسة قد رفدت المكتبة والقارئ بدراسة محلية تعد من اللبنات الأساسية لموضوع الهبات العينية.

الباب الأول (الجانب النظري)

الفصل الأول (مجالات الدراسة ومفاهيمها)

المبحث الأول: عناصر الدراسة

الأول: موضوع الدراسة

"يتخذ علماء الأنثروبولوجيا مقاربة شاملة لدراسة الإنسان، إذ يفترضون أنه لا يوجد فهم كامل من غير دراسة النطاق الكامل للسلوك البشري، وقد يركز علماء الأنثروبولوجيا دراساتهم على مجتمع معين أو جانب معين من الكائن البشري، لكنهم يضعون نتائجهم في منظور نظري واسع يسعى إلى تضمين كل التجارب البشرية، وينعكس هذا النهج الكلي في الاهتمام بالتنوع الواسع وفي نهج شامل لدراسة السلوك الإنساني".

يجب على الباحث الأكاديمي في البحوث الاجتماعية والإنسانية، من وضع منهجية علمية مناسبة تتوافق وموضوعات البحث المُعْنى بدراسته، ويُرسَم اقتران المنهج بالموضوع بخطوات غايتها تحقيق أهداف البحث واكتشاف مجموعة الحقائق ذات الصلة بموضوع الدراسة.

يتجه هذا الفصل نحو التعريف بموضوع الدراسة وبيان التساؤلات التي تكون بمثابة الأهداف التي ترمي الدراسة إلى تحقيقها وبيان أهمية الموضوع ومجالاته الثلاثة (الزماني والمكاني والبشري) بمبحث اول، ومن ثم التوجه في المبحث الثاني نحو التعريف بالمفهومات الأساسية للموضوع مثل (الهبة والهدية والعطاء والإلزام ونظام الملكية، والمبادلة بالمثل، والتبادل.. وغيرها من المفهومات التي اتصلت بالدراسة كونها تتعلق بدراسة الهبات، ومن ثم التوجه إلى المبحث الثالث الذي تضمن مراجعة منهجية للمفهومات.

لأجل ذلك كلّه فقد ارتأت الدراسة ضرورة بسط موضوع الهبة والإحاطة به من حيث المادة العينية، متقصّين في ذلك مجمل الحيثيّات الإبستيمولوجيّة والمقارنات السوسيولوجيّة والأنثروبولوجيّة، ومنوّهين في الوقت ذاته بالنقود المتفاوتة والمتباينة التي ناقشت وقيّمت مصطلح الهبة كما أورده وعرضه صاحبه مارسيل موس، ففهم موضوع الهبة في سياقه الأنثروبولوجي

يعتبر، من وجهة نظر الباحث، أمراً ضرورياً ومدخلاً رئيساً، يرتكز موضوع الدراسة إلى مجموعة تساؤلات يمكن عدها أهدافاً غايتها تقديم إجابة أولية استهلالية أكاديمية للهبات هي:

١. محاولة التعرف على ماهية الهبات العينية وكيف يتم انتاجها، بمعنى كيف يمكن أن (تحصل عليها ومن ثم تهبها) وما تقسيماتها الايكولوجية.
٢. محاولة التعرف على آلية التوزيع التي يتبعها الناس في الهبات وما المكانات والأدوار الفاعلة فيها ؟ وكيف يتم تشكيل اساسات المادية الثقافية (البنية التحتية) ومن ثم (البناء او الهيكل) (البناء الفوقي).
٣. كيف يتم إنتاج الموسم ؟ (أي الفواصل الزمنية والأيام والاسابيع والشهور) وإعادة إنتاجه موسمياً.

الثاني: الأهمية

١. المنهجية لم يسبق وان تم العمل بها ايضًا من الباحثين على مستوى الدراسات العليا .
٢. محاولة الكشف عن ثقافة المجتمع وعن الفعاليات والممارسات اليومية .
٣. هذه الدراسة لم نجد أنها إن دُرست او بُحثت من قبل الباحثين ولا سيما في الانثروبولوجيا ؟.
٤. نحاول معرفة من المشترك في هذه الممارسات وهل هي مقتصرة على الذكور أو على الإناث ام كليهما معاً ؟.

الثالث: مجالات الدراسة

١. المجال المكاني

يتمثل المجال المكاني للدراسة في مدينة بغداد بعامة ومنطقة الزعفرانية* بخاصة، اذ إن حيثيات الدراسة جميعها تدور في هذه المنطقة من مقابلات وملاحظات وكل ما يخص عملية تدوين البيانات الميدانية، فكل دراسة انثربولوجية يكون فيها ميدان الدراسة او الحيز المكاني

*. تقع منطقة الزعفرانية في الجنوب الشرقي لمحافظة بغداد وتبدأ شمالًا وتتجه إلى ناحية الجنوب، تنقسم المدينة إلى عدة محلات ومناطق وهو مبين بشكل مفصل في الفصل الرابع الدراسة الميدانية، والتي اتخذها الباحث حقلاً ميدانياً في الدراسة، ويعود اسم الزعفرانية إلى العصر العباسي حيث كانت قرية بهذا الأسم ويقال انها سميت لزراعة الزعفران فيها. https://ar.wikipedia.org/wiki

للدراسة على قدر كبير من الأهمية حتى انه يكفي ذكر بعض الأماكن لتتبادر إلى الأذهان مباشرة الانثروبولوجي الذي اتخذها ميداناً لدراسته.

٢. المجال البشري

يمكن تحديد المجال البشري على أساس الفاعلين الذين شملتهم الدراسة، والذين يُعدون العنصر الاساسي في الدراسات الانثروبولوجية ولاسيما في موضوع الهبات او بين المتبرع والمستلم، والتي من خلالها يشكلون صورة العلاقات والنشاطات التي تقوم بها الجماعة، فلا يمكن تصور عملية الهبات والعطاء من غير وجود عناصر فاعلين، الذين تتم من خلالهم الممارسة سواء كانوا ذكوراً أم اناثاً.

٣. المجال الزماني

إن البدايات الأولى للمدة الزمنية التي قضاها الباحث في دراسته الميدانية كانت في (٢٠٢٠/٣/٢١ وانتهت في ٨ /٢٠٢٠/٧) من خلالها تم تسجيل البيانات التي قُدمت من أهالي في مجتمع الدراسة ومن خلال المقابلات، وإستغلال بعض الدعوات التي قُدمت لنا من بعض العاملين او اللجان المختصة بتوزيع الهبات للناس والتي امتدت طيلة مدة الحظر الصحي الذي فُرض من الجهات المختصة على المدينة.

المبحث الثاني: تحديد المصطلحات الرئيسة الواردة في الدراسة

تمهيد

يُعد تحديد المفهومات والمصطلحات العلمية (***Concepts and Terms***) امراً ضرورياً في البحث العلمي على وجه العموم والبحث الانثروبولوجي على وجه الخصوص، ذلك لأن البحث العلمي يحتاج الى درجة كبيرة من الدقة والتحديد، كما ان البحث الانثروبولوجي الى جانب ذلك يستمد اغلب مفاهيمه من لغة الحياة العملية[١].

كما اختلف العلماء في تبيان تعريفات ومضامين للمفهومات فكل عالم يعطي معنى معينًا، وفقًا للأطر المرجعية والتوجهات التي ينطلق منها، في تحديده للمفهومات والمصطلحات العلمية، اذ بينت ملاحظة عالم الانثروبولوجي الانجليزي (ايفانز بريتشارد **Evans-Pritchard**) بشأن إستحالة تعريف للمفهومات الأساسية تعريفاً جامعاً مانعاً مرضياً للجميع، وقد تُشكل المفهومات مدخلاً أساسياً في التحليل الانثروبولوجي، لذا سوف نعرجُ في هذا الفصل على جملة من المفهومات الأساسية التي تُمثل الإطار المرجعي لهذه الدراسة.

وقد يُعد تحديد المفهومات والمصطلحات العلمية (**Technical Terms**) امراً ضرورياً في البحث العلمي على وجه العموم والبحث الانثروبولوجي على وجه الخصوص، ذلك لأن البحث العلمي يحتاج إلى درجة كبيرة من الدقة والتحديد، وان البحث الانثروبولوجي إلى جانب ذلك يستمد اغلب مفهوماته من لغة الحياة العملية[٢].

---

[١] الدكتور عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، ط٣، مكتبة الانكلو– المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص١٧٢–١٧٣.

[٢] . د. حسن، عبد الباسط محمد، اصول البحث الاجتماعي، ط٣، مكتبة الانكلو– المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص١٧٢–١٧٣.

الأول: الهبة لغةً واصطلاحاً Giveaway

الهبة بكسر الهاء هي العطية، ووهبت له هبة موهبة ووهبا إذا أعطيته، ووهب الله له الشيء فهو يهب هبة، والوهوب: الرجل الكثير الهبات[١].

اما الهبة اصطلاحاً: فهي العطية الخالية من الأعواض والأغراض، والهبة عقد يقتضي تمليك العين منجزًا من غير عوض، ويسمى النحلة والعطية، وهي تمليك بلا عوض سواء كان مالاً أو غير مال[٢].

والهبة كل ما يُقدم من أعلى إلى أدنى في المنزلة، مثال على ذلك ما يُقدم من الخلفاء والسلاطين إلى الرعية بإختلاف طبقاتهم، وقد تكون الهبة تمليكًا بلا عوض[٣].

" ان مفهوم الهبة عند (مارسيل موس) يتعلّق بوجهين لظاهرة واحدة أو على الأقلّ لنظام واحد لا يختلف في شيء، لا في الماضي ولا في الحاضر، فتحفّظ عليه العديد من الباحثين ورفضوا تعريف الهبة الأحادي الذي يخلط بين الماضي وبين الحاضر، (فبودون*وبسنار Boudon and Sennar) قد فرّقوا بين مفهوم الهبة في شكلها القديم وبين مفهوم الهبة في شكلها الحديث، مستندين في ذلك على ما ورد في قاموس (Le Petit Robert) الفرنسي، الذي يعرّف الهبة (الأركائيكيّة**) العتيقة على أنّها هبة ملزمة وتبادليّة، بينما الهبة الحديثة هي حرّة وأحاديّة الجانب أي هي (ما نتركه لإحد ما دون أن نتلقى منه أيّ مقابل)، اما الصفة القانونية للهبة (فالقانون هو من يُفرّق بين ظاهرة الهبة وظاهرة التبادل فعندما تكون المطالبة بحقّ مقابل فإنّ الأمر يتعلق

---

(١). محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب،ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ص٣٠٨.

(٢). ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،ج٥، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ص٢٣١.

(٣). محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سير الأخبار، بيروت: ١٩٧٣، ٩٩/٦.

* . ريمون بودون٢٧ يناير ١٩٣٤،هو فيلسوف و عالم اجتماع فرنسي، وعضو في العديد من الجمعيات العلمية الدولية، وانتخب لأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية في عام ١٩٩٠ توفي في ١٠ أبريل ٢٠١٣ في نفس المدينة.

** . الأركائيكيّة هو اللفظ الذي كان متداولاً في الماضي، ثم قلل من استعماله إلى أن صار نادراً، فلم يستعمل في الحاضر إلا للدلالة على شيء من الماضي(العتيق).

بالتبادل، أمّا إذا انتفت المطالبة بالأحق، فإنّ المسألة تتحوّل إلى هبة، فالعطاء يمنع من حقّ المطالبة بالمقابل، فالهبة عند العلماء المعاصرين هي أن يكون القابض حرّاً في عطائه، إن شاء منح وإن شاء أمتنع، أي بمعنى أنّ العطاء هو عبارة عن شكل من أشكال حركة الأشياء وتحويلها، يتحرّر معه الشركاء من أيّ إلزام تعاقدي أو منح شيء مقابل شيء آخر[١]".

الثاني: الهدية لغةً واصطلاحاً Gift:

هي كلمة مشتقة من هدى، أي بمعنى ما أهديت من لطف إلى ذي مودة، ويقال أهديت أهدى إهداء[٢]، والهدية كغنية: ما أُتحف به، والهدية واحدة وجمعها هدايا وهداوى[٣].

والتهادي أن يهدي بعضهم إلى بعض، والمهداء أي الكثير الإهداء[٤]، والمهدى الإناء يهدى فيه والمرأة الكثيرة الإهداء[٥].

والهدية اصطلاحاً: الهدية هي ما أُهديت إلى ذي مودة من بر[٦]، وكل ما يُقدم من لطف من أجل المودة والإكرام[٧]، والهدية شيء يمنحها شخص لآخر او جماعة لجماعة أُخرى او شخص لجماعة ما[٨].

عرفها الانثروبولوجي العراقي (شاكر مصطفى سليم) في قاموس الانثروبولوجيا "هي شيء يقدمُه شخص لآخر، وكان تقديم الهدايا من الأساليب المهمة في توزيع الإنتاج في

---

[١]. مختار مروفل، حول الهدية والمبادلات الانسانية ونشأة الروابط الاجتماعية، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية،٢٠١٩، ص٤، بحث منشور.

[٢]. أحمد بن فارس بن زكريا أبي الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج٦، ١٣٩٩ – ١٩٧٩ص٤٣.

[٣]. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ،ج٤، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،٢٠٠٥، ص٤٠٣ .

[٤]. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، مصدر سابق، ص٣٥٧.

[٥]. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، مصدر سابق، ص٤٠٣.

[٦]. الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ج٣، دار الكتب العلمية – بيروت،٢٠٠٣، ص٧٧.

[٧]. أحمد بن فارس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٦، مصدر سابق، ص٤٣.

[٨]. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص ٣٥٧.

المجتمعات القديمة، وقد ظلت فعالية اقتصادية هامة بين عدد كبير من الشعوب البدائية، وبخاصة بين (الهنود الاميركيين) ويعُد تقديم الهدايا الذي يتم في مناسبات خاصة، كالزواج والأعياد والزيارات أمراً مُتوقعاً من الاشخاص الذين يرتبطون بعلائق اجتماعية معينة، ويقترن دائمًا بتوقع رد الهدية، لأن التقاليد الاجتماعية تفرض تطبيق مبدأ (المقابلة بالمثل) وقد يكون التبادل إحتفالياً، على الرغم من انه يكون مصحوبًا بنوع من المقايضة مثل (الكولا)، ويذهب بعض الباحثين إلى ان تقديم الهدايا وردّها من العلائق الاجتماعية وإنهما ينطويان على معانٍ رمزية، لذا فهما أمران لازمان ومتلازمان، وكان أول من درس التبادل الاحتفالي للهدايا دراسة انثروبولوجية مستفيضة هو العالم الانثروبولوجي (مالينوفسكي)"[١].

يصفها (مارسيل موس) في مقاله عن الهبة بإنها مجموعة من الأعمال التي يكون فعل العطاء جزءًا منها بمعنى آخر، إنها تتضمن المعنى الواسع الإلتزام بالتلقي والعودة[٢].

وقد عرفها الدكتور أحمد أبو زيد في كتابهِ البناء الاجتماعي، بإنها الأفعال والخدمات أو الأشياء التي يُقدمها الشخص لغيرهِ من الناس من غير ان يتوقع منهم أن يُقدموا أي مقابل له[٣]. له[٣].

اما الدكتور قيس النوري فقد عرف الهدية على أنها الفعل الذي يقدم به الفرد شيئًا او خدمةً من غير توقع شيء او خدمة من الشخص المستفيد[٤].

بينما عرف الانثروبولوجي (ريموند فيرث) الهدية في كتابه الموسوم بـــ(نحن سكان جزيرة تيكوبيا) فيتحدث عن الهدايا التي تُقدَم في مناسبات الأفراح والمآتم بين سكان الجزيرة فيقول بإن الهدية هي عرض يمنحهُ شخص معين إلى شخص آخر، وهذا المنح إنما يعتمدُ على اَسباب عديدة منها الرغبة في التقرب إلى الشخص الذي عُرضت له الهدية، او الرغبة في الحصول على

---

[١]. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، الطبعة الاولى،١٩٨١، ص٣٩٨.

(2). Fabian Robertson, Moss, Philosophy of Giving, Article publié le 28 juin 2017.

[٣]. د.احمد ابو زيد، (البناء الاجتماعي) ج٢، الأنساق، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ص٢٥١.

[٤]. د. قيس النوري، الانثروبولوجيا الاقتصادية،الموصل، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩ ، ص١٣.

مكاسب مادية، او غير مادية منه او الرغبة في تبادل النساء بين الشخصين اي الشخص الذي قدم الهدية والشخص الذي أخذ الهدية[١].

ووضح (موس) إن الهدية ليست بالضرورة متبادلة، اذ يجوز للشخص الذي تلقى الهدية بدوره أن يقدمها لشخص آخر أو لمجموعة آخرى في هذا المعنى، فإن تحليل نظام الكولا الميلانيزي لتداول البضائع هو أمر ثمين، والهدية ظاهرة اجتماعية كلية وشكل من أشكال التبادل، غير أنها خاضعة لإلتزامات ثلاثة: هي العطاء والقبول والرد.

اما من وجه نظر اقتصادي، قد نستنتج أن الهدية هي نقل سلعة تنطوي على التخلي عن أي حق على هذه السلعة، وأي حق قد يصدر من هذا النقل، لا سيَما الشيئ الذي يتطلب نظيرًا، ان فكرة الهدية تحتوي على فكرة التخلي، بمعنى يتخلى المانحُ عن أي سلعة وأي حق، في المقابل على العكس، كل من يتبادل حاجة ما لديه الحق في طلب نظيرها – وهذا هو نفسه الذي يحدد التبادل[٢].

قد نقول الآن بالتحديد في الطريقة التي يتناقض بها تعبير (تبادل الهدايا) مع Mauss (بالمعنى الدقيق للكلمة) لأن التبادل يقوم على الحق في طلب نظيرها، في حين أن الهدية (هدية) فحسب لأن الحق في طلبها تم التخلي عنه، فالنقطة الأساسية في موضوع الهدية هي مسألة (الحق) هل من الشرعي المطالبة ؟.

لا تكمن هذه النقطة الأساسية في حركة البضائع (كما هو الحال بالنسبة إلى النظير– فيما أطلقنا عليه الجانب الحركي لعمليات النقل) والنظر في مسألة الغرامات، أو أي شيء نحن ملتزمون بدفعه كتعويضات وفوائد، بالإضافة إلى التعويضات الناشئة عن إساءة أو مسؤولية نتحملها، فما طبيعة عمليات النقل هذه، من الواضح أنها ليست هدايا، بمعنى ان الهدية تعني

---

[١]. طاهر حسو الزيبادري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، دار البيروني للنشر والتوزيع،ط١ ، ٢٠١٦، ص٢٥٥.

(1). ALAIN TESTART, "What is a gift?," HAU: Journal of Ethnographic Theory 3, no. (Spring 2013): 249–261.

التخلي عن أي حق على هذه السلعة وأي حق قد ينشأ عن هذا النقل، ولا سّيما الحق في المطالبة بأي شيء عن طريق النظير[١].

لا يعتمد الفرق بين الهدية والمبادلة على الهدية التي يتم إرجاعها، فالتبادل المنتظم للهدايا معروف جيدًا كما أن التمييز لا يعتمد على ما إذا كانت المعاملة بالمثل متوقعة، تقديم الهدايا بدوافع أنانية أيضًا، وإعطاء شيء أملاً في استعادة المزيد في المقابل، على سبيل المثال (البقشيش) يتمثل الإختلاف الجذري بين الهدية والتبادل في أن مانح الهدية لا يمكنه المطالبة بهدية مشروعة بطريقة مشروعة (حتى عندما يتوقع هدية في المقابل، أو عندما يكون هذا الأمل هو الدافع الأكثر أهمية له) في حين أن الشخص الذي يتبادل دائمًا يكون لديه الحق في المطالبة بالتعويض، ولا يعتمد الفرق على طريقة الدفع أو على دوافع الجهات الفاعلة، فالجانب القانوني هو الذي يمكننا من التمييز بين هاتين الظاهرتين: فالحق في المطالبة بالتعويض يُميز في سوق البورصة ولكنه غائب عن الهدية.

الثالث: منظور الهبات في القرآن الكريم

وردَ في القرآن الكريم آيات تشير إلى الهبة والهدية مما يدل على أهميتها وشرعيتها، ومما ورد في الهبة قوله تعإلى ﴿ **وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** ﴾[٢]، ﴿ **قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء** ﴾[٣].

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء** ﴾[٤].

﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً** ﴾[٥].

اما ما ورد في ديوان الشاعر الشيخ محسن ابو الحب فقد ورد (يا من مواهبهُ لا تُمل)[١].

---

[1]. p.p.262.

(٢). سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٣). سورة آل عمران، الآية ٣٨.

(٤). سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

(٥). سورة مريم، الآية: ٤٩.

لماذا لا تُمل؟ لإنها متجددة، يامن مواهبه لا تُمل لأن الله لن يعطي موهبة واحدة وإنما أعطى مواهبهُ كُلها إلا الالوهية لإنها لا تُوهب، وهبها الله لخليفته وهو الإنسان والانسان وهبها لأشيائه.

الآيات الكريمات تدلُ على أن العطية هي هبة من الله سبحانه وتعالى للإنسان سواء أكانت بالأولاد الذين هم الذرية الصالحة أم بالحكمة أم بالرحمة للعبد.

أما الهدية فقد وردت في قوله تعالى:﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ، فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** ﴾[٢].

وعلى الرغم من أن للهدية معنى المودة بين الناس إلا إن مضامينها في هذه الآية الكريمة كثيرة، منها: اختبار من بلقيس (ملكة سبأ) لنبي الله سليمان إن هو قبلها، فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق فاتبعوه[٣].

وإن الملكة بلقيس قصدت من هديتها طلب المهادنة والمسالمة بدل الحرب وما تسببه من الخسائر في الأموال والأنفس، إلا إن النبي سليمان رفض الهدية منكراً عليهم الأمر بقوله: ﴿ **أتصانعوني بالمال والهدايا حتى أترككم على دين الكفر؟ فقد أعطاني الله من النبوة والملك الواسع خير مما أعطاكم من زينة الحياة، فلا حاجة لي بهديتكم، فانتم تفرحون بالهدايا لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا**﴾[٤].

---

[١] . د. علي كاظم المصلاوي، ديوان الشيخ محسن ابو الحب الكبير، دراسة في الموضوع الشعري، جامعة كربلاء،كلية التربية، ص٥٣، بحث منشور من دون سنة تذكر.

(٢). سورة النمل، الآية: ٣٥-٣٦.

(٣). محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط٢، بيروت، ١٩٨١، ص٤٠٨.

(٤). الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط٢، (طهران: د/ت) ، ١٩٦/٢٤؛ وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، (طهران: د/ت)، ١٤٧/٣؛ الدامغاني: الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط٢،(بيروت: ١٩٧٧)، ص٣٧٢.

والجدير بالإشارة الى انه وردت في القرآن الكريم آيات فُسِرت على أنها تشجيع للهدية والحث عليها، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..**﴾ [1].

ففسرت التحية في هذه الآية الكريمة بالهدية، وجعل الثواب فيها واجبًا[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان** ﴾[3] فسر الإحسان بالهدية[4].

الرابع: نظام الملكية

الملكية نظام يتعلق بحيازة الأشياء التي أصطلح على تسميتها بالملك أو الممتلكات، أو هي فكرة تقتضي وجود حقوق معينة لشخص أو لجماعة دون غيرهم من الناس بإستعمال هذه الممتلكات أو إستهلاكها أو التصرف بها[5].

يشغل نظام الملكية إهتماماً في الدراسات الانثروبولوجية التي تعالج الانساق الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات البدائية نظراً للأهمية البالغة التي تلعبها فكرة الحيازة والملكية في الحياة الاقتصادية، ويمكن أن نفهم هذا النظام في ضوء البناء الاجتماعي السائد في المجتمعات المختلفة، والذي يمكن تحديده (نظام الملكية) في نقطتين أساسيتين:

الأولى: هي إن الملكية تفترض وجود حقوق للمالك على ممتلكاته، فيما يتعلق بالإستعمال وحرية التصرف عن طريق إهدائها او بيعها او حتى تدميرها، وهي حقوق تتخذُ أشكالاً وانماطًا عديدة في المجتمعات المختلفة، والتي من خلالها يتحدد وضعهُ الاجتماعي والطبقي في المجتمع أو الجماعة التي ينتمي اليها.

([1]). سورة النساء، الآية: ٨٦.

([2]). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٣، ج١٩٢/٥، دار الكتب المصرية – القاهرة،١٩٦٤،

([3]). سورة النحل، الآية: ٩٠.

([4]). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٥، ج٩، مصدر سابق، ١٠٩-١١٠.

([5]). د.احمد ابو زيد، (البناء الاجتماعي) مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣١.

الثانية: ان في كل نظام من أنظمة الملكية لا بد من توافر ثلاثة أركان مهمة، هي: (المالك والممتلكات ثم العلاقة التي تقوم بينهما) وقيمة هذه الأنظمة تحدد في نوعية المجتمع حضرياً كان أو ريفياً أو بدوياً (١).

الخامس: الإعطاء Giving

إعطاء مصدر اعطى والجمع أَعْطِيَةٌ أَعْطِياتٌ والعَطَاءُ هبة، ما يُعْطَى العطاء والعطية أسم لما يُعطى، والعطية جمعها العطايا، أما الأعطية فهو جمع العطاء[٢]، والعطية تعني الُمنحة وهو الشيء الُمعطى[٣].

يهتم مارسيل موس ببعض أنماط الأعطية، ولا سّيما بتلك التي تُلزم جماعات او أشخاصًا على إعتبار ان هؤلاء (زعماء) يمثلون الجماعات، يتحدث موس عن عطاء شامل، عبارة تدل بالنسبة اليه على شيئين مختلفين، سواء أكان العطاء هو فعل ذو أبعاد متعددة، تتكثف فيه عدّة مظاهر من المجتمع، او كان العطاء يضع كل المجتمع في حركة بالتحفيز على أعطيات مقابلة، وتصبح آلية اساسية لتكاثره، يُمّيز مارسيل موس بين الأعطيات، غير المتنازعة المرتكزة على تبادل السلع ذات قيمة متعادلة، والأعطيات المتنازعة تنشأ عن اوضاع خصومة او منافسة، ويكرسّ موس الجزء الأساسي من تحليله للعطاء المتنازع، مثل البوتلاش الذي يمثل نموذجه الأوضح[٤].

ومثالاً على الإعطية المضادة غير المتنازعة، يذكر موس تبادل النساء بين طرفى بعض قبائل استراليا أو امريكا الشمالية، ويستوحى هذه الامثلة لكلود ليفي– ستراوس عندما درس بُنى القرابة الأولية التي يرى اساسها في تبادل النساء بين الرجال، لم يتعمق موس في هذا النمط من

---

(١). المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٢). ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٥، ص٦٩ .

(٣). زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،١٩٩٩،ص٣٢٥.

(٤). بيار بونت، ميشال ايزار، مُعجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة، مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنششر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١١، ص١١٠.

الإعطية، في هذه النقطة بالذات يجب إذن إكماله في مجال يشغل منطق الدّين مكانًا خاصة فيه، فعندما تُعطي عشيرة امرأة يصبح لها ديّن على العشيرة الأخرى وتجد نفسها في علاقة فوقية تجاهها، وعندما تتلقى العشيرة الأولى بدورها امرأة من شريكتها، تتحول من وضع الفوقية إلى وضع معاكس، في نهاية هذا التبادل تعود العشيرتان إلى وضع متساو، لكن في علاقة استدانة متبادلة، ولا تلغي الإعطيات المضادة الديون المترتبة عليها بل توجد ديون جديدة تأتي لتوازن الاولى، فالإعطاء من جديد لا يعني التسديد، ويؤدي هذا النمط من العطاء المتبادل في النهاية إلى إعادة توزيع الموارد بين كل المجموعات التي تملكها بطريقة متساوية نسبياً، كائنات بشرية، واموال، وعمل، وخدمات، انه منطق مختلف كلياً تطبقه الإعطيات والإعطيات المضادة المتنازعة، التي بخصوصها اتخذ موس مثال البوتلاش هنود الساحل الشمالي الغربي للمحيط الهادي، بالنسبة لموس تمثل منافسات البوتلاش (حروب ثروات) حقيقية تُشن من اجل الوصول إلى مراكز السلطة، الحقيقة او الرمزية، في البداية يتبارى عدة عشائر وعدة زعماء للظفر او الإحتفاظ بلقب أو بوظيفة، لكن في النهاية ليس هناك إلا مستفيد واحد من المواجهة، إلى ان يُجبر الرابح على قبول تحدّي الإلتزام في بوتلاش جديد اوسع أبعادًا وأهم من سابقه، هنا تلغى الديون حين يرد المرء اكثر مما حصل عليه[1].

يُقدم موس تفسيرًا اجتماعياً لبيان الإلتزامين الاولين- العطاء والتلقي، في الكثير من المجتمعات، يُجبر المرء على العطاء لإن العطاء يوجد علاقات ويلزم بها، ويكون مُجبرًا ايضًا على القبول لأن رفض أعطية يمكن ان يُعرضه إلى الدخول في شقاق مع من يقّمها، أو بالنسبة الى الإلتزام الثالث، رد الإعطية، يقتبس موس تفسيره من حكيم ماوريّ عجوز، هو (تاماتي رانيبيري) يأخذ كل من موس وليفي-ستراوس بعين الاعتبار انه في كل مجتمع هناك إلى جانب الاشياء التي يمكن بيعها او شراؤها (قابلة للتصرف ومتصرف بها) والاشياء التي يمكن أعطاؤها (غير قابلة للتصرف ومتصرف بها) واشياء غير قابلة للتصرف وغير مُتصرف بها مثل الاغراض المقدسة بالتحديد، اي أعطيات الآلهة للبشر التي لا يمكنهم اعطاؤها لأمثالهم: إذ

---

[1]. المصدر نفسه، ص١٠٩.

يقضي واجبهم بالحفاظ عليها، الأمر الذي لا يمنعهم من افادة الذين لا يملكونها من الحسنات التي تمنحها هذه الاشياء[١].

السادس: الإلزام Moral Obligation

مفهوم أخلاقي يدل على ما ينبغي فعله من غير قسر أو إرغام، وهو لا ينشأ عن عقد، بل عن طبيعة الإنسان من حيث هو قادر على الإختيار بين الخير والشر، قد يكون الإلزام الأخلاقي ضرورة متعالية، ذات نظام مثالي، يفرضه العقل على الطبيعة، ويوجب على الإنسان تحقيقه وإن كان غير موجود بالفعل، كالأمر المطلق في فلسفة (Kant) وهو (الأمر الجازم الذي يتقيد به المرء لذاته، من غير النظر إلى ما ينطوي عليه من لذة أو منفعة) وبهذا تكون العلاقة وثيقة بينه وبين حرية الاختيار، لإنه لا معنى للأمر المطلق إذا كان سلوك الإنسان نتيجة لطبيعته، وبما أن الحرية ليست قسرًا ولا عدم مبالاة، بل حكم ذاتي[٢].

فالإلزام هو قانون الحرية، ولا معنى له إلا إذا أوجب الإنسان على نفسه فعل الشيء أو عدم فعله، من ذاته، وبملء حريته، فالإلزام سلوك خلقي ذاتي، والإنسان هو مصدر ذلك الإلزام.

ولكن إذا كان الإلزام صورة من صور القسر الاجتماعي، بمعنى وجود سلطة خارجية تمارس تأثيرها القسري على الفرد فتجعله يفعل وفق قواعدها شاء أم أبى، أُمكن عندئذ الجمع بينه وبين الحتمية لأنه يقوم في هذه الحالة على عوامل وبواعث تحدد حرية الإرادة فما كان فعله أو عدم فعله ممكنًا مثلاً من الناحية المادية، ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية كان إلزامياً[٣].

بمعنى أن الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله، أو عدم فعله من غير أن يعرض نفسه للخطأ واللوم ويصبح الإلزام بهذا المدلول هو الواجب بشكل عام، والذي يؤدي تركه إلى مفسدة، وهنا يتقارب مفهوم الإلزام من الالتزام لأنه إذا أَلزمت الجماعة أفرادها بقيمها وعاداتها وتقاليدها يصبح الإلزام التزامًا من الأفراد، ومن الشخص والذي تكوَّن وفق ثقافة الجماعة التي

---

[١]. بيار بونت، ميشال ايزار، مُعجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، مصدر سابق ص١١٠.

[٢] . ينظر: د. السيد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٧، ص٦٧.

[٣]. ينظر: د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص١٢١.

ينتمي إليها، ووفق عاداتها وتقاليدها، فهو حين يمارس فعله الذي يبدو أنه مرغم عليه، انسجامًا مع نظم تلك الجماعة، إنما يمارسه كأنه اختياره الخاص، لتحول تأثير الجماعة الخارجي في تكوينه إلى تأثير باطني يصبح مع الزمن كأنه نابع من ذاته.

وللإلزام أكثر من وجه وأكثر من مصدر يفضي إلى تلك الأوجه، فمن جهة تشكل الجماعة، بما تتسلح به من سلطة الأعراف والتقاليد، وبما تنطوي عليه من منظومة قيمية مصدراً خارجياً للإلزام، تطبق على أفرادها قوانين وضعية من ثواب وعقاب ماديين أو جزاءات معنوية من مدح أو ذم، ويبرز الدين كذلك مصدراً خارجياً للإلزام بوصفه موحى به من الله، وهو يستمد قوته الإلزامية من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، وقد يكون مصدر الإلزام داخل الإنسان ذاته، ونابعاً منه، وهو ما يطلق عليه الفلاسفة اسم الضمير، بوصفه ملكة عقلية تشرّع بذاتها ولذاتها دون أي عون من مصدر آخر سوى العقل ذاته[١].

لزوم رد الهدايا: مصطلح (فرنسي) معناه العام prestation (مال، او خدمات، أو عمل، واجب الرد او الأداء) اقتبسه عالم الاجتماع الفرنسي (مارسيل موس) واعطاه معنى محددًا هو لزوم رد الهدايا، فتقديم الهدايا في اغلب الشعوب البدائية واجب اجتماعي يزيد من مكانة من يقوم به، ويقلل من مكانة من يتوانى عن ادائه، والهدية المقدمة دَيْنْ واجب الوفاء به، ومن هنا جاء الإلزام في ردها، إعتبار التقدير والإهتمام اللذين يحظى بهما الفرد في مجتمعه ولذا فهو التأثير الذي يمارسه الشخص على أفراد مجتمعه عن طريق المنزلة التي يشغلها، ونتيجة لقيامه بإدواره الاجتماعية المختلفة بإسلوب معين، والمصطلح وثيق الصلة بمصطلحي (المنزلة) و(الدور) فالأدوار التي يقوم بها الفرد في مجتمعه تخوله تبوأ منزلة اجتماعية معينة، وان رغبته في الحصول على مزيد من التقدير، وخوفه من فقدان القدر الذي يتمتع به منه، يؤثران الى حد بعيد في طريقة ادائه لأدواره المختلفة في المجتمع، ومن ثم المنازل التي يتبؤها [٢].

---

[١]. الموسوعة العربية، الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، المجلد الثالث، ص٢٤٢.

[٢]. شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، الطبعة الاولى،١٩٨١، ص٧٦٩-٧٧٠.

نحاول فهم الدوافع التي تجعل الناس في كثير من المجتمعات ان يكونوا مُلزمين بقبول الهدية والرد عليها وقد خلص موس إلى ان الهدية تمثل ترابطًا بين ثلاثة الزامات هي (العطاء والأخذ وإعادة العطاء أي الرد) والهدية بنية مركّبة، فهي تقوم على السخاء من جهة والإلزام من جهة ثانية، وتهدف الهدية إلى تقوية العلاقات وتماسكها.

الأول: العطاءُ يوجد علاقات ويلزم بها، ويكون مُجبراً ايضًا على القبول لأن رفض أعطية يمكن ان يُعرضه إلى الدخول في شقاق مع من يقّمها[١].

الثاني: إن رفض العطاء أو إهمال الدعوة اليه هو رفض العهد والشراكة وهو بمثابة إعلان الحرب، ومن ثم فإن الهدية هي ما يجب القيام به وما يجب ان تحصل عليه، وأن الشيء المعطى بحد ذاته يشكل رابطًا ثنائياً لا رجعة فيه، فلا يحقّ مطلقًا لأيّ شخص أن يرفض هدية، ويُنظَرُ باحتقار لمن يفعل ذلك أو حتى للذين يتأخرون عن حضور البوتلاتش خشية أن يصبحوا مدينين للآخرين بهدايا لا يقدرون على ردّها بعد ذلك، أي خشية إذلالهم بتحميلهم دَيْنًا يثقل ظهورهم ولا يقدرون على تسديده مما يهدد بتحويلهم إلى أتباع وعبيد[٢].

الثالث: رد الجميل، الردّ على الهدية لابدّ ان يكون بمثلها أو بإفضل منها كما يترتّب على عدم إرجاع الهبة عند قبائل الكواكيوتل فقدان الوجه العبوديّة من أجل الدين فكرامة الشخص تقاس بمدى قدرته على تحمل أعباء الهبات (الديون)، الرد على الهدية يكون بما يماثلها أو يفوقها ثمنًا، ومن ثم تعود الهدية إلى مصدرها الأوّل[٣].

" في الكثير من المجتمعات، يُجبر المرء على العطاء لإن العطاء يوجد علاقات ويلزم بها، ويكون مُجبراً ايضًا على القبول لإن رفض العطية يمكن ان يُعرضه إلى الدخول في شقاق مع من يقّدمها، من شروط البوتلاتش أنّ الهدية لا تعاد في حينها بل يقتضي أن يُنتظر مرور بعض

---

[١]. بياربونت، ميشال ايزار، مصدر سابق، ص١١٠-١١١.

[٢]. مارسيل موس، مقال في الهبة أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه، ترجمة وتحقيق وتعليق، د. محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٣، ص١٨.

[٣]. المصدر نفسه، ص١٩.

الوقت ومن يعيد الهبة في حينها يُنظر إليه كما لو كان قد أساء الأدب في حقّ الواهب، فضلاً عن أنّ الهبة عندما تُعاد في حينها يبدو الأمر كما لو كان لعبة مقايضة اي (تبادل) وتفقد بذلك الهديّة مضمون النبل فيها ويظهر الممنوح وكأنّه يخشى ثقل الدين عليه[١]."

السابع: المجاملة Courtesy

المجاملة من جمل وتجمّلك أي تزين، وجامله مجاملة: عامله بالجميل، وجمّله: حسنه وزينه: ويقال في الدعاء: جمّل الله عليك: جعلك الله جميلاً حسنا، وتجمّل: تكلف الحسن والجمال، وظهر بما يجمل[٢]، هي سلوك يتبعه الانسان لغايات اجتماعية معينة، القصد منها التودد والتقرب وإظهار الألفة وتتسم بقدر من العلاقات، وتختلف طبيعة وحجم المجاملات من سياق لآخر ومن ثقافة لأخرى ومن فرد لآخر، ان من أشكال العلاقات الاجتماعية هي (المجاملة) فالمجاملة التي تُعد نوعاً من المساعدات، ويقصد بها الخدمات التي يؤديها شخص لشخص آخر او يطلبها شخص من شخص آخر وتستند إلى اساس عُرفي، وفي هذا الإطار يرى عالم الاجتماع الامريكي (جولدنر Goldner) أن تبادل المجاملات يقوم على اساس معيار المعاملة بالمثل في تقديم المساعدة، وتتضمن الثقافات هذا المعيار وتقره، لكن بأشكال وصور مختلفة قد يصل التطرف بتطبيقه في بعض المجتمعات إلى خدمة الأصدقاء أو ما يسمى بالمحسوبية وبالمقابل في مجتمعات اخرى، لا يمكن تطبيق المجاملات على حساب الصالح العام[٣]، ان لغة المجاملة هي فعل من أفعال الكلام الذي يلبي احتياجات الوجه الإيجابي، والوجه الإيجابي هي الصورة الذاتية الإيجابية للشخص أو الشخصية وتتضمن رغبة الشخص الكامنة من الآخرين في تقدير صورته الذاتية وتوكيدها، وتدرس العديد من الدراسات اللغوية لغة المجاملة المتعلقة بنوع

---

[١]. مختار مروفل، حول الهدية والمبادلات الانسانية ونشأة الروابط الاجتماعية، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية،٢٠١٩، ص٣، (هامش)، بحث منشور.

[٢]. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر،١١/١٢٦-١٢٧، والفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٨٧،ط٢، مادة (جمل).

[٣]. د. مصطفى بوجلال، مقياس العلاقات الاجتماعية في المؤسسة، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،٢٠١٧، ص١٧، بحث منشور.

الجنس، نظرًا الى الاختلافات الملحوظة في موضوع المجاملة والشهادة والإستجابة، اعتمادًا على جنس المتحدث بالإضافة إلى جنس المرسل إليه، يستعمل المحللون هذه الدراسات لإظهار نظرياتهم حول الاختلافات الكامنة بين الجنسين والتأثير المجتمعي للأدوار الجندرية المتعلقة بالجنسين، ان سلوك عرض المساعدة او طلبها يتوقف على شخصية الفرد التي تقدم له المساعدة او تطلبها وعلى وجهة نظرها في مدى اهمية الخدمة الموجودة منها من الآخرين وعلى نوعها وحجمها، وفيما إذا كانت المجاملة الأولى التي قدمت له قد أُكره عليها صاحبها او كان قد قدمها طوعاً، فشعور الشخص الذي قدمت له المجاملة بإنها قدمت له كنوع من الضغط عليه، فأنه لن يرد المجاملة بالمثل، لابد ان يؤدي به إلى التمرد النفسي لشعوره، ان هذا الموقف يهدد حريته ومن ثم يسعى إلى استرداد حريته فهذه الحالة هي من حالات تقييد الدافعية، ويمكن عدّها قوة مضادة، لذا سميت بالتمرد النفسي[١].

الثامن: المبادلة بالمثل Reciprocity

رد الخدمات والمنافع المادية، بخدمات ومنافع مادية مماثلة، والوقوف مواقف معنوية، وإظهار مشاركة وجدانية مشابهة، والمقابلة بالمثل من السمات الاساسية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعوب البدائية، فالفرد لا يمكن ان يحصل في تلك الشعوب على الخدمات، والمنافع، والإسناد المعنوي، والمشاركة الوجدانية، بغير تطبيق مبدأ المقابلة بالمثل، وقد ارتبط تفسير التناوب بدراسة مالينوفسكي لنظم تبادل الهدايا الـ(كولا) الذي وصفه لأول مرة بإسهاب في جزر التروبرياند إذ يرى ان العلائق الاجتماعية كلها تطورت من مجموعة واجبات وامتيازات مستندة إلى (مبدأ المقابلة بالمثل)[٢].

---

(1). Holmes, Janet. 1996. The role of compliments in female-male interaction. Using English: From conversation to canon. ed. by Janet Maybin and Neil Mercer. London: Open University1987.p39.

[٢]. د. شاكر مصطفى سليم، مصدر سابق، ص٨٠١.

في الأنثروبولوجيا الثقافية، تشير المعاملة بالمثل إلى التبادل غير السوقي للسلع أو العمالة التي تتراوح بين المقايضة المباشرة (التبادل الفوري) إلى أشكال تبادل الهدايا حيث يتوقع العائد في النهاية (التبادل المتأخر) كما هو الحال في تبادل هدايا أعياد الميلاد.[١].

عندما يكون التبادل فورياً في المقايضة لا يخلق علاقة اجتماعية، وعندما يتم تأخير التبادل فإنه يخلق كلاً من العلاقة وكذلك التزامًا بالعائد (أي الدين) ومن ثم يمكن لبعض أشكال المعاملة بالمثل إنشاء تسلسل هرمي إذا لم يتم سداد الديون، الفشل في تحقيق عائد قد ينهي العلاقة بين متساوين والتبادل المتبادل يمكن أن يكون له أيضًا تأثير سياسي من خلال إنشاء إلتزامات متعددة وإنشاء القيادة، كما في تبادل الهدايا بين الرجال الكبار في ميلانيزيا لذلك ترتبط بعض أشكال المعاملة بالمثل ارتباطًا وثيقًا بإعادة التوزيع، حيث يتم جمع السلع والخدمات بواسطة شخصية مركزية لتوزيعها في نهاية المطاف على المتابعين[٢].

التاسع: التبادل Exchange

اما مبدأ التبادل فهو إعطاء شيء مقابل شيء آخر قد يكون مكافئا أو غير مكافئ له، فهو إذن عطاء وأخذ أو أخذ وعطاء[٣]، وليس هناك تبادل بالعطاء فحسب أو بالأخذ فحسب، فالسرقة والسلب ليسا تبادلاً فهما أخذ فحسب، وكذلك التبرع والتصدق وتقديم المساعدة .. وينطبق الأمر كذلك على كل إجبار على العطاء من غير الأخذ أو العكس.

وقد عرف جورج هومنز التبادل بأنه عملية تفاعلية تقع بين شخصين كل شخص يقدم شيئاً للشخص الآخر وعندما يستلم ذلك الشيء يرجع قيمته أو اكثر من قيمته إلى الشخص الآخر،

---

(1).Parry,Jonathan "The Gift, the Indian Gift and the 'Indian Gift'". 1986,Man. 21 (3): 466–8.

(2). Sahlins, Marshall Stone Age Economics. Chicago: Aldine–Atherton(1972), p55.

(3) . Mauss, Marcel, The Gift, Trance.I. Cunnison, New York, The free Press, 1954, p. 43

وهذا السلوك إنما يقوي العلاقات ويبني اسس الجماعات ويزيل الخلافات والأحقاد والشكوك بين الأفراد[١].

إن التبادل من أهم آليات تشكل البنيات نتيجة مشاركة بنيتين أو أكثر في الأخذ والعطاء، فالتبادل هو الذي ينشئ التجاذب ومن ثم الترابط ضمن بنية واحدة، أن ما معي يجذبك لكي تأخذه وتضمه إليك، كذلك ما هو معك يجذبني لكي آخذه وهذا ينشئ قوى تؤدي إلى إجراء التبادل، وبعد إجراء التبادل ينتفي التجاذب إلا إذا كانت هناك قوى لتبادل جديدة، فتكرار الأخذ والعطاء لا بد منه لاستمرار التجاذب، ولا يقتصر التبادل على تبادل الخيرات أو المنافع المادية بل يتعداه إلى تبادل رمزي للأفكار، ويمكن القول إن التبادل المادي يتضمن تبادلًا رمزياً لأن كل سلعة تكون موضوعاً للتبادل تحمل في طياتها علة ومنطق ورؤية صانعها، يقول آدم سميث (لم نر قط كلبين يتفاوضان في أمر اقتسام قطعة عظم، لم نر أبدا أن حيوانًا يحاول إفهام حيوان مثله، مستخدماً صوته أو حركات جسمه، فيقول له: هذا لي، وهذا لك، سأعطيك مالي مقابل أن تعطيني مالك...)، ينطلق أدم سميث من هذه الملاحظة المقارنة بين الإنسان والحيوان ليخلص إلى أن التبادل خاصية إنسانية بامتياز، لأن التبادل يستلزم الحوار واللغة والتفاوض والتفكير في الأحجام والقياسات والمعادلات... وكل هذا مرتبط بالفكر والعقل، والحيوانات لا تستطيع مجاراة الإنسان في هذا المجال[٢].

وبما أن التبادل خاصية إنسانية، فإنه لا يتأسس على العاطفة أو الشفقة أو الرحم، بل يتأسس على مبدأ العطاء والأخذ، فكون الإنسان اجتماعياً، يعني الدخول في علاقات مع الآخرين وتبادل المنافع معهم، وإذا ما اعتمد الإنسان على مساعدة الآخرين وعنايتهم به فحسب فإنه لن يضمن إشباع حاجياته بإستمرار، لذلك يستحسن أن يقدم الفرد للآخرين خدماته لقاء الحصول على خدماتهم، وبهذه الطريقة يتأسس التبادل على مبدأ الخدمات المتبادلة على أساس

---

(1) .Humans, G. Social Behavior: Its Elementary Forms, Routledge and Kegan Paul, London, 1959, p. 317.

[٢]. د.عبد الله ظهري، التسويق عشق. متعة.ابداع، استاذ ادراة الاعمال جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٧، ص٤٨.

إشباع الاحتياجات المتبادلة، يقول سميث (أعطيني ما أحتاجه منك، وسأعطيك أنت ما تحتاجه مني)، بهذه الطريقة يتم الحصول على الجزء الأكبر من هذه الخدمات النافعة والضرورية بين الناس)، التبادل هو الفعل الذي يتم دفع ثمنه، كلمة (الدفع) لا تفترض بإي حال من الأحوال وجود المال، بل يمكن للمرء أن يدفع عينًا، وينطبق الشيء نفسه في أي مقايضة اقتصادية، التنازل عن سلعة واحدة للحصول على آخر يمثل دفع ثمن هذه السلعة الأخرى، ومن ثم فإن التبادل هو عكس الهدية، مثلما أن دفع مقابل شيء ما هو عكس الحصول على شيء مقابل لا شيء، ولا يوجد تبادل من غير نظير، كل سلعة تم تبادلها تعدّ نظيرة للسلعة الاخرى، لكن النظير قد يوجد أيضًا في نشاط صنع الهدية، يمكن للطفل الذي حصل على كرة من زميله في اللعب، في وقت لاحق أن يقدم له هدية من إحدى كراته، هذه طريقة للشكر والحفاظ على علاقة ودية، هذا إذن هو مثيل لهدية مضادة، ولايجوز تأجيل الهدية والهدية المضادة، لكن قد يرغب المستلم في تقديم هدية مضادة على الفور والتي لا تغير حقيقة أنه تلقى بالفعل هدية وقدم هدية معاكسة وبالمثل، قد يكون التبادل فورياً أو مؤجلاً، ان من شروط البوتلاتش أنّ الهبة لا تعاد في حينها بل يقتضي أن يُنتظر مرور بعض الوقت ومن يعيد الهبة في حينها يُنظر إليه كما لو كان قد أساء الأدب في حقّ الواهب، فضلاً عن إنّ الهبة عندما تُعاد في حينها يبدو الأمر كما لو كان لعبة مقايضة اي (تبادل) وتفقد بذلك الهديّة مضمون النبل فيها ويظهر الممنوح وكأنّه يخشى ثقل الدين عليه[1].

وهذا ما يدل على أن هناك فرقاً بين المفهومين، نخطأ دائمًا في الخلط بين التبادل والمعاملة بالمثل،لأنه إذا كان التبادل بالفعل شكلاً من أشكال المعاملة بالمثل، فليست كل الأفعال المتبادلة هي التبادلات، المعاملة بالمثل المرتبطة بالجبر ليست هي نفسها كما في التبادل الجبر كونه ليس هبة أو تبادل وهو نقل من نوع مختلف، إنه نقل ينتج عن التزام لا رجعة فيه (الطرف المظلوم له الحق في المطالبة بالتعويض من الشخص الذي تسبب له في الخطأ).

---

[1]. مختار مروفل، حول الهدية والمبادلات الانسانية، مصدر سابق، ص٣ .

يرى عالم الانثروبولوجيا الإنجليزي (آدمون ليتش) إن المبادلة لا تكون شيئًا ما فحسب، ولكنها تعبر عن شيء ما، فلو انني اعطيتك هدية فإنك مُلزم اخلاقياً بإن ترد إلي هدية، وفي المصطلحات الاقتصادية فإنك مدين إلي، ولكن في المصطلحات الاتصالية فإن بالمبادلة يكون تعبيراً عن الشعور المتبادل بإن كلانا ينضم إلى السياق الاجتماعي نفسه، وعلى ذلك فإن المبادلة تمثل جانبًا تعبيرياً بالنسبة الـى (ليتش)، فقد رأى ان الطريقة التي يتم بها تبادل الهدايا تقول شيئًا ما عن العلاقات القائمة بين الافراد من حيث ارتباطها بالمساواة او عدم المساواة في المكانة، وفي ذلك يقول ليتش، فلو انك رددت الي هديتي بأسلوب مماثل تمامًا، كأس من العصير بكأس من العصير، فأن السلوك هذا يُعبر عن المساواة في المكانة، ولكن لو ان المبادلة تتضمن هدايا مختلفة في النوع (انا اقوم لك بعمل وانت تُعطي الأجر) فإن السلوك يُعبر عن عدم المساواة في المكانة[١].

الإلتزام وشرط السداد

في الواقع لا توجد علاقة اجتماعية من غير إلتزام، سواء كانت علاقة القرابة أو الإلتزام العاطفي أو علاقة المواطن بالدولة، توجد الإلتزامات في كل مكان لكنها ليست كلها من نفس الطبيعة لا يكون الإلتزام منطقياً إلا إذا تم تحديد نوع الإلتزام، لقد كتب فقهاء القانون أطروحات شاملة حول الإلتزامات، والتمييز هنا بين الإلتزام الأخلاقي والإلتزام القانوني، ألاخلاقي يكتفي بضميرك، لكن الإلتزام المعترف به قانونًا يمنح حقوقًا لمن لديه هذا الالتزام عليك ويعطيه وسائل العمل، قد نقول إن التبادل يتضمن إلتزامًا قانونياً بتزويد الطرف المقابل، في حين إن الهدية لا تحمل مثل هذا الإلتزام القانوني من الممكن أن يكون إلتزامًا أخلاقياً، قد نربط هذا حتى بمفهوم العقوبات الذي نميز فيه بالمثل بين العقوبات الأخلاقية والقانونية[٢].

---

[١]. ربيع كمال كردي صالح، آدموند ليتش وإسهاماته في الانثروبولوجيا الاجتماعية، جامعة بني سويف، كلية الآداب، قسم الاجتماع،٢٠٠١، ص٢١، رسالة ماجستير غير منشورة.

(2). Ibid,p.p.259.

المراجعة المنهجية للمفهومات

المبحث الثالث: البعد الزماني والمكاني للهبة

يمكن مناقشة فصل المفهومات وفق معايير خاصة والتي تتمثل ببعديها الزماني والمكاني فتارةً يكون المفهوم مرتبطاً بالبعد الزماني وآخرى بالبعد المكاني ومرة آخرى قد يأخذ البعدين معاً، فقد بينا إن مفهوم الهبة هي العطية الخالية من الأعواض والأغراض، وهي كل مايهبه الله تعإلى لعبده من نِعم، وإنما هي رزق ولطف منه تعإلى وليس لغاية التقرب وكذلك عندما يهدي المرؤوس إلى الرئيس فهو يهدف إلى التقرب والتودد، وغالبًا ما تُقدم من أعلى إلى أدنى في المنزلة.

فمثلاً الصدقة تتمثل ببعديها الزماني والمكاني وهي هبة يقدمها الفرد الذي يتمتع بمستوى اقتصادي جيد لغيره من المحتاجين، إذ يبتغى منها ثواب الآخرة كما حث عليها الدين الإسلامي في الكتاب والسنة في العديد من أحاديث النبي واهل بيته (عليهم السلام) مقابل معنوي يتمثل في دعاء من المتلقي وأجر من الله.

توجد هدايا مقدسة تكتسب هذه الصفة من المكان الذي جلبت منه، نعني بها هدايا الحج والعمرة التي يجلبها الحاج من مكة والمدينة المنورة ذلك المكان المقدس والتي تتمثل بـ (ماء زمزم)، وسجادات الصلاة، وما يظهر ذلك هو تعامل الأفراد مع هذه الهدايا بحيث يتم الاحتفاظ بها لمدة طويلة وذلك تبركًا بها.

هناك أيضًا هدايا قدسيتها من قدسية المكان الذي يمنحها، على سبيل مثال الزائر لحرم الإمام الرضا (عليه السلام) يجلب معه الهدايا لإقربائه واصحابه إذ تكون لها خصوصية معينة ايضًا يتم الإحتفاظ بها للتبرك، لا نعني هنا إن الطبيعة هي من منحتهم صفة القداسة، بل الأفراد الذين جعلوا من هؤلاء شخصيات مكرمة، واجب احترامهم وتقديسهم اجتماعياً وليس تقديسًا دينياً الذي يقصد به عبادتها.

دائمًا ما تكون المناسبات السعيدة مرتبة ومخططاً لها في حين المناسبات الحزينة فيغلب عليها صفة الفجاءة، فالهدايا التي تأخذ شكل مساعدات وتضامن اجتماعي يكون غير محضر

لها عند وقوع وفاة لأنها حدث يقع فجأة، بينما مناسبات الأفراح كالزواج والختان على سبيل المثال يكون مهيء لها ومعروف موعد الاحتفال بها، وتعطي للفرد فرصة لتدبر قيمة الهدية ولاختيارها.

إذن فالهدية تتسم بالدورية والسنوية في المناسبات الدينية والثقافية، وهذا يرتبط بالإحياء السنوي للإحتفال بهذه المناسبات التي يتبادل خلالها الأفراد الهدايا، وتتسم بالظرفية في المناسبات الاجتماعية والمجاملات لأنها مناسبات أو وقائع لا تتكرر بصفة منتظمة، فالمناسبات التي يحتفل بها الأفراد تتسم بالدورية اما أن تكون سنوية أو ظرفية أو يومية ومنها:

زكاة الفطر في شهر رمضان يُقدم صاعٌ من تمر أو صاعٌ من شعير... فهي واجبة على كل رب أسرة ومن هم في إعالته بغض النظر عن سنه وجنسه ومستواه الاقتصادي، إذ يَقدم الناس على إخراج زكاة الفطر نقدًا من أجل تحقيق التضامن الاجتماعي وهي هدية ملزمة شرعاً، يجب تقديمها للفقراء من أجل تصحيح أخطاء وهفوات الصيام، وتمنح عادة لأفراد تربط بينهم وبين المانح علاقة معينة قد تكون قرابة أو جيرة أو صداقة عمل بل (الأقربون أولى بالمعروف)، وتكون معروفة ظروفهم المادية، فليس لشخص غريب أن يأخذها إلا إذا تولت جمعية المسجد جمعها وتوزيعها.

ايضًا مناسبة عيد الفطر مع نهاية شهر رمضان وثبوت رؤية هلال شوال يحتفل الناس بعيد الفطر في الأيام الأخيرة من شهر رمضان إذ يعمد رب الأسرة بإقتناء ملابس العيد لإطفاله وزوجته وتعدّ أول هدية يحصولون عليها في هذه المناسبة (العيد)، ففي صباح يوم العيد وأثناء أداء صلاته وخلال التكبير والتهليل، تبدأُ حركة إعطاء الهدايا العينية بين الجيران أولًا، ثم تنتقل في باقي النهار إلى الأقارب والمعارف، وتتمثل هذه الهدية الطبق من الحلويات التي دأبت النساء على تحضيرها في المنزل أو شراءها جاهزة قبل أيام من العيد.

ان العطاءات التي يفرضها الدين الإسلامي مقدسة دينياً كزكاة الفطرة، والصدقة، ومنها ما تعارف الأفراد على ممارسته ليأخذ شكل عرف اجتماعي ثقافي، وترتبط قدسية ممارسة الهدية من قدسية المناسبة كيوم النحر (عيد الأضحى) وهو طقس ديني مقدس، إذ تظهر فيه العناية الإلهية

والحكمة الربانية، ويحمل دلالات رمزية للتقرب من الله، فتوزيع جزء من لحم الأضحية (هدية) يعد ممارسة مقدسة.

الإلزام: فقد ذهب (مارسيل موس) إلى عدّ الهبة ظاهرة اجتماعية كلية، فهي تمثل ترابطا بين ثلاثة إلتزامات العطاء (تقديم الهدية)، وقبولها، والرد عليها بإعادة الشيء الموهوب ذاته أو يماثله في القيمة أو أعلى منه قيمة وهذه الإلتزامات المترابطة تدفع الهبات سواء كانت أشياء أو خدمات أو أشخاص نحو العودة إلى مانحها الأصلي، لإنها تشكل إمتداداً له، وهذا ما يضفي على علاقة الواهب والموهوب له صفة الإزدواجية، بحيث تنشأ علاقة تضامن وتعاون نظرا الى اقتسام الأملاك عن طريق تقديمها كهدية، أما من جهة أخرى تنشأ علاقة تمايز وتبعية إذ يصبح الموهوب له مديناً للواهب إلى وقت الرد عليها.

توجد مناسبات تُقدم فيها الهدايا كعيد الأضحى مثلاً فيتم توزيع لحم الأضحية على الفقراء، وكذلك في شهر رمضان تقام فيه الولائم إضافة إلى ذلك توجد الأعياد الشعبية وتشمل المولد النبوي، وكذا عيد الأم إذ تُعدّ من الهدايا غير الملزمة بالرد.

المجاملة: تدخل الهدايا المتبادلة دون مناسبة ضمن دائرة المجاملات، التي يمكن أن يتبادلها الأفراد خلال تفاعلاتهم ولقاءاتهم اليومية، فليس لها زمن معين ولا مكان معين ولا مناسبة معينة فيمكن أن تمنح في أي لحظة لبساطتها ولهذا أطلقنا عليها لفظة (مجاملات) والتي من خلالها خلص موس قائلاً ان الهبات وان كانت لا تدخل في اطار النفعية الا اننا ما زلنا نحافظ على مبدأ رد الدعوات وتبادل المجاملات اليومية ووهب الهدايا في الاعياد والمناسبات وحفلات الزفاف واقامة الولائم إذ ان اليد العليا خير من اليد السفلى في جميعها المجتمعات.

المبادلة بالمثل: قاعدة اجتماعية تتضمن التبادلات العينية بين الناس والتبادل بين طرفين أو أكثر، بشكل عام (وإن لم يكن دائماً) لتحقيق المنفعة المتبادلة في الحياة الاجتماعية، عادة ما يكون ذلك إيجابياً (على سبيل المثال رد الجميل) ولكنه قد يكون أيضاً سلبياً (مثل معاقبة الفعل السلبي) كما تُسهم المعاملة بالمثل في تطوير التماسك والترابط المجتمعيين، والمبادلة بالهدايا هي عادة مألوفة في كثير من المناسبات الدينية والاجتماعية وحتى الثقافية، مثل تقديم هدايا عيد

الميلاد إذا قدمنا هدية عيد الميلاد لجيراننا، فإننا نتوقع بشكل عام تقديمها في المقابل، وإذا قدمنا هدية لطيفة فإننا ايضًا نتوقع هدية لطيفة بالمثل، ان فعل إعطاء هدية يستلزم هدية متبادلة إذا كانت هناك علاقة اجتماعية يجب الحفاظ عليها اما إذا لم يتم تقديم هدية متبادلة، فهذا يشير إلى نهاية العلاقة إذن غالباً ما تتخذ الهبات شكلاً دورياً (كما هو الحال مع هدايا عيد الميلاد) وهي طريقة أساسية للحفاظ على العلاقات الاجتماعية بين البشر، إن الانسان الذي يقدم الهدايا للأصدقاء والأعداء المحتملين من أجل إقامة علاقة، عن طريق وضعها في الديون، ومن أجل استمرار هذه العلاقة، يجب أن يكون هناك فارق زمني بين الهدية والهدية المقابلة، إذ ان هذا الفعل غير ملزم بزمن معين ومكان معين.

الفصل الثاني

التوجهات الاكاديمية للدراسة

تمهيد:

يجب التعرف على التوجهات الأكاديمية للدراسة لإنها تُعبر عن تلك الموضوعات التي ضمنتها الدراسة الحالية بمساراتها المباشرة او غير المباشرة، وتتضمن عرضاً لتلك الموضوعات بشكلها الموجز كونها تُعد من الأمور العلمية الأساسية للدراسة ولكونها تنير الطريق أمام الدراسة، ومن ثم تمكن من الوصول إلى المستوى العلمي المطلوب.

ومن غير الصواب القول إن الباحث في العلوم الاجتماعية يمكن إن ينكر أهمية الدراسات السابقة في توجيه الدراسة بإطاريها النظري والميداني حتى وان ابتعدت تلك الدراسات أو اقتربت من الموضوع المدروس كونها تسهم بشكل أو بآخر في توجيه الدراسة إلى أهم القضايا الرئيسة التي ينطلق منها الباحث .

وتكمن الأهمية من تخصيص فصل خاص بتوجهات الدراسة وهي امتداد إلى منهجية الدراسة، إذ ترتبط منهجية الدراسة بالتوجهات ارتباطًا وثيقًا، في كون التوجهات تتيح إلى إعطاء الدراسة القدرة على التعامل مع ميدان الدراسة ونوعية المادة المطلوب رصدها وفقًا لمنهجية الدراسة وعليه فقد اتسمت دراستنا بعرض نماذج من دراسات عراقية وعربية وأجنبية والتي سوف يتم توضيحها كما يلي:

المبحث الأول: نماذج من دراسات عربية

الأول: زهرة عباس[1]

الهدية في المجتمع الجزائري طبيعتها ودلالاتها الرمزية دراسة ميدانية بمنطقة تيارت

إعتمدت الدراسة على نظام تبادل الهدايا لإنها تُعد ظاهرة عالمية عرفتها شعوب العالم جميعها بأختلاف جغرافيتهم وثقافاتهم، إذ عُرف الافراد منذ القديم بإهمية التبادل كنظام اقتصادي الذي تبنته معظم المجتمعات الانسانية البدائية، ومن بين اشكال التبادلات الاقتصادية في المجتمعات البدائية ظاهرة الهدية والكيفية التي تتم فيها تبادل الهدايا بين تلك الشعوب والتي اعتمدت وفق قواعد وأُسس شعائرية وطقوسية وسياسية واخلاقية اختلفت فيها الوظائف والمناسبات في تبادل الهدايا بين تلك المجتمعات.

بما أن الهدية ممارسة يختص بها الأفراد في المجتمع، فهي نتيجة التفاعل والتأثير المتبادل المعبر عن علاقة تجمع بين فردين على الأقل، وانطلقت الدراسة لموضوع الهدية من حيث انتهى مارسيل موس والانثروبولوجيون الذين درسوا نظام التهادي، غير ان المتغير في هذه الدراسة هو المجال الجغرافي، فقد أهتمت الدراسة لممارسة تبادل الهدية بين مجتمعات قبائل شمال الغرب الامريكي وجزر المحيط الهادي وقبائل التيف وجزر التروبرياند ثم تحولت الدراسة في محاورها إلى الحضارة العربية الاسلامية في المجتمع العربي، يوصف ان هذه المجتمعات اعتمدت في نظامها على تبادل الهدايا كنظام اقتصادي لسد احتياجاتهم ومن اجل المنفعة المادية هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الهدايا تُعد وسيلة ثقافية تُبرهن عن التقاليد والعادات واعراف الشعوب ومن ذلك في ممارستها الرمزية لما تحمله من مضامين إذ ان الهدية لغة التواصل بين تلك المجتمعات.

---

[1]. زهرة عباس،الهدية في المجتمع الجزائري طبيعتها ودلالاتها الرمزية دراسة ميدانية بمنطقة تيارت، اطروحة دكتوراه، منشورة،٢٠١٨-٢٠١٩، جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع. http://e-biblio.univ-mosta.dz/handle/123456789/13491?show=full

المحور الآخر من الدراسة بينت إستعراض لعدد من النظريات لعدة علماء وفق مقاربات انثروبولوجية وسوسيولوجية وهذه المقاربات على الرغم من الأختلاف في الخصائص بين المنظرين إلا انها تُسهم في تشكل روئ حول تفسيرات لطبيعة السلوك الانساني، وهذا يعمل عليه اغلب الباحثين في تبني نظرية ما لأنها تُقدم وتساعد الباحث للتوصل إلى تفسيرات وتحليلات الظاهرة المدروسة، وهذا يعني الإرتباط المتلازم بين الواقع بما هو كائن وبين العلم بإفكاره للوصول إلى الحقائق العلمية عن طريق الدراسة، أي التنظير والبحث العملي الميداني، لذلك يكون أهم وظائف النظرية إنها متعلقة بتأويل ما تكتشفه، وقدرة الاتفاق عليه من الواقع.

بينت الدراسة عدداً من النظريات كان اهمها مقاربة للهبات في الإلزامات الثلاثة لمارسيل موس المتمثلة في العطاء (تقديم الهدية) وقبولها، والرد عليها والرد عليها بإعادة الشيء الموهوب ذاته أو ما يماثله أو أعلى منه قيمة، والنظرية الاخرى (الوظيفية) وتسمى البنائية الوظيفية حسب مالينوفسكي لا يمكن فهم فكرة الوظيفة بعيدا عن فائدة الظاهرة أو النشاط موضوع الدراسة، فالسلوك البشري أيًا كان يؤدي بالضرورة إلى إشباع بعض الحاجات التي يشعر بها الإنسان، وهذه الوظيفة التكاملية تختلف من مجتمع إلى آخر تبعًا لنمط الثقافة والنظم الاجتماعية التي تسود فيه، اما نظرية الفعل الاجتماعي والذي يُعد ماكس فيبر احد اقطاب هذه النظرية التي تركز على الـ(Micro) المستوى الأصغر ولا سيّما على أسُلوب الافراد في التفاعل اكثر من المستوى الاكبر الـ(Macro) الذي يشمل البناء الكلي لتأثيرات المجتمع على اسلوب الافراد، وبينت الدراسة نظرية الممارسة الفعلية لبيار بورديو والتي تضمنت نشاطاً إنسانياً، وليست مجرد فعل آني لكنه فعل موجه من الماضي، يمثل محصلة خبرات مكتسبة أو موروثة، تتضافر لتقييم الواقع المعاش وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة الممارسة، وقد اتصفت هذه النظرية في بيان بورديو والذي ركز فيها على الرأسمال الاجتماعي والذي يكتسبه الفرد بالتنشئة.

واخيرًا حاولت الدراسة التعرف على نظرية رائد التأويل الرمزي (كليفورد غيرتز) إذ بينت المنهج الذي استعمله غيرتز المتمثل بالوصف الاثنوغرافي المكثف بوصف ان موضوع الدراسة

نسيج من المعاني والرموز التي يتصف بها تبادل الهدايا، لذلك فأنه يتطلب التحليل والوصف التأويلي.

يستعرض محور من الدراسة الإجراءات المنهجية في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع المتبعة في الدراسة، بحيث تطرقت إلى وصف المقاربة المنهجية التي اعتمدتها الدراسة وكذلك التحليل السوسيو انتروبولوجي الذي يركز على فهم العلاقات بين الأفراد والنظم الاجتماعية، إذ يظهر الجانب الأنتروبولوجي من الناحية المنهجية من خلال استعمال الباحثة للوصف الاثنوغرافي عن طريقة الملاحظة بالمشاركة، واستفادت من الإرث الأنتروبولوجي في دراسة موضوع نظم التبادل وأبعادها، إضافة إلى محاولة فهم ظاهرة الهدية بوصفها ممارسة ذات إطار مرجعي، ولها علاقة بثقافة المجتمع المدروس.

ان التنقل إلى الدراسة الميدانية والغوص في اعماق مجتمع الدراسة من خلال الإقامة الحقلية والكيفية التي من خلالها تمكن الباحث من مشاهدة عمليات التبادل التي تتم في المجتمع وذلك عن طريق الادوات التي مكنت الباحث من الوصول إلى الحقائق المشهودة كالملاحظة والملاحظة بالمشاركة والتي تمكن الباحث ان يكون جزءاً من المجتمع المدروس وايضاً اجرت الباحثة عدداً من المقابلات الميدانية والتي اشتملت على كافة فئات افراد المجتمع بوصف ان موضوع الهدية لا يمس شريحة دون اخرى، وذلك من خلال استثارة الباحثة لبعض المعلومات او التعبيرات لدى المبحوث، وان الجمع بين اداتين او اكثر تكون مكملة للثانية في البحث الحقلي كما يعبر غيرتز، إن الهدف المرجو من المقابلات الميدانية هو التعرف على اكبر عدد من البيانات، اما عن كيفية تسجيل البيانات الميدانية فكانت المشاهدات الميدانية وفق دفتر ملاحظات يتم تدوين كافة البيانات بشكل دقيق.

وقد بينت الدراسة كيفية تحليل المعطيات الميدانية، والتي تكشف لنا عن الجوانب الجوهرية في المواقف او الموضوعات، إن عملية تحليل البيانات والأفكار تقوم أساسًا على تصنيف هذه

البيانات وتجزئة أفكارها، فقسمت مرحلة تنظيم المعطيات الميدانية وتحليلها إلى خطوات أساسية لتسهيل العمل الميداني.

تحاول الدراسة ان تعرض بعضاً من حدود الدراسة الميدانية ومونوغرافيا المنطقة التي تمت بها الدراسة الحقلية والمدة الزمنية التي قضتها الباحثة في مجتمع الدراسة، وإعتمدت الدراسة على الجانب الثقافي لمجتمع الدراسة من العادات والتقاليد او كما تسمى ضمن الثقافة المادية والمعنوية.

ليس بإمكان مجتمع من المجتمعات أن يعيش في فراغ، بل لكل مجتمع إقليم خاص يرتبط به ويشغل مساحة من الأرض، تحيط به ظروف جغرافية و بيئية معينة تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتطبعها بطابع مميز يتلاءم وحياة الإنسان الذي يعيشها.

وناقشت الدراسة في هذا المحور مفهوم الهدية وبعض تعريفات العلماء على أساس اجتماعي ثقافي ديني اقتصادي، والتأكيد على الظاهرة بوصفها تبادلية وربطها بمناسباتها التي من خلالها تُمارس عملية التبادل والتي قد صُنفت مما تم جمعه من بيانات ميدانية، وقد صُنفت هذه المناسبات وفقاً لتقاليد وعادات مجتمع الدراسة منها الدينية او المواسم والتي أخذت الطابع الاسلامي والثقافي من حيث هي مناسبات تُعبر عن الهوية الثقافية لأفراد مجتمع الدراسة.

في هذا المحور من الدراسة اكدت الباحثة ما توصلت اليها من نتائج هي ان الهدية ممارسة وشكل من أشكال السلوك الإنساني الذي تحكمه قواعد وفق نظام تفنده الثقافة المحلية للمجتمع، فلا تخرج ممارستها عن الإطار العام للهوية الثقافية المحلية إرتباطها بمناسبات مستمدة من التاريخ والديانة الإسلامية، وكذا عادات وشخصيات خلدها تاريخ الحضارات التي مرت بها المنطقة والجزائر ككل، أضف إلى ذلك تداخلها وامتزاجها بديانات ومعتقدات أسطورية وخرافية نظرًا الى إرتباط الأفراد بالموروث الشفهي والعادات والتقاليد المتوارثة عبر أجيال، الذين يعملون على إحيائها والحفاظ عليها أثناء الاحتفال بمختلف المناسبات، وفي أحيان أخرى ترتبط

بمناسبات وافده من ثقافات أخرى مغايرة، وقد ترتبط بأحداث عالمية، وتُعد الهدية ممارسة رمزية يقوم بها الأفراد بمناسبة ومن غير مناسبة وتحمل دلالات وقيماً اجتماعية.

الثاني: آمال شرايري

التبرع بالدم في الجزائر دراسة سوسيو-انثروبولوجية[1]

أستعرضت الدراسة موضوعها وهو التبرع بالدم والاسباب التي دعت الباحثة الى ان تكتب في هذا الموضوع من خلال تأثرها والإستغراب الذي شغل الباحثة بعدم توافر الدم في المستشفيات إلا من خلال تبرع اهالي المرضى، وإن هذه الدراسة اخذت في سريانها تخصصين علميين هو الانثروبولوجيا والصحة، لإن الدم من جهة كونه سائلاً يحمل دلالات رمزية، وموضوعاً لمعانٍ عدة ولتصورات إنسانية هذه الميزات أهلتُه ان يكتسب مكانة هامة، وكذلك تحفيز بعضهم إلى هذا النوع من العطاء.

بينت الدراسة من خلال العمل الحقلي الميداني التعرف على ثلاثة أنماط للمتبرعين وهم متبرعون لفائدة شخص من العائلة، ومتبرعون ظرفون، وبين متبرعين شبه منتظمين، كذلك ارست دعائم هذه الدراسة على المعاني والدلالات الخاصة بالجسد والذي وضع فيها الجسد كمشروع دراسة يأخذ بنظر الإعتبار ثلاثة مستويات للتحليل، **المستوى الأول** الذي يتعلق بالجسد الفردي بالمفهوم الفينومينولوجي اي هو تفكير بالمفهوم الظاهري للتجربة التي يجتازها الجسد بحد ذاته، **المستوى الثاني** المتعلق بالجسد الاجتماعي والتي تبرز التصورات التقليدية للجسد يتعامل فيها مع طبيعة المجتمع وثقافته، **المستوى الثالث** هو سياسة الجسد، اين تحدث عملية حراسة ومراقبة الجسد في مجالات التكاثر والجنس والعمل والاهتمامات والمرض واشكال اخرى للجنوح والاختلاف بين الافراد.

---

[1]. آمال شرايري، التبرع بالدم في الجزائر دراسة سوسيو-انثروبولوجية، دراسة ماجستير في علم اجتماع الصحة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع،٢٠١٠-٢٠١١.

أعتمدت الدراسة على المنهجية الاثنوغرافية لنظم العلاقات التبادلية والتي تندرج وبصورة اساسية ضمن السياق الانثروبولوجي للهبات يخضع للدراسة التحليلية للهبات، والتي اختارت دراسة الهبات كمرجع نظري في هذه الدراسة لما تحتويه على العناصر الاساسية في الهبات، وعد ان موضوع التبرع بالدم لا يبتعد عن الاطار العام لنظرية (مارسيل موس) في دراسته للهبة، بوصف ان الدم يستعمل كقربان في الكثير من طقوس السحر والشعوذة لدى المجتمعات القديمة والذي يعدّ فيها التضحية بالدم أساسياً في ممارسة الطقوس والذي يُعرفها مارسيل موس على أنها ذلك الفعل الذي بموجبه ينذر بأضحية من شأنها ان تُغير من حالة الشخص العقلية عند اتمامها (اي عند انتهاء مراسم تقديم القرابين) وبما ان التبرع بالدم لا يخلق رابطاً شخصياً لذا فإنه لا يتضمن علاقات تبادلية، ان خضوع تبرع الدم إلى قاعدة الفعل الاجتماعي الكلي الذي يجعل من التبرع نوعًا من الإلزام غير ان هذا الإلزام ليس قصرياً بل رمزيًا، لذا فهو فعل ذو مكسب اخلاقي وذاتي لا إكراه اجتماعي.

واعتمدت الدراسة على المقابلات المتكررة والهدف هو إستيفاء جوانب الموضوع تمنح المتكلم حرية التعبير ومن غير قيود منهجية، وإعتمدت المقاربة التفاعلية لوجود العنصر التفاعلي بين المتبرع والمؤسسة المستقبلة، والإستعانة بتقنية الملاحظة المباشرة والتي خصصتها الباحثة لرصد سلوكيات المتبرعين والتعرف إلى نوع العلاقة بين المتبرعين والطاقم العامل في مركز التبرع.

بعد إستكمال العمل الميداني للدراسة توصلت إلى مرحلة التحليل والتي حاول الباحثة من خلالها المزج بين المعطيات الميدانية والقراءات التي أطلع عليها الباحثة وتبين انها تتناول موضوع الهبات والدراسات الانثروبولوجية التي اهتمت بسائل الدم كموضوع للدراسة، ولأن موضوع التبرع بالدم ذو صبغة حديثة كان لا بد من تحليل يشمل كلاً من الجانبين من منظور سوسيوانثروبولوجي، والكشف عن الدوافع من وراء إلتزام بعض الفئات التبرع بالدم، إذ وصلت الدراسة إلى ان التبرع هو سلوك أرتبط بجملة من التصورات مع أسباب كانت الدافع وراء هذه

الممارسة، فقد أعطى الفعل السلوكي دلالة رمزية مع تقديم التبرير الديني له من بين أسباب الإقبال عليه، ومن خلال الخطابات تبين أن الدافع النفعي له دور بارز في هذه العملية والدافع الرمزي من الأسباب الموضوعية في الإستمرار.

اما فيما يخص العلاقة بين المتبرع بالدم ورؤيته للمؤسسة المكلفة بجمع وتسيير ما يتوافد عليها من تبرعات فقد بينت الدراسة ان المتبرع وعلى الرغم من الرؤية التي يسودها الارتياب فيما يتعلق بتتبع مسار الدم الذي يتبرع به، الا انه يلجأ إلى إستراتيجية هي التي تشجعه على المواصلة وهذه الإستراتيجية تكتسي بصفة الميزة النفعية مع المؤسسة نظراً لإستفادته من بعض الخدمات.

الثالث: السيد حافظ الأسود

الهدية: دراسة انثروبولوجية لعمليات التبادل الرمزي في مجتمع الإمارات[1]

بينت الدراسة موضوعة تبادل الهدايا بوصفها ظاهرة عالمية لا تقتصر على مجتمع معين، ولا يوجد مجتمع من غير نمط التبادل الرمزي، لكن المعاني الخاصة المرتبطة بالهدية والمضمون الاجتماعي الذي تتحقق فيه.

إعتمدت الدراسة حول الهدية لمارسيل موس والتي تُعد محور الإرتكاز ونقطة الانطلاق لهذه الدراسة وكذلك دراسة عالم الانثروبولوجيا مالينوفسكي حول دراسته الاثنوجرافية حول نظام الكولا من جزر التروبرياند، ومن خلال هذه الدراسات أولت الدراسة الإهتمام الكبير بالجوانب الاقتصادية والمادية والإستهلاكية.

إن أهمية الدراسة جاءت من خلال حقيقة هامة وهي ان الهدية تُعد من أكثر الأدلة قوة على حاجة الافراد إلى التبادل، ولا سيمّا إنها تتضمن تبادل اشياء قد لا يحتاجها الافراد، وهذه الخاصية تعني في المحل الأول ان الأفراد او الناس بعامة، في حاجة إلى مجتمع وإلى حياة

---

[1]. د. السيد حافظ الاسود، الهدية دراسة انثروبولوجية لعمليات التبادل الرمزي في مجتمع الامارات، مجلة دراسات، العدد التاسع،١٩٩٥.

اجتماعية حتى تصبح الحياة ذات معنى وقيمة، كذلك بينت الدراسة ان من ضمن الاهداف هو التعرف على الوسائل التي يستعملها الافراد في تقييم كل منهم للآخر ولأنفسهم.

طبقت الدراسة الميدانية على عشرين أُسرة تنتمي إلى قبيلتين مختلفتين بواقع عشر أُسر لكل قبيلة، والسبب في ذلك الاختيار يرجع إلى عوامل متعددة منها ان دراسة الاسر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة تتيح الفرصة للتعرف على اثر عوامل القرابة والجيرة في عمليات التبادل الرمزي للهدايا لا سيمّا إذا ادركنا ان الأُسر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة تميل إلى ان تسكن في شعبية او منطقة سكنية واحدة.

أعتمدت الدراسة الاثنوجرافية على طرق واساليب كثيرة في جمع المادة العلمية ومن هذه الاساليب (الملاحظة بالمشاركة) بشكل يتناسب مع القيم والاعراف السائدة ومع خصوصية الظاهرة المدروسة، واعتمدت ايضاً على المقابلة المفتوحة التي تتناسب الى حد كبير مع الانماط السلوكية السائدة حيث يميل الافراد في المجتمع القروي موضوع الدراسة إلى الحديث المفتوح غير المقيد والذي يُعرف لديهم بـــ(السوالف).

إعتمدت الدراسة في تفسير المادة الاثنوجرافية على المنهج الرمزي التأويلي عند عالم الانثروبولوجي البريطاني فيكتور تيرنر الذي يهتم بما يقدمه افراد المجتمع المدروس من وصف او تأويل يكشف ليس عن نظرتهم لأنفسهم فحسب، بل ايضاً عن رؤيتهم للآخرين والكون او البيئة المحيطة بهم، اتخذت الدراسة عمليات التبادل الرمزي للهدايا على انها تمثل نسقًا كليًا متكاملاً، وانها تتضمن رؤية متبادلة لطرفين يدخلان فيها وهذه الرؤية تنطوي على عمليات تقييم مستمرة للجوانب الذاتية او النفسية (حب أو كره او عدم اكتراث، فرح او حزن) والاجتماعية مثل (علاقات اسرية، وزواج، وصداقة، ومكانة اجتماعية، واهانة) والاقتصادية مثل (ثراء او فقر) وغيرها من الجوانب، اما النظريات التي إعتمدها الباحث في دراسته الهدية: دراسة انثروبولوجية لعمليات التبادل الرمزي في مجتمع الامارات، فقد اشار إلى محورين اساسين يحتويان على قطعتين متقابلتين اشد التقابل، تتدرج بينهما النظريات الاخرى قربًا او بُعدًا، الاولى هي النظرية

البنيوية لعالم الانثروبولوجي الفرنسي (كلود ليفي ستروس)، اما النظرية الاخرى فهي النظرية المادية التي تنظر إلى الثقافة على انها بناء فوقي مشروط ومحدود بالبناء التحتي او المادي الاقتصادي، ويمثل هذا الإتجاه النظري بالمادية التاريخية عند الفيلسوف والاقتصادي الالماني كارل ماركس والمادية الثقافية لعالم الانثروبولوجيا الامريكي (مارفن هاريس).

اما النتائج التي توصلت اليها الدراسة، فهي ان التبادل الرمزي للهدايا يأخذ دورًا هامًا ليس على المستوى المجتمعي فحسب، بل ايضاً على المستوى الشخصي متمثلاً في العلاقات بين الذات والآخر، وهذا المستوى الشخصي ذاته هو محور أساسي في عملية التفاعل الاجتماعي طالما انه يتضمن على الاقل شخصين يدخلان في عملية تبادل رمزي، ان التبادل الرمزي للهدايا ينظر اليه في هذه الدراسة على انه آلية جوهرية من آليات الاتصال بين الافراد ونمط هام من انماط التفاعل الاجتماعي الذي يتضمن الاشياء المادية المهداة، وكذلك العبارات والكلمات وانماط السلوك المختلفة المصاحبة لعملية التبادل، بالاضافة إلى الطقوس والشعائر والمناسبات التي تحدث فيها .

وتوصلت الدراسة ايضاً إلى انه على الرغم من الطفرة الاقتصادية وازدياد انماط الاستهلاك المادية في مجتمع الامارات، ما زال الانسان او الشخص موضع الاهتمام والتقدير في ذاته، بمعنى انه لم تطغ العلاقات المادية على العلاقات الانسانية والاجتماعية، فمن خلال التبادل الرمزي للهدايا والذي يتحقق في اكثر من نمط سلوكي وفي اكثر من مناسبة (سعيدة ام حزينة) في القرية تتأكد العلاقات الاجتماعية وتكتسب قيمة في حد ذاتها، وتتأكد هوية الفرد نتيجة شعوره بإنتمائه إلى جماعة معينة تحترمه لشخصه.

وقد برزت الدراسة عن موضوعة التبادل الرمزي للهدايا في خاتمة الدراسة والتي أكدت فيها على ضعف الحدود التي يعتقد انها توجد بين الذات والآخر، ولقد أكدت الدراسة ان ما بالداخل يكون بالخارج، وان ما بالخارج يكون في الداخل بصورة متزامنة داخل القرية، فلا توجد حدود بين الذات والآخر او (نحن) و(هم) طالما وجد التبادل الرمزي للهدايا، ولقد اثبتت الدراسة

ايضاً ان الهدايا في المجتمع الاماراتي لا ينظر اليها على أنها تؤلف علاقة بين الشيء/شيء او شيء/إنسان والتي تهبط إلى مستوى علاقات السوق والمقايضة المادية، بل تؤلف علاقة بين إنسان/إنسان او بين ذات/آخر، وان الهدية مجرد وسيط رمزي ثالث يربطهما.

المبحث الثاني: نماذج من دراسات أجنبية

الأول: مارسيل موس* Marcel Mauss

مقال في الهبة أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه[1]

يُعد موضوع الهبات من الموضوعات الاساسية لكتاب مارسيل موس (مقال في الهبة) هو دراسة أشكال التبادل في المجتمعات (البدائية) اذ يسعى الى إظهار التبادل لا بوصفه مجرد عملية اقتصادية من شأنها تحقيق الرفاه ورخاء العيش، بل من حيث هو ظاهرة لها انعكاسات عظيمة على الأداء العام للمجتمع، لذلك أطلق موس على التقدمات التبادلية أسم (الظواهر الاجتماعية الكلية التي تتبدى فيها) انواع المؤسسات جميعها دفعة واحدة، وهذا الطموح نحو الكلية هو ما يكسب الكتاب على حد تعبير الأنّاس الفرنسي (كلود ليفي ستراوس) وهو رائد المدرسة البنيوية في الإناسة طابعًا ثوريًا، ذلك أنه لأول مرة تتجاوز الظواهر الاجتماعية مجال التوصيف المَحض، لتنتقل من مجرد موضوعات للحكايات وإشباع الفضول والوصف الوعظي او المقارنة المُتعالمة.

وبذلك فإن مارسيل موس لا يقترح دراسة أنظمة التبادل الاقتصادي جميعها بل ركزّ جهده على احد جوانبها فحسب والمتمثل في (سِماتها العميقة لكن المُنعزلة) التي تتخذ شكل (هِبَة) تبدو

---

*. مارسيل موس ، كان عالم اجتماع فرنسي، وابن أخت الفيلسوف إميل دوركايم، اجتاز عمله الأكاديمي حدود علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. ربما يُعرف بشكل أفضل اليوم بسبب تأثيره على الانضباط الحالي، ولا سيما في ما يتعلق بتحليلاته لمواضيع مثل السحر، والتضحية، وتبادل الهدايا في ثقافات مختلفة حول العالم.

[1]. مارسيل موس، مقال في الهبة أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه، ترجمة وتحقيق وتعليق، د. محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٣.

لنا طوعية وغير مقّيدة ومن غير مقابل في الظاهر، فيما هي إكراهية وذات غايات نفعية في الواقع، ولئن شكلت ظاهرة الهبة إحدى المسائل الكبرى في أعمال عدد كبير من الباحثين في حقل الإناسة، الا انّ مارسيل موسّ كان أول من عمل على الإحاطة بتلك الظّاهرة عبر مجالات ثقافية مُتباينة ومن خلال أزمنة متباعدة، ومن غير أن يرتبط مباشرة بالدراسات الميدانية دراسات في مجال الإناسة، وان كان استفاد أيّما استفادة من بعضها على غِرار(فرانز بواس Franz Boas) وبرونيسلاو مالينوفسكي، وتشارلز غبريا وغيرهم، وهذا ما جعله قادرًا على صياغة رؤية شمولية للمسألة تتجاوز ابعادها الاحادية المنُعزلة التي درج الأناسون على تناولها بالوصف والتحليل، ومن هنا ارتفعت الهبة مع موس من مجرد صفة لنشاط اقتصادي لا يعدم بُعداً اجتماعيًا الى درجة (الظاهرة الاجتماعية الكلية) وهذا المفهوم المركزي في عمل مارسيل موس الذي كان معنياً بفهم الوقائع الاجتماعية في كليتها، ووفقاً لموس فأن الظاهرة الاجتماعية تنطوي دائمًا على ابعاد اقتصادية و دينية وقانونية وجمالية الا أنه يُمكن اختزال تلك المظاهر جميعها الى مظهر واحد منها وهذا ما أكد عليه موس في مقالته عن الهبة.

وتضمن مشروع مارسيل موس في هذا الكتاب محاولة فهم الدوافع التي تجعل الناس في كثير من المُجتمعات مُلزَمِين ليس بالوهب فحسب، بل بقبول الهبة والرد عليها ايضاً، من هذه النقطة ينطلق موس نحو محاولة لفهم آليات المُعاملات الاقتصادية والتبادل داخل المجتمعات البدائية والمختلفة، ليبين ان التبادل لا يقتصر على الاموال والممتلكات، بل هو يشمل في المقام الاول المجاملات والولائم والطقوس والخدمات العسكرية والنساء والاطفال والرقصات والمواسم التي لا تمثل السوق سوى لحظة من لحظاتها، ويخلص موس الى ان الهبة تمثل ترابطًا بين التزامات الهبة، وقبولها، والرد عليها بإعادة الشيء الموهوب ذاته أو ما يوازيه او ما هو أثمن منه، وهذه الالتزامات المترابطة تدفع الهِبات، اشياء كانت ام اشخاصا، عاجلًا ام آجلًا نحو العودة الى نقطة انطلاقها، ويرى ان الاشياء الممنوحة ترتبط بالأشخاص المانحين، بل هي امتداد لهم، وهو ما ينشيء علاقة مزدوجة بين المانح والمتلقي.

ودرس موس ايضاً الهبات بوصفها شكلاً أرخيّاً للتبادل في الاقتصادات والتشريعات القديمة في عدد من الحضارات (الهندوسية، والرومانية، والجرمانية، الخ) التي عرفت اشكال تبادلات وسطية بين التبادلات التنافسية الصراعية (تدمير الثروات)، والتبادلات المُعتدلة وقد خلص موس ان التبادلات المعتمدة على الهبات يسودها مفهوم المنفعة الفردية في المجتمعات المعاصرة، فالهبة وفقًا لموس، مبدأ خالد وكوني، ولا ينبغي لمجتمعات السوق المنخرطة في المنظومة الرأسمالية المعاصرة تناسيها او التغافل عنها.

حيث يستمد كتاب موس قيمته من كونة اشهر نص في علم الاناسة واكثرها كثافة ومعرفية وكان المفهوم مستمدًا من أعمال إميل دوركهايم، الا ان موس كان اول من وضحه وبينه من خلال دراسته لأنموذجي التبادل في طقسي البوتلاش والكولا، ويرى موس ان مقاربة مثل هذه الظواهر الاجتماعية في كليتها تفيدنا على مستويين: الاول انها تمكننا من النظر اليها بوصفها ظواهر عامة، اي متمايزة عن المؤسسات ذات الطابع العرضي والطارىء والمحلي، الثاني: انها توقفنا على الأفراد والمجموعات داخل بيئاتهم المخصوصة، ومن ثم فهي تظهر بجلاء عملية تشكل الفعل الاجتماعي على ارض الواقع المعيش.

وقد لاحظ مارسيل موس أنّ البوتلاتش في الشمال الغربي الأمريكي منظومة معقّدة من الإلتزامات تكون في شكل دائرة كالآتي:

واجب العطاء وهو جوهر البوتلاش، فمن واجب الزعماء إقامة حفلات البوتلاتش، فدون حفلات البوتلاتش يفقد الزعيم سيادته، ثم يستتبعه واجب القبول فلا يحقّ مطلقًا لأيّ شخص أن يرفض هبة، ويُنظَرُ بإحتقار لمن يفعل ذلك أو حتى للذين يتأخرون عن حضور البوتلاش خشية أن يصبحوا مدينين للآخرين بهدايا لا يقدرون على ردّها بعد ذلك، أي خشية إذلالهم بتحميلهم دَيْنًا يثقل ظهورهم ولا يقدرون على تسديده مما يهدد بتحويلهم إلى أتباع وعبيد.

وفي مرحلة ثالثة يأتي الإلتزام بالردّ الذي هو ايضاً جوهر البوتلاش، والردّ على الهبة يكون بما يماثلها أو يفوقها ثمنًا، ومن ثم تعود الهبة إلى مصدرها الأوّل، والكولا في تعريفها البسيط هي

نوع من البوتلاتش الكبير وترتكز أساسًا على تدوير تجارة مهمّة ذات أبعاد أخلاقية تتسم بالنبل، بين القبائل القاطنة على طول جزر تروبرياند وبعض جزر أمْفليت (Amphlett) وكذلك بعض جزر أنتروكاستو (Entrecasteaux).

ويستقطب هذا النوع من البوتلاتش القبائل الكبرى بشكل مباشر ولا سيمّا زعماء الأساطيل والزوارق ويلاحظ موس أنّ هذه الظاهرة تشهد تغييرات واضحة بسبب احتكاك جماعات تروبرياند بالأوروبيّين، ويصرّح موس أنّ زميله مالينوفسكي لم يقدّم ترجمة لكلمة (كولا) لكنه يجزم بأنّها تعني بلا شكّ دائرة، أما موضوع (الكولا) الأساسي فيرتكز أساسًا على تبادل الأساور المنحوتة من الأصداف الجميلة (الموالي mwali) رمز الأنوثة، والقلائد المصنوعة من اللؤلؤ الأحمر (السُّولافاَ soulava) رمز الذكورة، وتتحرك تجارة الكولا في شكل دائريّ فالأساور (الموالي) تنتقل من الغرب إلى الشرق بينما تتحرّك العقود (السولافا) في اتجاه عكسي من الشرق إلى الغرب.

المنهج المتبع

مارسيل موس اعتمد منهجاً مقارناً دقيقاً من خلال الإعتماد على الوثائق والعمل الفيلولوجي او علم اللغة المقارن، وقد خصص مجال لدراسة مفصلة للأنظمة في مجملها وهو ما ابعد الدراسة عن المقارنة الجامدة التي تختلط فيها الامور وتفتقد فيها المؤسسات خصوصياتها المحلية، تفقد فيها الوثائق نكهتها.

خلص مارسيل موس في خاتمة مقالته عن الهبة إلى خلاصات مهمّة، منها ما تعلّق بجملة من المبادئ في الأخلاق والاقتصاد والاجتماع والسياسة، ومنها ما تعلّق بتأسيس بعض التصوّرات المنهجية في علم الاجتماع أمّا في الخلاصات الأخلاقيّة والاجتماعيّة فقد دعا موس صراحة إلى ضرورة استعادة مبادئ الإنفاق النبيل الذي يتضمّن واجب الأثرياء تجاه دولتهم ومجتمعهم، فعلى التجار والرأسماليين حسب موس أن يتعهّدوا بتمويل المشاريع العمومية والحفلات الفنية والمآدب العامة وتجهيز الجيوش، ولابدّ للرأسماليين أن يهتموا بصحة الفرد وحياته وتعليمه وأن لا يُترك تحت رحمة القوانين الجبريّة الباردة للسوق الرأسماليّة، وأمام برود القوانين الاقتصاديّة الرأسماليّة المعاصرة ذات الجذور الرومانية والسكسونيّة تبدو دعوة موس إلى استعادة مبادئ (الإنفاق النبيل) وقيم العطاء والتقدمات الشاملة ذات خلفية أخلاقيّة واجتماعيّة صميمة،

لكن موس يبدو واعيًا بمختلف المحاذير التي إستعادة مبادئ (الإنفاق النبيل) في المجتمعات المعاصرة.

وينبّه موس على أنّه لا ينظّر إلى استدعاء سياقات احتفالات البوتلاتش الأراخية، وتطبيقها في مجتمعات مطلع القرن العشرين، لكن تصوّراته الاجتماعيّة لما يجب أن تكون عليه المجتمعات المعاصرة، ترتكز أساسًا على العمق الأخلاقي لقوانين التبادل القديمة والتي يمكن ترجمتها عمليًّا بتأسيس صناديق المساعدة الأسرية لفائدة العمال، وتكريس قانون التأمين ضد البطالة وتعميمه على الأفراد، واحترام الحقّ النقابيّ وتأسيس صناديق الادّخار والتعويضات والشركات التعاونيّة من أرباب العمل لحماية الفرد من شبح البطالة والفقر، فهذه المؤسسات الاجتماعيّة تستمدّ جذورها من مبادئ الهبة والسخاء والعطاء الملزم والكرم، وهي الكفيلة بإستعادة الجوهر الأخلاقيّ لمقولة التبادل بعد أن تراجعت بحدّة أمام طغيان منطق السوق الرأسمالي الصاعد بحدّة أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والذي يهدد بضرب كل أسس الانسجام الاجتماعيّ والذي ظلّ لقرون طويلة الضمانة الأخلاقيّة لاستمرار الجماعة.

الثاني:(موريس غودولييه)

دراسة لغز الهبة[1]

ان الرؤية التي أعتمدها العالم موريس غودولييه يجدد قراءة الِهبات بمنهج تحليلي نقدي عِبر دراسته الميدانية الاثنوغرافية لبعض المجتمعات والذي أعاد فيه فهمنا للهبة فاستطاع موريس أن يعيد تحليل ممارسات البوتلاتش والكولا التي أستند اليها (مارسيل موس).

ما هو الشيء الذي دفع موريس للقيام بتحليل جديد للهبة؟، هو دورها في انتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، ولمكانتها ولأهميتها المتغيرتين ضمن مختلف اشكال المجتمع التي تتعايش حتى اليوم، ولإن الهبة موجودة في كل مكان وإن لم تكن هي ذاتها هنا وهناك لكن صلة القرابة موجودة ايضاً في كل مكان، كذلك الدين والسياسة، فقد أعتاد الناس في كل زمان ومكان تبادل

[1]. موريس غودولييه، لغز الهبة، ترجمة، د. رضوان ظاظا، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، لبنان،١٩٨٩.

الهدايا والهبات لسبب او لآخر وهذه الدراسة تتابع موضوعة (الهبة) عند شعوب وقبائل متعددة استنادا إلى كتاب (لغز الهبة) لموريس غودلييه ودراسات اخرى.

إذ يقول موريس غودلييه في كتابه (لغز الهبة) بعد قراءته (لمارسيل موس وشتراوس) بعشر سنوات أختار لنفسه سبيل البحث الانثروبولوجي وقد سافر عام (١٩٦٧) إلى غينيا الجديدة ليقوم بإبحاثه الاولى عند شعب الباروبا وهو شعب يقيم في الوديان العليا للجبال الداخلية لغينيا الجديدة، وهناك لاحظ ما سماه بـ(نظام الجينا ماريه) أي ممارسة الزواج عن طريق التبادل المباشر لامرأتين بين رجلين وسلالتين، ولكن هذا النظام عند الباروبا اكثر (تضامنًا) إذ يجعل الرجلين الصهرين حليفين ممتازين، حيث يتشاركان في قسم من غلة صيدهما وملحهما، ويعرف الباروبا – حسب غودلييه – نوعا آخر من الزواج يسمى (جمع الملح لاتخاذ زوجة) وهي (صيغة زواج لا تعتمد على التبادل المباشر للنساء، بل على مبادلة الثروات بالنساء).

وقد عُد الباروبا هذا النوع من الزواج مع قبائل أخرى ضماناً علاقة تجارية نافعة معهم عند هذه القبائل، في غينيا الجديدة تنتشر رواية الاساطير التي تبرر وجود الأشياء واستعمالاتها مثل السهام والملابس وغيرها، لكن أغرب المعتقدات لديهم روايتهم لأسطورة النامبولا – مالا وتعني كلمة (مالا) الصراع أو القتال وتعني كلمة (نامبولا) الشرغوف وهو الدعموص او فرخ الضفدع، وتقول أسطورة بارويية بظهور المرأة قبل الرجل على الأرض وهي تبدأ على وفق رواية موريس غودولييه بالآتي،(وجدت النساء قبل الرجال في الحقيقة، فقد ظهر الرجال في يوم من الايام على شاطئ احدى البحيرات بصورة شراغيف فقررت النساء أن تصنع لهن أزرا وأقواسا وسهاما بحجم مصغر وتركنها على الشاطئ، وفي اليوم التالي أختفت هذه الأغراض وتحولت الشراغيف فيما بعد إلى رجال واليوم تذهب نساء الباروبا معًا من وقت إلى آخر لصيد الشراغيف وتعطيها للصبيان).

ويعتقد الباروبا أن النساء هن اللواتي أبتكرن الأقواس والسهام (اسلحة الصيد والحرب) وأعطينها للرجال الذين يحتكرون إستعمالها اليوم، ويعتقد آل واتشاكيس – حسب غودلييه –وهم قبائل مجاورة للباروبا ان اوعية الطعام المصنوعة من اخشاب الخيزران خرجت يومًا من جسد

امرأة قتلها زوجها ودفنها في الغابة وخرجت من الأرض التي دفنت فيها نباتات عطرية زكية أسهمت في تجميل الرجال.

وتتخذ الهبات صيغًا واسماًء متعددة لدى شعوب الشاطئ الغربي لامريكا الشمالية وفي ميلانيزيا في أستراليا، إذ يجري تبادل الهبات في جزر التروبرياند تحت اسم (الكولا)، وهذه الجزر هي وودلارك (بحث فيها فردريك وامس) وغاوا (بحثت فيها نانسي مون) وفاكوتا (بحثت فيها شيرلي كامبل) وكيتاوا وغيرها من الجزر.

ويمارس الكولا زعماء هذه الجزر وشخصياتها الكبيرة، وأهداف الكولا متعددة منها الوصول إلى اعلى مراكز السلطة بإدهاش الخصوم وإيقافهم عند حدهم، وإقامة علاقات زواج وقرابة مع الخصوم، وهناك تفصيلات كثيرة في نظام الكولا التبادلي.

ومن أنظمة التبادل الاخرى التي يذكرها غودلييه نظام البوتلاتش، وهو نظام ينتشر في جزر سليمان وجزر بوين حيث يتنافس المتنافسون في تحطيم هيبة الطرف الاخر، المنافس الذي لا يستطيع مبادلة الهبة بالهبة، إذ تعد الهبة دينًا على الآخر وعليه ردها، والمشكلة التي يطرحها الباحثون موس وجاكوبسن، أن هذه الهبات لا يستفيد منها الموهوبة له، بل تدمر أمام الخصم من الواهب الذي يجب عليه تدمير ممتلكات أكثر وأغلى ليستطيع الإبقاء على سمعته وكرامته.

هذه الممتلكات تتألف من البسط الثمينة والقدور النحاسية الثمينة والجلود والخنازير المذبوحة وكل ما هو ثمين لديهم، وعند قبائل الكواكيوتل توهب الممتلكات خلال احتفالات توزع فيها كميات هائلة من الطعام، وهناك تحليل موسع لغودلييه يحلل فيها هذه التبادلات بالنحاس وسمك السلمون والشمس، ولا يقف الامر عند كسر النحاسيات بل التروس والاغطية والالقاب.

وتقول روث بندكت في كتابها (ألوان من ثقافات الشعوب) واصفة مفهوم الهبة عند الكواكيتل إن هذا المفهوم يشكل وسيلة لإذلال المنافس ويتخذ صيغة تدمير المقتنيات ووضح ذلك بقولها (كان تدمير المقتنيات يأخذ صورًا متعددة وتعد حفلات التوزيع التي تستهلك فيها كميات كبيرة من زيت سمك الشمع مباريات في التخريب فكان الزيت يصب بسخاء لغذاء الضيوف، وكان

يصب على النار القريبة من الضيوف فيسبب لهم ألما شديدًا ومضايقات، وكان الضيوف يلبثون في أماكنهم من غير حركة كي لا يلحقهم الخزي والعار، وكان على المضيف أن يظهر عدم الإهتمام لما يهدد منزله من دمار (بسبب النار) وكان بعض الرؤساء يتخذون دمية آدمية مصنوعة من الخشب يوصلونها بإنبوبة ويضعونها على سقف منازلهم بحيث يتدفق منها زيت سمك الشمع النفيس باستمرار إلى النار.. فيحترق المنزل.. وقد يلجأ إلى وسائل أخرى لتوطيد عظمته فيحطم أربعة قوارب لتوضع في النار، وقد يكسر قطعة من النحاس)، وقد يتجرد رئيس القبيلة من ثروته بكسر قطعة النحاس الكبيرة ووضعها في النار أمام خصمه فيضطر هذا إلى كسر قطعة نحاسية أهم ووضعها في النار، ومن يخسر أكثر هو الفائز وهو الأكثر عظمة ولكنه يصبح الاكثر فقراً. كانت هذه الحفلات يعد لها قبل عام أحياناً والهدف الرئيس منها هو إثبات عظمة وهيمنة (المنتصر) الذي فقد ثروته وتجري مثل هذه المباريات لدى زعماء قبائل الكوا كيوتل وسواهم في الشاطئ الغربي.

وبعد فإن كتاب (لغز الهبة) الذي الفه موريس غودلييه، للرد على سؤال الانثوبولوجي (موس) القائل: وما القاعدة القائمة على الحق والمصلحة التي تلزم برد الهدية في المجتمعات ذات النمط المتخلف أو البدائي؟ ما القدرة الكامنة في الشيء الموهوب، التي تدفع المتلقي إلى رده؟، وقد اشار إلى أنه اعتمد منظورا يجدد مفهوم الهبة من خلال تحليله للأشياء التي لا توهب ولا تباع، أي من الأشياء التي يجب الاحتفاظ بها وفي مقدمتها الأغراض المقدسة، ويفسر سبب تطبيق هذه القاعدة الحقوقية على الأغراض النفيسة.. ويتوضح الأمر عندما يظهر ما يتوارى داخل الغرض، أي الخيالي المرتبط بالسلطة.

ويقدم فرضية روحانية تظهر واضحة في تبادل الهبات عند هنود اميركا البوتلاتش تقول الفرضية إن الوهب هو النقل الطوعي لشيء تمتلكه إلى شخص تعتقد إنه لا يستطيع رفضه، ويمكن للواهب إن يكون جماعة او فردًا وايضاً الموهوب له قد يكون فردًا او جماعة او شخصًا يتلقى الهبه باسم جماعة، ومن خلال ذلك يذكر الباحث إنه قد بلغ دفعة واحدة ضفة نهر عريض

هادئ يحمل الكثير من الوقائع والعادات التي تعود إلى مجتمعات متعددة تنتشر من جزر المحيط الهادي إلى الهند، ومن كولومبيا البريطانية إلى الصين، وتنبثق من عصور مختلفة منها الروماني البدائي القديم إلى الحاضر القريب موضحاً ان الوهب يعني القبول والرد على القبول، وقد بدأت هذه الفرضية البسيطة والقوية في تسلسلها كإنها تحظر معاينتها منفصلة، وإن تفسير الأمر بوجود قاعدة تقوم على الحق والمصلحة غير كاف وإن عليه اضافة بعد ديني له، ويقول لقد اصبحت الهبة موضوعياً قضية شخصية تعبر عن علاقات تتجاوز السوق والدولة، وفي فرنسا ما زالت الهبة التزامًا بين المقربين لا علاقة لها باخلاقية السوق والربح ومنطقهما، وكما ورد في الامثال الشعبية والأقوال المأثورة إن حديث المال يجب ان لا يدور بين الأهل، فهو أخطر وسيلة لبث الخلاف في العائلة، وكإن المال يقتل الأحاسيس والمشاعر، وفي المجتمعات الغربية لم تعد الهبة تأخذ الدور الذي ما تزال تلعبه في العديد من انحاء العالم، إذ لم تعد وسيلة ضرورية لإنتاج البنى الاساسية للمجتمع وإعادة إنتاجها، فليس على الرجل ان يهب اخته ليتزوج، كما ليس علينا ان ندخل في منافسات الوهب والوهب المضاد للثروات للوصول إلى السلطة السياسية، فعلى الرغم من وجود الهبة الا إنها تحررت من عبء إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية الاساسية لجميع الافراد.

الفصل الثالث

الموجهات المنهجية في المادية الثقافية

تمهيد

إن تطور الحياة وتنوعها وثرائها يعني ازدياد طرق الوصول إلى الحقائق، وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان لدى الاغريق اكثر من فيلسوف وفلسفة في حقبة زمنية واحدة، وبذلك برز اكثر من منهج فلسفي في التفكير، وكانت الغاية الأساس تقصي الحقائق التي عدوها تعبيرًا أميناً عن افكارهم، وفي الوقت نفسه، عبرت عن رؤية الفيلسوف وتصوراته العقلية، ويتضح على وفق ما تقدم ان تعددية المناهج واختلاف طرائقها لا يلغي باي حال من الاحوال طبيعة الحقائق، وإنما يزيدها وضوحًا وتنوعاً ويكشف عن زوايا مختلفة لرؤية الحقيقة.

تبلورت فكرة المنهج (Method) بالمعنى الاصطلاحي المتعارف عليه منذ القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون (F. Bacon) وغيره من العلماء الذين توجهت اهتماماتهم نحو المنهج التجريبي والمنهج الاستدلالي وأصبح اصطلاح المنهج (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)[١].

والمنهج لغة هو الطريق الواضح والبحث اصلا طلبك الشيء في التراب وهو ايضا ان تسأل عن شيء او ان تفتش عنه [٢].

إنه الموجه والمرشد للخطوات والمراحل التي يقوم بها الباحث عندما يحاول الربط بين ما تحصل عليه من بيانات ومعطيات من الواقع، وبين النظرية التي تعبر عن طريقة الباحث في فهم هذا الواقع، ونظرا لتعدد موضوعات البحث الأنثروبولوجية، من دراسة تطور الإنسان من الناحية الفيزيقية، ودراسة البناء الاجتماعي، والتنظيم الاجتماعي، والحياة الثقافية، وما يتولد عنه من

---

[١] . احمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات للنشر، ط٦، ١٩٨٢، بيروت، ص١٠.

[٢] . عبد الوهاب بوحديبة ، تطور مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠عدد ١، وزارة الاعلام، الكويت،١٩٨٩، ص.١٤.

انجازات تصب في مجرى الحضارة الإنسانية بعامة، وبتعدد هذه الموضوعات البحثية، تعددت مناهج البحث الأنثروبولوجي، ويوضح تاريخ الفكر الانثروبولوجي ان التباين في مناهجه البحثية يرجع ليس إلى اختلاف الباحثين فحسب، وانما ايضاً إلى التطور التاريخي لمفهوم الانثروبولوجيا ولا سيمّا ميدانها، والهدف من دراستها فضلاً عن تأثير التيارات الفكرية التي كانت متزامنة مع مراحل تطور الفكر الاجتماعي بعامة والانثروبولوجيا بخاصة والتي كان لها الاثر في اثارة قضايا المنهجية عند دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية[٢].

يسعى النهج الأنثروبولوجي إلى الإجابة على التساؤلات الآخذة في الاتساع "لماذا يفعل الناس ما يفعلون؟" وهذه هي الطريقة التي يسير بها علماء الأنثروبولوجيا للإجابة على هذا التساؤل من أجل الكشف عن اوجه التشابه والإختلاف الثقافي، ويتعامل هذا الفصل مع أهم الآراء والأفكار والتصورات التي كانت سبباً أو عاملًا أساسياً في تبلور توجه المادية الثقافية إتجاهاً فكرياً يركز على قضية الإنتاج الأساسي والتوسع في تحليلها للقوة الديناميكية، وعلاقاتها المتشابكة، وتشرح أوجه التشابه والإختلاف الثقافي والنماذج للتغيير الثقافي في إطار مجتمعي، التي تُعد إستراتيجية البحث العلمي إذ تعطي الأولوية للعمليات المادية والسلوكية في شرح تطور النظم الاجتماعية الثقافية البشرية.

[٢]. محمد حسن الغامري، المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ب ت، ص١٧.

المبحث الأول: الأساسات الانثروبولوجية (الاكاديمية) للمادية الثقافي

يُعد مارفن هاريس* (Marvin Harris) واحدًا من الذين أعطوا للأنثروبولوجيا قوة وحيوية في السنوات الأخيرة وذلك في دفاعه المستميت عن أهمية المنهج الأمبريقي وضرورة الاهتمام بالإجراءات الصادقة والدقيقة التي قدمتها العلوم الطبيعية في مجال بحث وفهم الظاهرة الإنسانية، وفي عام (١٩٦٠) كان هاريس قريباً في منظوره من ماركس ولكنه يهتم بالنواحي البيئية والايكولوجية وعلاقتها بالثقافة او ما يطلق عليه النسق البيئي (Ecosystem) ثم تطورت

* . مارفن هاريس، (١٨ أغسطس ١٩٢٧–٢٥ أكتوبر ٢٠٠١) عالمٌ أنثروبولوجي امريكي اشتهر بمساهمته في نظريات التطور الثقافي، ولد هاريس في بروكلين، نيويورك، من عائلة فقيرة يهودية الأصل، حصل مارفن هاريس على درجة البكالوريوس في الأنثروبولوجيا عام ١٩٤٨، التحق بجامعة كولومبيا، حيث حصل على درجة الدكتوراه، في عام ١٩٥٣، مكث في كولومبيا من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٨٠، قام بالتدريس والعمل رئيساً لقسم الأنثروبولوجيا، كان أستاذاً مشاركًا للأنثروبولوجيا من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٣، وأستاذاً من ١٩٦٣ إلى ١٩٨٠، قام هاريس بعمل ميداني في موزمبيق في ١٩٥٦–١٩٥٧ ، حيث كتب عن ظروف المعيشة في ظل الحكم البرتغالي، أجرى دراسة ميدانية أخرى في البرازيل، ركزت على العلاقات بين الأعراق، في عام ١٩٦٨، شارك هاريس في تظاهرات كولومبيا، إذ كان هاريس من القلائل بين قادة الكلية الذين انحازوا إلى الطلاب عندما تعرضوا للتهديد والضرب من قبل الشرطة، وكان هاريس إلى جانب هيأة التدريس المؤيدة للطلاب، وكتب عن تلك الأحداث في مقالاً نُشر في The Nation ، انتقل هاريس إلى جامعة فلوريدا عام ١٩٨٠ أستاذاً فخرياً لبحوث الأنثروبولوجيا، كما شغل منصب رئيس قسم الأنثروبولوجيا العامة في الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية، واصل هاريس التدريس والنشر، وقام بتأليف ما مجموعه ١٧ كتابًا.

من أهم أعمالُه:

أنماط سباق في الأمريكتين ١٩٦٤، وصعود نظرية الأنثروبولوجية: تاريخ نظريات الثقافة ١٩٦٨ ، ثقافة الناس، والطبيعة: مدخل إلى علم الإنسان عامة ١٩٧١، الأبقار والخنازير، الحروب، والساحرات: ألغاز الثقافة، ١٩٧٤، أكلة لحوم البشر والملوك: أصول الثقافات، ١٩٧٧، المادية الثقافية: النضال من أجل علم الثقافة، ١٩٧٩، لماذا لا شيء يعمل: الأنثروبولوجيا من الحياة اليومية ١٩٨١ ، الأنثروبولوجيا الثقافية ١٩٨٣، جيدة للأكل: الألغاز الأغذية والثقافة، ١٩٨٥، لدينا نوع: من نحن، من أين أتينا، وإلى أين نحن ذاهبون، ١٩٨٩، نظريات الثقافة في ما بعد الحداثة تايمز، ١٩٩٨، العلوم المادية، ودراسة الثقافة، ١٩٩٥، التصنيع أمريكا: فهم المجتمع المعاصر من خلال تحليل السوسيولوجي الكلاسيكي، ١٩٩٩، توفي مارفن هاريس في جينسفيل بولاية فلوريدا عن عمر يناهز ٧٤ عامًا.

لديه قناعات بأهمية إعادة تجديد الماركسية في مجال الظواهر السوسيوثقافية، كان هذا عام ١٩٦٨ حين أصدر كتابه صعود النظرية الانثروبولوجية[١].

وفي الكتاب يقدم تعبير المادية الثقافية (Cultural Materialism) على إنها حل أمثل في تجديد النظرية الانثروبولوجية، وفي عام (١٩٧٩) صدرت الطبعة الأولى من كتابه حاملاً عنوان نظريته[٢].

المادية الثقافية في نظره هي استراتيجية[٣]، غير هيجيلية، لها إفتراضات إبستمولوجيا تضرب بجذورها في التراث الفلسفي لديفيد هيوم والامبريقية البريطانية وافتراضات دارون وسبنسر و مورجان وتايلور وبواز وبدايات الانثروبولوجيا كنظام اكاديمي[٤].

والمادية الثقافية ليست احادية (Monistic) او ميكانيكية في الجدل، إنها تتم بالتفاعل المنظم بين الفكر والسلوك والصراعات بالإضافة إلى صور التلاؤم (المستمر وغير المستمر) والتغير التدريجي والتغير الثوري، والتكيف وعدم التكيف، والوظيفة والخلل الوظيفي، وفيما يتعلق بالجانب الثقافي، فإن كلمة ثقافة تأتي في المقدمة لأن الأسباب المادية للظواهر السوسيو–ثقافية تختلف عن تلك التي تتعلق بالمحددات العضوية او غير العضوية، ومهمة المادية الثقافية تكوين علم للأنسان ككل يضم المجتمع الإنساني برمته[٥].

---

(1). Marvin Harris ,the Rise of Anthropological theory .T.Y.Crowell .New YORK,1988,p.43.

(2). Marvin Harris, Cultural Materialism: The Struggle for a Science of ,Cultural Random House, New York, 1979.p.67 .

(٣) . أنظر مارفن هاريس، الانثروبولوجيا الثقافية، ترجمة، د. السيد حامد، د. علية حسين، والسيد فارس، ط٣، دار الثقافة العربية، مصر،٢٠٠٦، ص٢٧.

(4). Moore, Jerry, "Marvin Harris: Cultural Materialism", Visions of Culture: An Introduction to Anthropological Theories and Theorists (2nd ed.) California (2004), pp. 203–215.

(5) .Ibid,.pp,IX–XII.

المعيار الذي يستند اليه هاريس هو التأكيد على الأهمية الأمبريقية كأساس منهجي في المادية الثقافية، وإذا كانت بعض الإتجاهات الانثروبولوجية تختلف فيما بينها حول رؤيتها التصورية للواقع فهذا يرجع إلى ان الأساس الإبستمولوجي والنظري للإحتكام إلى الواقع متباين من إتجاه الى آخر، لهذا السبب يسعى هاريس إلى تحديد الأسس الابستمولوجية والنظرية التي تنهض عليها المادية الثقافية بوصفها استراتيجية علمية محددة.

تُعد المادية الثقافية في الأنثروبولوجيا مختلفة تمامًا وهي ترمي إلى إقامة تفسير علمي، وتحافظ على الواقعية الفلسفية وعلى المادية التي تميّز العلوم الطبيعية، وتهدف إلى تفسير ذلك المدى الشاسع من الممارسات الثقافية الإنسانية (التي لا بد من حيث المبدأ أن تشتمل على الفنون)، والتعاقب التاريخي لأشكال مختلفة من المجتمع، على أساس المتغيرات الاقتصادية الأساسية وهي تنحدّر من الماركسية الكلاسيكية وتشبهها لكنها لا تستعمل الديالكتيك او الجدلية، وتلتزم بتفسير وقائع المجتمعات الإنسانية وليس بإجتراح تغييرات ثورية في هذه المجتمعات، وهي تعتمد على سلسلة من المتغيرات التفسيرية أوسع من السلسلة التي اعتمدت عليها الماركسية التي تضمّ الموارد الطبيعية، ومستويات السكّان من حيث التكنولوجيا المتاحة ومستويات الحريرات والبروتينات في أنماط الموارد الغذائي المختلفة، فضلاً عما يقتضيه تأمين ذلك من الطاقة إلخ[١].

وهذا ما يجعل منها الأساس العلمي الواضح لتنظير المشكلات الإيكولوجية، غير أنها يمكن أن تخلص إلى نتيجة عملية مفادها ضرورة الحفاظ على الأبقار المقدّسة في الهند

وتخلص إلى ضرورة قيام ثورة اجتماعية هناك والمدافع الأساسي عن المادية الثقافية هو مارفن هاريس[٢].

وقد عَرّف مارفن هاريس (المادية الثقافية) بإنها طريقة بحث تجعل الاهتمام الرئيس للأنثربولوجيا ينصب حول تقديم تفسيرات لأوجه التشابه والإختلاف بين الإتجاهات الفكرية

---

[١]. ليونارد جاكسون، شكلان من المادية الثقافية، مصدر سابق، ص١٣٨.

[2] .Micheel E. Stone.' Judaism at the Time of Christ.' Scientific American, January 1973.pp.80-87.

والسلوكية للمجتمعات الإنسانية، ويرجـع سبب اختلاف المظاهر الروحية بين المجتمعات لإختلاف التأثيرات البيئية التي تؤثر على طريقة مواجهة الناس لمشكلة إشباع متطلباتهم الرئيسة في حدود إمكانات بيئتهم[١].

١. الإستراتيجيات المادية في تفسير الأنظمة الثقافية

ولتطبيق المادية الثقافية عرض مارفن هاريس، مثالاً يوضح فيه أن تحريم الهندوس أكل لحم البقر له مدلول بالنسبة الى البيئة المحلية، لأن البقر هام من عدة أوجه، فالحرمانية الدينية لها معنى مادي معقول لإنها تتضمن الحفاظ على الموارد التي تقدمها الأبقار كالسماد واللبن والعمالة، فالروث يستخدم مصدراً للطاقة وسماداً، كما أن (٤٦.٧٪) تقريباً من منتجات الهند للألبان تأتي من البقر، وبهذه الدراسة يقدم هاريس برهاناً قوياً ضد الإدعاء بأن هذه الحيوانات ليست لها قيمة اقتصادية[٢].

والمادية الثقافية إستراتيجية بحث وليست نظرية مفردة وسواءٌ كان الماديّ الثقافيّ بإزاء وصف إثنوغرافي لثقافةٍ كاملةٍ من الثقافات مثل ثقافة (اليانوماميّ*) أو سمةٍ خاصة تميّز عدّة ثقافات مثل التابو المفروض على أكل لحم الخنزير في الشرق الأوسط، فإنّه سوف يتفحّص ما تشتمل عليه الطقوس المعنيّة من تكاليف ومنافع مادية، ويقيسها من حيث عوامل مثل الوارد الحروري والوارد البروتيني قياسًا بالجهد المبذول، في كثافات سكانية شتّى ومستويات مختلفة للموارد الطبيعية ويشتمل هذا التحليل على ما يدعوه الماركسيون قوى الإنتاج وعلاقاته، لكنه

---

[١]. مصطفى إبراهيم عوض، دراسات حديثة في الأنثروبولوجيا البيئية، في الصحة والبيئة دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، الطبعة الأولى، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٧١ .

[٢]. المصدر نفسه، ص٢٧٢.

*. يانومامي (Yanomamo): هي مجموعة من السكان الأصليين في أمريكا الجنوبية الذين يعيشون في الغابات النائية في حوض نهر أورينوكو في جنوب فنزويلا والغابات المطيرة في حوض الأمازون في شمال البرازيل، تشير التقديرات إلى أن عدد سكان يانومامي البالغ عددهم ٣٥٠٠٠ شخص يعيشون ضمن هذا النطاق، وهي تتألف من أربع قبائل أصلية متميزة، بما في ذلك (Ninam و Yanomam و Sanema و Yanomamo)، وتحتل كل منها منطقة مختلفة وتتحدث لغة مختلفة.

يمضي أبعد من ذلك؛ فمن نقاط الضعف في الماركسية إنها لم تبد قطّ اهتمامًا كافياً بكثافة السكّان أو بالإيكولوجيا[١].

وفي إنكارها استقلال الثقافة، تنكر هذه الإستراتيجية واحدًا من المبادئ العزيزة على معظم مدارس الأنثروبولوجيا الثقافية؛ وتكون أمام خطر دَفْعِهَا كما يفعل هاريس في بعض الأحيان نحو حتمية اقتصادية كاملة غير إنه ليس من الضروري أن يحصل ذلك، ورأينا لدى مناقشة الماركسية ذاتها ويمكننا أن نواصل القول إنّ الثقافات الإنسانية هي إستجابات إنسانية خلاّقة للشروط المادية، وأنه من الممكن على الدوام قيام استجابات مختلفة كثيرة، في الوقت الذي نقبل أنّ للعوامل المادية صدارةً تفسيرية[٢].

وتنظر المادية الثقافية إلى الحاجات المادية الإنسانية والموارد المتاحة والتقنية في مجتمعٍ ما –سواء كانت هذه غابات عذراء وفؤوسًا حجرية، أم مناجم فحم ومحركات بخارية– على إنها المتغيرات التفسيرية الأوليّة؛ في حين تنظر إلى البنية السياسية، وأساليب الحرب، والمعتقدات الدينية والأشكال الاقتصادية إلخ، على إنها العناصر التي ينبغي تفسيرها وتنظر إلى الاقتصاد على إنه المستوى الذي يتوسّط بين هذين الاثنين وهي بهذا تحافظ على الأجزاء التي يمكن الدفاع عنها في الماركسية، ومن الأمثلة البسيطة على عمل هذه الإستراتيجية تناول هاريس لوظائف البقرة المقدّسة إذ يُبجل الهندوس الابقار لإنها رمز كل شيء حيّ، فكما مريم (عليها السلام) بالنسبة إلى المسيحيين هي (أمّ الله)، كذلك البقرة بالنسبة إلى الهندوسي هي أمّ الحياة، ولن يكون هناك أشد رجساً للهندوسي من قتل بقرة [٣].

وذبح البقرات المقدّسة جميعها، يعني في الواقع جعل المجتمع أقلّ اقتدارًا من حيث الطاقة، ويعني نقل الثروة من الفلاحين الفقراء الذين لا يملكون سوى بقرة واحدة تشرد وتعيش على

---

[١]. مارفن هاريس، مقدسات ومحرمات وحروب الغاز الثقافة، ترجمة، احمد م. احمد، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، لبنان، الطبعة الاولى،٢٠١٧، ص١٧.

[2]. Heston Alan et al. An Approach to the Sacred Cow of India, Current Anthropology, vol.12,1971,pp.191-209.

[٣]. مارفن هاريس، مقدسات ومحرمات وحروب الغاز الثقافة، مصدر سابق، ص١٧.

الفضلات، إلى الفلاحين الأغنياء الذين يملكون قطعاناً كاملة تبقى في المرعى، والحال أنّ البقرة في الهند لا تُعامل بأيّ حنان خاص، بل تعيش حياةً بالغة القسوة، و تُحلب حتى آخر قطرة[١].

والبقرة كذلك هي منتجةُ كحيوانات الجّر الثيران، والتابو المفروض على قتلها، لها وظيفة اقتصادية، ولقد عرفت الهند المجاعات، وإغراء قتل بقرة في مجاعة هو إغراء طاغٍ [٢].

ومن ثم هذا يعني أن تقتل رأسمالك فلا تعود قادرًا عندئذٍ على إنتاج الثيران التي تعمل عليها في أرضك، ومثل هذه الظروف على وجه الدقّة، وعلى مرّ القرون، هي الظروف التي تطوّر فيها المجتمعات التابوات الدينية، فالبشر يحتاجون إلى ما يقويّهم في مواجهة الإغراءات قصيرة الأمد التي تفضي إلى خراب اقتصادي مديد.

٢. الأسس (الابستمولوجية*) للمادية الثقافية

المشكلة التي يلمسها هاريس في الظاهرة الإنسانية تتمثل في طبيعة الذات التي هي كائنات بشرية تفكر وتسلك، وهي موضوعات للدراسة ايضاً وليس ثمة بُعد أشق في تمييزه من معالجة

---

(1) .Don Juan and the Sorcer Apprentice, Time magazine, March 5, 1973 ,pp.36.

[٢]. مارفن هاريس، التحريم والتقديس: نشوء الثقافات والدول، مصدر سابق، ص٢٠٧.

*.الإبستيمولوجية (Epistemology): مصطلح ذو أصل إغريقي مؤلف من كلمتين (epistemo) وتعني المعرفة وlogos وتعني علم ويعني المصطلح حرفياً علم المعرفة أو علم العلم، وكان أول من وضع هذا المصطلح الفيلسوف الأسكتلندي جيمس فريدريك فيرييه (١٨٠٨-١٨٦٤) حين ألف كتابه مبادئ الميتافيزيقا. إذ قسم الفلسفة فيه إلى قسمين: أنطولوجية وإبستيمولوجية، أما المعنى المعاصر لمصطلح إبستيمولوجية في الفلسفة العربية والفرنسية فهو: الدراسة النقدية للمعرفة العلمية، ومع أن مفهوم «العلم» حاضر في تاريخ الفلسفة، ولاسيما عند أفلاطون وأرسطو وديكارت ولوك وليبنتز، فإن الإبستيمولوجية بوصفها مبحثاً مستقلاً موضوعه المعرفة العلمية، لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين حين اتجهت إلى تحديد الأسس التي يرتكز عليها العلم، والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى مبادئها العميقة. وذلك بتأثير التقدم السريع للعلم، والإتجاه نحو التخصص المتزايد، وما ولدّه ذلك من تغيّر في بنية منظومة العلوم، ومن صعوبات وإشكالات ذات طبيعة نظرية، والإبستيمولوجية بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن نظرية المعرفة. كما في الموسوعة العربية، الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، المجلد الأول، ص ٧٨.

العلاقة بين ما يقول به الناس ويفكرون كذوات، وما يقولونه ويفكرونه ويفعلونه بوصفهم موضوعات للبحث العلمي[١].

لذا تسعى المادية الثقافية لتأسيس إبستمولوجية واضحة لبحث الظواهر الإنسانية بحيث لا يتعارض المعنى الذي يتداوله الناس والمعنى الذي تتحقق منه المقولات العلمية، وتنطلق هذه الإبستمولوجية من حل المأزق الذي تعرض له كل من ماركس وانجلز في الأيديولوجية الألمانية حين ركزا على الشروط المادية التي تحدد الوجود الإنساني من غير ان يحللا هوية الافراد، كما تتبدى في خيالاتهم او خيالات الشعوب الأخرى، بل ان كلاً منهما درس حقيقة وجود الافراد على ما هم عليه[٢].

اما بالنسبة الى الماديين الثقافيين فإن مشكلة ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي مرهونة تمامًا بالتعميمات الإبستومولوجية للمنهج العلمي، والمادية الثقافية لا تتأسس على فكرة المضمون غير الحقيقي للفكر، ومن ثم ترفض الخوض في مسألة ما إذا كان الكيان الفكري ام الكيان المادي بعدًا اساسياً للواقع، فهذه ليست مشكلة إبستمولوجية بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما هي مشكلة انطولوجية، أي إنها خارج البحث العلمي، وما تهتم به المادية الثقافية هو الفصل بين الكيانات المادية والأفكار، فالتفكير حول الأشياء والاحداث يبدو منفصلاً عن الأشياء والاحداث والمشكلة التي تحتاج إلى حل هي كيف يقوم الباحث بمعرفة كلا المجالين منفصلًا على حدة، وحلاً لهذه المشكلة ينبغي التمييز بين ما اسماه مارفن هاريس الاحداث العقلية Etics (Events)[٣].

ولكن ما المقصود بهذا النوع من التمييزات ؟.

---

[١]. السعيد صابر المصري، الانثروبولوجيا النقدية والتحولات النظرية والمنهجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٥٧.

[2]. Eric Wolf,Closed Corporate Peasant Communties in Mesoameeica and Central Java, Southwestern Journal of Anthropology,p.17-18.

[3]. Marvin Harris, Cultural Materialism, p.30 -31

فيما يتعلق بمجالات العقل ومجالات السلوك، يتأسس منهج المادية الثقافية على أهمية الدراسة العلمية للحياة الإنسانية في ضرورة التمييز بين تلك الأنشطة التي تكون مجرى السلوك الإنساني وتلك التي تكون مجرى الأفكار والمشاعر التي نخبرها نحن البشر داخل اذهاننا، هذا التمييز الذي يحتاج إلى تناول علمي متوازن بين الاحداث العقلية والاحداث السلوكية يقطع نصف الطريق نحو حل مأزق ماركس وانجلز، ومن الممكن-حسب هاريس-التمييز بين منظورين مختلفين في النظر إلى أفكار وسلوك المبحوثين.

الأول: من منظور المبحوثين أنفسهم[١] .

الثاني: من الملاحظين (Observers) وفي كِلا الحالتين يبدو ممكناً وصف مجالي التفكير والسلوك، ولكن في المثال الأول نجد ان المُلاحِظين يقومون بتوظيف المفهومات وتمييزات المعنى والتي تتناسب مع المبحوثين، وهنا يتوفر لدينا معيار مدى التطابق الامبريقي ومدى إمكانية الاختبار [٢].

وهذا هو المقصود بالإيتك(Etic).

وهنا ينبغي التوقف قليلاً عند هذه الثنائية التي اخذها مارفن هاريس من التحليلات اللغوية طبقًا للمعجم اللغوي.

---

[١]. شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان، ترجمة علياء شكري واخرون، المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، مصر، ١٩٩٢، ص٦٣٠.

[3].Marvin Harris, Cultural Materialism,p.p,31.

المبحث الثاني: النظرة الداخلية والنظرة الخارجية Emic/Etic

صاغ (كينيث بايك*) المصطلحين (الداخلي–الخارجي) عام (١٩٥٤) حيث جادل بأن الأدوات المطورة لوصف السلوكيات اللغوية يمكن تكييفها مع وصف أي سلوك اجتماعي بشري، تم اشتقاقهما من كلمتي (فونيميPhonemic) وهي علم الاصوات اللغوية، اي البحث عن الاصوات المستخدمة لغةً معينة، و(فونوطيقيPhonetic) علم الدلالات اللغوية وهي دراسة تحاول الوصول إلى تعميم من خلال الدراسات الفونيمية في اللغات الفردية، ومن ثم فإن (Etics) تشكل جوانب تطبق في العالم كله[١] .

تُبين (النظرة الخارجيّة) الصادر عن تأويلات الباحثين أو المشاهدات الخارجية بشكل مختلف ومن وجهة نظر ابستمولولجية تطبيقية ذكيّة، وعلى أساس استراتيجية بحث تقوم على الفصل لا الخلط بين المعطيات النابعة من خطاب الفاعلين–الأهالي وبين تلك الآتية من الخطاب أو الملاحظة والمشاهدة الخارجية[٢].

يرى (كينيث بايك) ان مقاربة (الخارجي) تركز على العمليات السمعية من غير الرجوع إلى إدراكات الاشخاص وبمعزل عن كل الخلفية الثقافية، وتأخذ في الحسبان ما تسجله الاجهزة (الموضوعية) للملاحظة والقياس، أي أجهزة (السونوغرام*) ان (برامج البحث) الذي يقترحه بايك يبدأ بمقاربة (الخارجي) بوصفه مدخلاً اولياً وخارجياً إلى عالم اللغة، النظرة (الخارجية) تعتمد على ملاحظات خارجية مستقلة عن الدلالات التي يحملها الفاعلون، والمشاهدة هنا تكاد مماثلة لتلك المطبقة على السلوكات الحيوانية في الواقع[٣].

---

*. كينيث لي بايك:(١٩١٢–٢٠٠٠) عالم لغويات وأنثروبولوجي أمريكي، صاغ مصطلحي (Emic-Etic).

[١]. ايمان علي مصطفى الخولي، الايكولوجية الثقافية–اسلوب منهجي، بحث في الانثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بني سويف، قسم علم الاجتماع،٢٠٠٧، ص٧٩.

[٢]. المصدر نفسه، ص٨٠.

*. هي تقنية تصويرية تستخدم الموجات الصوتية لإنتاج صور الموجات فوق الصوتية للجنين.

[٣]. جون بيار اوليفي دي ساردون، الداخلي، ترجمة الحبيب درويش، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد١٩، المجلد الخامس،٢٠١٧، ص١٦٦–١٦٧.

ان المدخل الإيتيكي هو ذلك المدخل الوظيفي لتحليل الوحدات الصوتية الصغرى حيث يضع كل الإعتبار للعلاقات الوظيفية مقيمًا نسقًا من الوحدات المتقابلة والتي تُعد اساسًا للوصف، وهو مشتق من كلمة (Phonemic) أي تحليل الوحدات الصوتية الصغرى المتجاورة، والموجودة في لغة محددة، فكل صوت داخل سياق صوتي له معنى محدد يطلق عليه فونيم، أي إنه إذا حل هذا الصوت محل صوت آخر في نفس السياق الصوتي ونشأ عنه تغير في المعنى من كلمة الى أخرى، فالمنطق (b,p) في كلمتي (bit,pit) يمثل فونيمين انجليزيين مختلفين لإن المتحدثين الوطنيين الانجليز يدركون اختلاف المعنى بإختلاف الحرف فهماً، من ناحية التلفظ لا يختلفان ولكنهما من حيث المعنى في قلب اللغة مختلفان، او في العربية حرفُ الهجاء (ص) يتميَّزُ عن حرف الهجاء (س) في كلمتين (صارَ – سارَ) فيكون صوت الصاد متمايزًا عن صوت السِّين لإن إختلاف الكلمتين في المعنى يرجع إلى هذا الإختلاف بين صوتي الحرفين[١].

مثلاً الصاد والسين في العربية فونيمان مختلفان، في حين أن هذاين الصوتين (الصاد والسين) يعتبران في الإنجليزية فونيمًا واحدا، اما الـ(Phonetic) فهو مدخل لتحليل الوحدات الصوتية للكلام وليس اللغة، حيث ان تشكيل الحركات الصوتية يعتمد على اثر البيئة والأحبال الصوتية فهناك صوت طموح وآخر غير طموح وهناك الصوت الذي يعتمد على الأسنان وآخر يعتمد على الشفاه او لسان المزمار[٢].

ان المدخل الإيتكيي يتوقف على المعنى الذي يتلقاه المحلل للكلام، وهذا يضع كل الإعتبار للحقائق مضيفًا اليها معنى منطقياً من جانب الباحث لذلك يمكن ترجمة المدخل (الإيتكي) بإنه منهج تجاور المعنى والمعنى (Etics Approach) اي ان هناك معنى خاص بالباحث وإنهما (يتجاوران) وليسا يتطابقان بحيث يكون مفهومًا علمياً.

---

(1) . William B. Gudykunst, Communication in Personal Relationships across Cultures, New Delhi, 1996, P. 6.

(2).M. Harris, Cultural Materialism,OP.cit.p.34.

لكن من اين جاء مارفن هاريس بهذه الثنائية ؟.

ترجع هذه الثنائية الى نظرية تحليل الوحدات النحوية الأساسية، لعالم اللغة الأمريكي (كينيث بايك K.L.Pike)[١]، ولقد أستعمل المصطلح (Etic) في سياق انثروبولوجي لغوي وذلك في تحليله للغة في علاقتها بنظرية موحدة حول بناء السلوك الإنساني.

اصبح التمييز بين مرجعية المبحوث، ومرجعية الباحث شائعاً في الانثروبولوجيا لحقبة من الزمن، إذ استعمل هذا التمييز (هاريس) في المقابلة بين شرح وعرض للنماذج التي تخص السكان الاصليين (المحليين) في فهم الواقع من ناحية، ووصف ومقارنة الأنساق الاجتماعية والثقافية طبقًا للمعيار الذي يحتكم اليه الملاحظ من ناحية اخرى، ومع ذلك تؤكد المادية الثقافية على مقولات النظرة الخارجية (Etic)لا الداخلية (Emic)[٢].

وينظر هاريس واتباعه إلى السلوك الملاحظ (Observed) على اعتباره اولياً، او سابقًا من الناحية المنطقية والتاريخية على الفئات الثقافية، وهكذا فإن المظاهر او الجوانب المعرفية والايديولوجية للثقافة لا بد وان تتخذ بالضرورة مكانة منزلية ثانوية وتالية للجوانب التكنولوجية، بمعنى ان الثقافة تتشكل بواسطة العوامل المادية[٣].

من وجهة نظر (مارفن هاريس) تقوم العمليات الإيتكية بإنها تتميز بعلو الُملاحظ إلى مرتبة الاحكام النهائية على المقولات والمفهومات، وتبدو كفاءة التحليل الإتيكي في قدرته على توليد بيانات يقبلها المحلي، ولذلك يكون حرًا في المدخل الإيتيكي في استعمال تصنيفات وقواعد لغة العلم، فهو ينخرط في قياس الأنشطة والاحداث التي قد يجدها الإخباري غير محددة او بلا معنى[٤].

---

(1) . Bernard. Cole ,Language dictionary, op. cit.p.62.

(٢). أنظر مارفن هاريس، الانثروبولوجيا الثقافية، ترجمة، د. السيد حامد، د. علية حسين، والسيد فارس، ط٣، دار الثقافة العربية، مصر،٢٠٠٦، ص٢٣.

(٣). ايمان علي مصطفى الخولي، مصدر سابق، ص٧٩.

(4). M. Harris, Cultural Materialism, op. Cit, .p32.

ويستخلص (مارفن هاريس) من كل هذه الحيرة العقلية بإن مشكلة النظريات العلمية هي التشويش بين إدراك المُلاحِظ (Observer) وإدراك الملاحَظ (Observed) او ان تميل نحو مجرى العقل او مجرى السلوك او ان تتجه إلى التحليل الإيميكي بدلًا من الإيتكي او العكس وهذا يولد عدم القدرة على فهم أسباب التشابهات والإختلافات في الظاهرة السوسيوثقافية، لكن المادية الثقافية تسعى إلى الجمع بين المدخلين[١].

وفيما يتعلق باشكالية الموضوعية فيجب ان نأخذ في إعتبارنا- والكلام لمارفن هاريس-إنه إذا استعملنا تفرقة بين (ذاتي- موضوعي) لأحدث ذلك تشويشًا هائلًا ولتحاشي هذا التشويش ينبغي استخدام مصطلحي (Etic-Emic)[٢].

وهنا يرفض هاريس هذه الثنائية التقليدية (الذاتية والموضوعية)، صحيح إنه يدافع عن فهم موضوعي في العلم، الإ أنه يتحاشى تراثًا طويلاً من الإدانة التي وجهت إلى الوضعية ويشدد مارفن هاريس على إنه لا يجوز الخلط بين هذه الثنائيات، فلا يعني انك موضوعي ان تتبنى وجهة نظر إيتيكية، ولا كونك ذاتياً يعني إنك تتبنى وجهة نظر إيميكية، بل يمكن للمريء ان يكون موضوعياً- سواء كان بصدد فهم الظواهر من منظور ايميكي او ايتيكي، وبالمثل فالذاتية تكون ايتيكية، والموضوعية في نظر مارفن هاريس هي مرتبة إبستمولوجية (معرفية) تميز مجتمع المُلاحظين (Observed)[٣]، وفي نظر مارفن هاريس هناك مجالات في البحث المادي الثقافي:

1. Emic Behavioral
2. Emic Mental
3. Etic Behavioral
4. Etic Mental

---

(1). Ibid,.pp 33-34, 36.

(2). Robert. Feleppa, Emics, Etics and Social Objectivity current Anthropology Vol. 27, No. 3, June 1986.

(3). Cultural Materialism,p.p 34-35.

(Emic Mental) اي العمليات التي يكتسبها المبحوث ذهنياً، بمعنى ان المبحوث كيف يرى الامور؟ و(Etic Behavioral) هو السلوك الذي هو قائم بالبحث.

اما (Etic Mental) فهي ذهنية القائم بالبحث، بمعنى سلوك المبحوث وذهنيته–وسلوك الباحث وذهنيته، كما تعتمد هذه المجالات على طرح أسئلة لدى الاخباري او المبحوث في كل مجال من هذه المجالات وتقسم إلى متقابلين: **الأول:** الوصف السلوكي الإيميكي–الوصف السلوكي الإيتيكي[١].

وهناك أمثلة كثيرة دالة على تطابق وجهة نظر الفاعل والملاحظ، ومقدار التعارض بين الروايات الإيميكية والإيتيكية في مجرى السلوك هو مقياس للتشويش الذي يعاني منه الناس.

الثاني: الوصف العقلي الايميكي–الوصف العقلي الايتيكي.

وهنا يجب ان لا نقيس تفسيرًا على السلوك فقد يحدث تعارض بين ما يفكر فيه الناس وما يسلكونه، بعامة تبدو أهمية الثنائية التي يطرحها هاريس في إنها احياء لمشكلة الذات والموضوع، ومشكلة التوفيق بين اهتمامات الملاحظ والموضوعية بوصفها أموراً أخلاقية قديمة في النظرية الاجتماعية وهي التي جعلت الانثروبولوجيين يحاولون تطهير مناهجهم بصياغات جديدة [٢].

---

(1). Robert Feleppa, Emics,Etics and Social Objectivity, Current Anthrop ology, Vol.27. No.3,986,p. 243.

[٢]. السعيد صابر المصري، مصدر سابق، ص١٥٥.

المبحث الثالث: الأسس النظرية للمادية الثقافية

تتجه المادية الثقافية إلى تعريف الظواهر الاجتماعية والثقافية بصيغة أولية ولكن من غير الاقتصار على المنظور الإيتيكي وحده، والطبيعة الاجتماعية للجماعات الإنسانية ناشئة عن كثافة التفاعل بين الكائنات الإنسانية الموجودة في زمان ومكان محدد، وبذلك لا ترغب المادية الثقافية معرفة ما إذا كان أعضاء مجموعة سكانية محددة يفكرون في انفسهم على إنهم شعب او جماعة وذلك لمطابقتها على أساس مفهوم الجماعة الاجتماعية، بل ان نقطة بدء التحليل السوسيوثقافي للماديين الثقافيين هي وجود مجموعة سكانية ايتكية قائمة في زمان ومكان إيتكيين*.

والمجتمع بالنسبة الينا هو جماعة اجتماعية مكونة من أنواع واعمار وتُبدي نطاقاً واسعاً من السلوك المتفاعل، اما الثقافة فهي ذخيرة من الأفكار المكتسبة، وحصيلة هائلة من الأفعال التي يظهرها أعضاء الجماعة وتنتقل بصورة مستقلة عن الوراثة من جيل إلى جيل[١].

من ناحية أخرى تهتم المبادئ النظرية للمادية الثقافية بمسألة فهم العلاقات بين أجزاء الانساق السوسيوثقافية وتطور تلك الروابط والاجزاء والانساق، ولكن على ماذا تعتمد المادية الثقافية في اطارها التصوري ؟.

وبطبيعة الحال لدى مارفن هاريس جواب محدد على هذا التساؤل، حيث ركز على مجموعة من الأنماط العامة وتشتمل على نمط الإنتاج ونمط إعادة الإنتاج والاقتصاد المنزلي والاقتصاد السياسي والتنظيم السياسي وكافة اشكال البنية الفوقية السلوكية كالفن والموسيقى والشعائر والرياضة والعلم ثم البنية الفوقية العقلية والايميكية[٢].

ويلاحظ ان مشروع مارفن هاريس ما هو إلا توليفة من الإتجاهات التي تتكرر في مواضع أخرى، وخلاصة لحصيلة الإبستمولوجيا الانثروبولوجية حتى السبعينيات، ولكنه يعتمد في كل

---

*. اي مكان وزمان يحدده الانثروبولوجي بمصطلحاته ومفاهيمه وهذا المكان والزمان له وجود حقيقي ايضًا.

(1) . https://www.cgie.org.ir/fa/news/127453/%D9%85%D8%A7%D8%AA%D8%

(٢) . السعيد صابر المصري، مصدر سابق، ص١٥٦.

ذلك على المنهج الانثروبولوجي التقليدي وأسلوب الملاحظة بالمشاركة والنزعة الامبريقية، وقد ترك انموذجه التصوري فضفاضًا ليمتلئ بكل شيء وفقًا لمبادئ المنهج العلمي الوضعي، ويتوقف نجاح هذا الإتجاه على ما يسفر عنه من نتائج على صعيد الاحتكام إلى الواقع.

الأول: المادية الثقافية Cultural Materialism

صاغ الاستاذ مارفن هاريس (Marvin Harris) في النص الذي صدر(١٩٦٨) (إنبثاق النظرية الأنثروبولوجية)[١].

المادية الثقافية مضمناً ثلاث مدارس في الفكر الأنثروبولوجي هي المادية الثقافية والتطور الثقافي والايكولوجيا الثقافية وهذا الإنبثاق بوصفه امتدادًا للمادية الماركسية، تفسر (المادية الثقافية) التشابهات والإختلافات الثقافية فضلًا عن نماذج التغير الثقافي ضمن الإطار المجتمعي المتضمن ثلاثة مستويات واضحة المعالم هي: الخوافض (البنية التحتية) والبناء والنواهض (البنية الفوقية)[٢].

إذ تعزز المادية الثقافية الفكرة القائلة بإن الخوافض (infrastructure) تتألف من الوقائع المادية، وقطاع البناء (structure) الذي يتكون من الجوانب التنظيمية للثقافة مثل الانساق العائلية والقرابة والاقتصاد السياسي في حين تمثل النواهض (superstructure) القطاع الذي يتكون من الجوانب الايديولوجية والرمزية للمجتمع مثل الدين، ويعتقد الماديون الثقافيون إلى ان الجوانب التكنولوجية والاقتصادية تأخذ دوراً رئيساً في تشكيل المجتمع[٣].

وتهدف المادية الثقافية إلى فهم آثار العوامل التكنولوجية والاقتصادية والديموغرافية في قولبة البناء المجتمعي وقولبة النواهض من خلال أساليب علمية صارمة تسعى المادية الثقافية

---

(1) .Conversation with Antonio Rita Ferrera with Marvin Harris, January 7, 1956 .

(٢) . شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان، ترجمة علياء شكري واخرون، المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، مصر، ١٩٩٢.ص٤٥٦.

(3). Barfield, Thomas. Cultural Materialism,In: The Dictionary of Anthropology , Oxford: Blackwell, 1997.

وفقاً لـ(Harris) بأن إيجاد علم لعموم المجتمع البشري الذي يمكن أن تكون نتائجه مقبولة على أُسس منطقية وذات حجة ثابتة لعموم المجتمع المحلي، اي إنها التجاوز على حساب المادية الماركسية.

لقد أقترح كارل ماركس (في الاساس) ثلاثة مستويات للثقافة هي الخوافض والبناء والنواهض ولكن تخالف وجهات نظر المادية الثقافية النظرية الماركسية، إذ ان نظرتها لكل من قوى الانتاج (الاقتصادية) والسكانية (الديموغرافية) على أنها العوامل الأساسية التي تشكل المجتمع لذلك توضح الملامح البنائية للمجتمع (قطاع البناء) من حيث الإنتاج في إطار النواهض فحسب[١].

على هذا النحو يتم استدعاء التغيرات الديموغرافية والبيئية والتكنولوجية من اجل شرح التنوع الثقافي وعلى النقيض من الماديين الثقافيين، ناقش الماركسيون بان الإنتاج هو الشرط المادي المستقر في الاساس او القاعدة الذي تعمل عليه ويتم البت فيه من البنية التحتية وعلاوة على ذلك تشير النظرية الماركسية إلى أنه مادام الإنتاج هو الشرط المادي المستقر في قاعدة المجتمع فإنه يتعهد بوجود علاقة تبادلية مع البناء المجتمعي[٢].

وهنا يعمل كلاهما ويجري العمل بموجبها قطاع البنية التحتية، بينما تقترح المادية الثقافية بإن الإنتاج يكمن في البنية التحتية لان علاقة البنية التحتية - البناء احادي الإتجاه، ومن ثم، يرى الماديون الثقافيون هذه العلاقة (البنية التحتية - البناء) بكونها على الاغلب في إتجاه واحد، في حين يرى الماركسيون العلاقة بوصفها متبادلة.

---

(1). The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture, Issue 1, November 1969 ,p. 386.

(2) . Harris, Marvin. The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture. New York: Crowell. 1968,p.76.

المادية الثقافية تشرح أوجه التشابه والإختلاف الثقافي وكذلك نماذج التغيير الثقافي في إطار مجتمعي، وتُعد استراتيجية البحث العلمي التي تعطي الأولوية للعمليات المادية والسلوكية والأخرى في شرح تطور النظم الاجتماعية الثقافية البشرية[١].

الثاني: الإفتراضات

تعتمد المادية الثقافية على إفتراضين أساسيين حول المجتمعات **الأول:** تترابط أجزاء المجتمع المختلفة، عندما يتغير جزء من المجتمع يجب أن تتغير الأجزاء الأخرى أيضًا، الافتراض **الثاني** للمادية الثقافية هو إن أساس النظام الاجتماعي والثقافي هو البيئة، **تتكون المادية الثقافية من ثلاثة مستويات متميزة: البنية التحتية والهيكل والبنية الفوقية.**

١. البنية التحتية

تُعزز فكرة أن البنية التحتية التي تتكون من (حقائق مادية) مثل العوامل التكنولوجية والاقتصادية والتناسلية (الديموغرافية)[٢].

فقد تشكل وتؤثر في الجوانب الأخرى للثقافة، تتكون البنية التحتية من جزأين مهمين هما: (نمط الإنتاج وطريقة الاستنساخ).

أ- نمط الإنتاج

يتكون من السلوكيات التي تهدف إلى تلبية متطلبات الكفاف، والممارسات التكنولوجيا والاجتماعية التي تستعمل لرسم الطاقة والمواد الخام من البيئة وصياغها لهم للاستخدام البشري، ويتكون نمط الانتاج من السلوكيات التي تهدف إلى تلبية متطلبات الكفاف، والتكنولوجيا والممارسات المستعملة لتوسيع انتاج الكفاف الاساسي أو الحد منه، ولا سيّما إنتاج الغذاء وأشكال

---

(1). Ibid.p,77.

(2). Roseberry, William. Marx and Anthropology. Annual Review of Anthorpology , 1997, 26: 25-46 .

الطاقة الأخرى، تكنولوجيا الكفاف، والعلاقات التكنولوجية البيئية مثال على ذلك الصيد والتجمع، البستنة، والرعوية، والزراعية، وصناعي)[1].

وفقاً للممارسة المعتادة بين علماء الانثروبولوجيا وعلماء الاجتماع كان هناك العديد من أنماط الانتاج المختلفة عبر التاريخ البشري، بدءاً من الصياد والجمع، ثم البستنة والرعوية والزراعية ومن ثم الصناعية والتي يمكن ان تُقسم إلى بسيط ومتقدم على أساس التكنولوجيا والممارسات الاجتماعية المستعملة لأستخلاص الكفاف من البيئة، وكذلك نوع الموارد التي يستعملها المجتمع لأستغلالها.

ب- **طريقة التوالد**

تشير الطريقة إلى العوامل الديموغرافية للسكن البشري مثل حجم وكثافة السكان، والنمو والأنخفاض أو الأستقرار، والعمر، وتكوين الجنس الذي يكون مهماً في تحديد كمية ونوع الموارد اللازمة من البيئة[2].

إذ شملت العوامل الديموغرافية ايضاً تقنيات تنظيم السكان أو تحديد النسل، وأنماط التزاوج، وسائل منع الحمل، والإجهاض، وقتل الأطفال، والسلوك الجنسي، وغيرها من السلوكيات التي تهدف إلى السيطرة على الزيادات المدمرة أو النقصان في عدد السكان، بشكل عام وأنماط الإنتاج والتكاثر هي محاولات لإحداث توازن بين مستوى السكان واستهلاك الطاقة من بيئة محدودة، فمن هذا الأساس البيئي فأن البنية التحتية تستند إلى الأجزاء المتبقية من النظام

(1). Article. By Frank W. Elwell, Harris on the Universal Structure of Societies, 2007.

(2) . Korom, Frank J. Holy Cow, The Apotheosis of Zebu, or Why the Cow is Sacred in India. Asian Folklore Studies, 2000. p. 181-203.

الاجتماعي، ان طرق الإنتاج والتكاثر هي محاولات لتحقيق التوازن بين مستوى السكان واستهلاك الطاقة من بيئة محدودة [١].

يتكون هذا الاسلوب اي اسلوب التكاثر او ما يُعرف بالإستنساخ من التقنيات والممارسات الاجتماعية المستعملة لتوسيع او الحد من حجم السكان، في هذا الأسلوب يسرد مارفن هاريس التقنيات والممارسات الاجتماعية مثل أنماط الزواج والتأثير الطبي على الخصوبة والولادات والوفيات ومنع الحمل والإجهاض ووأد الاطفال.

٢. البناء(الهيكل)[٢]

يصف (هاريس) المكون الرئيس الثاني للنظم الاجتماعية الثقافية بإن الهيكل يتكون من الأنماط المنظمة للحياة الاجتماعية التي يتم تنفيذها بين أفراد المجتمع، تتمثل إحدى وظائف البقاء الضرورية التي يجب على كل مجتمع القيام بها في الحفاظ على علاقات منظمة وآمنة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المجاورة [٣].

ويؤكد هاريس أن تهديد الفوضى يأتي أساسًا من العملية الاقتصادية التي تخصص العمالة والمنتجات للأفراد والجماعات وهكذا هاريس يقسم هيكل النظم الاجتماعية والثقافية إلى قسمين (الاقتصاد السياسي و الاقتصاد المنزلي)[٤].

وهنا نقول بأن (الاقتصاد السياسي) يتكون من مجموعات ومنظمات تؤدي وظائف تنظيم التبادل والإستهلاك والتكاثر بين المجموعات وداخلها وغيرها من النظم الاجتماعية والثقافية يتكون هذا المكون من عناصر مثل المنظمات السياسية والعسكرية والشركات وتقسيم العمل والشرطة

---

(1). Harris, Marvin. Cultural Materialism. In: David Levinson & Melvin Amber (Eds.), Encyclopedia of Cultural Anthropology. New York : 1996, Henry Holt and Co., pp. 277-281.

(٢). شارلوت سيمور سميث، مصدر سابق، ص٤٥٥.

(3) . Harris, Marvin. Cultural Materialism ,cit.p.277.

(4). Thomas Barfield, "The Dictionary of Anthropology", Blackwell Publishers Inc., New York, 1997, P. 96.

ومنظمات الخدمة والرفاهية، فضلاً عن المنظمات المهنية والعمال يمثل الاقتصاد المحلي تنظيم الإستنساخ والإنتاج والتبادل والإستهلاك داخل البيئات المحلية (مثل الأسر والمخيمات)، ويتكون هذا الجزء من الهيكل من الأسرة، والتقسيم المحلي للعمل، وأدوار العمر والجنس، وشبكات الصداقة[١].

ويتكون الاقتصاد المحلي او المنزلي لتنظيم الإنجاب والإنتاج الأساسي، والتبادل والأستهلاك ضمن الإعدادات المحلية (مثل الأسر والمخيمات، والشقق) لتشمل: بنية الأسرة، وتقسيم المحلي من العمل والتعليم والعمر وجنس أدوار

- المجتمع، والانضباط الداخلي، والهرمية، والعقوبات.
- المنظمات الطوعية.
- شبكات الصداقة.
- بعض الجماعات الدينية[٢].

٣. البنية الفوقية

يتكون قطاع (البنية الفوقية) من الجوانب الإيديولوجية والرمزية للمجتمع مثل الدين، ونظرًا الى أهمية العمليات الرمزية، هاريس يفترض أيضا وجود عالمي من البنية الفوقية، مرة أخرى هاريس يقسم هذا المكون إلى قسمين (السلوكية، والعقلية)[٣].

في حين يشير الهيكل إلى السلوك، وتشير البنية الفوقية للفكر العقلي، والتي تشمل المعتقدات (الإفتراضات المشتركة ما هو الصواب والخطأ) والقيم (مفاهيم محددة اجتماعياً من قيمتها) والمعايير (معايير مشتركة أو القواعد المتعلقة بالسلوك، وتشتمل البنية الفوقية العقلية على

---

(1) . Jerry D.Moore,Vision of Culture An Introduction to Anthropological Theories and Thoriste, Third Edition,New York, Toronto,UK,2009,p,23.

(2). ibid,p,283.

(3). M. Harris, Our Kind: Who We Are, Where We Came From, and Where We Are Going. New York: HarperCollins, 1989,p.34.

الطرق المنقوشة التي يفكر بها أفراد المجتمع ويصوِّرون ويقيمون سلوكهم، وتتضمن (البنية الفوقية السلوكية)[١].

مثل أنشطة الإستجمام، والفن، والرياضة، والمعرفة التجريبية، والفنون الشعبية، وغيرها من المنتجات الجمالية بما في ذلك الفن، والموسيقى، والرقص، والأدب، والطقوس، والإعلان، والرياضة، والألعاب، والهوايات، وممارسة العلوم البنية الفوقية العقلية ينطوي على طرق منقوشة فيها أفراد المجتمع يعتقدون، وضع تصور وتقييم سلوكهم ومن الأمثلة أيديولوجية دينية، والمنتجات من العلوم و (المعرفة) والفن (صور رمزية أو إقرارات وجود الجمالية والعاطفية، أو القيمة الفكرية) والطقوس، والرياضة، التجريبية، وهاريس يفترض أن هذه الفئات العقلية في الواقع تعمل بالتوازي مع المكونات السلوكية العالمية للهياكل الاجتماعية، وهناك النظم العقائدية التي تعمل على تبرير وتشجيع السلوك في كل عنصر من العناصر الثلاثة للمجتمع، ومع ذلك من أجل البساطة إنه يعين لهم باسم (البنية العقلية) والذي يقصد به (الأهداف المعرفية الواعية وغير الواعية، والفئات والقواعد والخطط والقيم والفلسفات والمعتقدات حول السلوك أثارها المشاركون أو أستدل بها المراقبون)[٢].

جميع النظم الاجتماعية والثقافية، وفقًا لرؤى مارفن هاريس، لديها هذه المكونات الثلاثة الرئيسية: البنية التحتية، والبناء (هيكل) والبنية الفوقية مبدأً رئيساً من الثقافة المادية، أو أسبقية البنية التحتية[٣].

ترتبط بالعلاقات بين هذه المكونات، وتختلف المادية الثقافية ايضاًعن الماركسية في إفتقارها إلى نظرية الطبقة بينما تشير الماركسية إلى ان تغير الثقافة معيناً الطبقة المسيطرة فحسب، وتخاطب المادية الثقافية علاقات القوة غير المتكافئة لإن التسليم بالإبداعات او التغيرات يعود

---

(1) . https://slidetodoc.com/harris-cultural-materialism-by-dr-frank-elwell-cultural/

(2). Marvin Harris, Cultural Materialism, op. Cit, p,35.

(3). Alan Barnard, "Cultural Materialism", in Barnarde & J. Spencer, Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology, London, 1996, P. 133.

بالمنفعة على كل من الطبقات الأعلى والاوطأ على الرغم من حقيقة ان كلاً من المادية الثقافية والماركسية ذات نوايا تطورية وان تغير الثقافة الناتج من الإبداعات المقرة اجتماعياً هو بسبب تنامي فوائد الإمكانيات الإنتاجية[١].

إذ لا تصور المادية الثقافية الصورة الطوباوية النهائي كما صورتها الماركسية ويعتقد الماديون الثقافيون أن المجتمعات جميعها تعمل على وفق الانموذج الذي يهيمن على الإنتاج وإعادته، ويحتم المحدد للقطاعات الأخرى للثقافة، ويعملون على نحو فعال بإعتبارها القوى الدافعة وراء كل تنمية ثقافية ويخلصون إلى ان جوانب البنى الا التحتية للمجتمع التي ابتدعت بهدف الإستفادة من قدرات المجتمع الإنتاجية والسكانية ولذلك، تعد الأنساق مثل الحكومة والدين والقرابة والقانون[٢].

وهنا نقول بإنها قد اخذت بعين الإعتبار لتكون البناءات الموجودة فحسب أي أن يكون التشييد موجوداً لغرض وحيد هو تشجيع الإنتاج وإعادته الدعوة لإجراء البحوث التجريبية والأساليب العلمية الصارمة هو من أجل عقد مقارنات دقيقة بين ثقافات منفصلة، ويعتقد الماديون الثقافيون بإن المنظار الذي يفسر بفعالية كل من التنوع المتداخل ثقافيا والتماثلات بين الثقافات ومثال ذلك التغيرات التكنولوجية والبيئية والديموغرافية المستحضرة لتفسير التنوع الثقافي.

---

(1) . Marvin Harris ,Theories of culture, p.224.

(2). Lorenzo Macagno, The birth of cultural materialism? Debate between Marvin Harris and Antonio Rita Ferrara, Department of Anthropology, Federal University of Paraná, Curitiba/PR, Brazil, vol.13 no.1 Brasília Jan./June 2016,p.65.

المبحث السادس: أدوات جمع البيانات والمعلومات

إنّ أهمّ إسهامات الأنثروبولوجيا بوجه عام، يتمثّل في منهجها البحثي .. وبما أنّ أحد الشروط الأساسية في منهج البحث العلمي، هو أن يعرض الباحث بوضوح، الوسائل التي حصل بوساطتها على مجموعة من المعلومات، فالدراسة الميدانية (الحقلية) تتطلّب ما هو أكثر من وجود الباحث ومراقبته لما هم عليه الناس.

لأنّ الباحث يحتاج – غالباً– في ملاحظته، إلى التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي (النظري) يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما (فعالية الهبات)، موضوع الدراسة، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه، واستناداً من هذا المنطلق، فقد أقرّ علماء الأنثروبولوجيا بعض الطرائق الميدانية التي يمكن عدّها أدوات عمل فاعلة في العمل الميداني، ومنها : طريقة المشاهدة والملاحظة بالمشاركة، المخبرون، المقابلة.

الأول: الملاحظة المباشرة (Direct Observation)، الملاحظة بالمشاركة **(Participant Observation)**

تعد هذه الوسيلة الأساسية في العمل الحقلي، إذ يكثر استعمالها كأداة لجمع البيانات في دراسة معظم موضوعات البحث ولاسيما تلك التي تتعلق بسلوك الأفراد في بعض مواقف الحياة اليومية، فيقوم الباحث بملاحظة الأشياء والأحداث التي تدور حوله مستخدماً حواسه للحصول على المعلومات المختلفة عن الأحداث والمواقف التي يتفاعل معها ويلاحظها، وهذه الملاحظة التي يقوم بها الباحث تعد سلوكاً موجهاً نحو تحقيق أهداف أخرى ترتفع عن مجرد الملاحظة، إذ يكون الهدف الأساسي منها الحصول على البيانات المطلوبة او المادة التي يستفيد منها الباحث في المراحل التالية لبحثه، كما يستخدم هذا الأسلوب في جمع البيانات التي يصعب جمعها بالمقابلة او الاستبيان او الطرق الأخرى المتبعة في جمع البيانات وذلك لأسباب متعددة أهمها

رفض المبحوثين الاستجابة المباشرة للباحث، وتعبير الملاحظة بالمشاركة يتضمن فكرتين أقام عليها بعض الباحثين موقفاً ذا طرفين، أحدهما:

يمثل **الإندماج في المشاركة،** والثاني يمثل **التركيز على الملاحظة،** والمهم هنا أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة، وبين الملاحظة الخالصة، يماثل التقابل بين موقفي الاستغراق Involvement ، والانفصال Detachment، اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية الأنثروبولوجية بوصفه عملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته بعد ذلك[١].

الثاني: الإخباريون (Informants)

ان الباحث الانثروبولوجي لا يعتمد على الملاحظة بالمشاركة في جمعه للبيانات بل يضيف اليها مجموعة من الوسائل من بينها الاعتماد على الاخباريين وهذه الطريقة تعد من الوسائل التقليدية التي استخدمها الانثروبولوجيون في أبحاثهم واعتمدوا عليها كما اعتمدوا على الملاحظة بالمشاركة، فالمقصود بالمخبر: شخص يعاون الدارس او الباحث الميداني بالإجابة على أسئلته وبتقديم معلومات اثنوغرافية منفصلة عن المجتمع الذي يدرسه، تشمل مختلف مظاهر حياته ونظمه ويناقش الدارس حولها لاستجلاء ما يصعب عليه فهمه من حقائق غامضة تتعلق بها[٢].

ويُعد المخبر شخصية مركزية ومحورية في البحث الميداني لا يمكن تجاوزها، ويشكل صلب موضوع التساؤلات بين الباحثين ويتوقف نجاح الدراسة الحقلية إلى حد بعيد على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم، فهم يمثلون حلقة الاتصال بين الباحث والمجتمع طوال مدة الدراسة، وهناك إخباريون عاديون يستمد الباحث منهم البيانات من خلال المقابلات حول الموضوعات التي

---

[١]. فتحية محمد إبراهيم ، حمدي الشنواني: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان " الأنثروبولوجيا" ، دار المريخ للنشر، الرياض ،١٩٨٨ ، ص١٨٥ .

[٢]. شاكر مصطفى سليم ، قاموس الانثروبولوجيا ، مصدر سابق ، ص٤٩٢.

يستطيعون التحدث فيها، ولكنهم لا يمثلون مصدراً أساسياً في عملية جمع البيانات، وهناك إخباريون رئيسون يتمتعون بثروة من المعلومات حول المجالات التي تهم الباحث[١].

الثالث: المقابلة (Interview)

ان عملية الاتصال بالاشخاص (الفاعلين) تأخذ شكلا اخر فبعد الملاحظة واستعمال الاخباريين يقوم الباحث باجراء مجموعة من المقابلات، وتعد المقابلة من أهم وسائل جمع المعلومات والبيانات، واكثرها استعمالاً بالنظر الى مميزاتها المتعددة ومرونتها، وتتم من خلال الاتصال المباشر –وجهاً لوجه– بين الباحث والمبحوث فهي تفاعل لفظي بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص آخر، أو مجموعة أشخاص آخرين، بغرض جمع البيانات التي يحتاج اليها البحث[١].

ولذلك فهي تختلف عن الحديث العادي الذي قد لا يهدف إلى تحقيق غرض معين، وهناك نوعان من المقابلة: مقابلة موجهة **Directive Interview** التي يحدد فيها الباحث النواحي التي تجمع عنها البيانات لأهميتها، ومقابلة غير موجهة **Non–directive Interview** ويترك فيها الحرية الكاملة للباحث ليجمع ما يرى من البيانات[٢].

وقد سعى الباحث إلى إستعمال هذه الأداة في جمع كثير من المعلومات الخاصة عن الممارسات التي يقوم بها الناس حول الهبات، كما إن أكثر الذين تمت مقابلتهم هم من فئة **الممولين**، أصحاب الاموال واصحاب المحال التجارية الذين يشكلون العنصر الأساسي والطرف المباشر في تشكيل هذه الممارسة.

---

[١] . د. فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني، المصدر السابق ، ص ١٧٧.

[٢]. زكي، جمال، يس، السيد، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، ١٩٧٣، ص٨٤.

[٣]. د. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ب.ت، ص٢٢٥.

الباب الثاني (الفصل الرابع)

ميدان الدراسة

تمهيد:

يلتـزم الأثنوجرافيـون بـالنزول إلـى الميـدان الحقيقـي الـذي ينـوون دراسـته وان يقتربـوا مـا أمكـنهم مـن أنشـطة الآخـرين وخبـراتهم اليوميـة ويتطلـب هـذا الاقتـراب فـي حـده الأدنـى درجـة مـن القـرب الجسـدي والاجتمـاعي مـن مجـالات الحيـاة اليوميـة للنـاس ولأنشـطتهم . ويتعـين علـى الباحـث الميـداني أن يكـون قـادراً علـى اتخـاذ أوضـاع فـي قلـب المواقـع والأحداث الرئيسة في حياة الناس لكي يلاحظها ويفهمها.

ولكـن (الاقتـراب) يتضـمن مكونـا آخـر لـه دلالـة ابعـد وأكثـر أهميـة، فـالأثنوغرافي ينشـد الانغمـاس العميـق فـي عـوالم الآخـرين لكـي يفهـم خبـراتهم المهمـة وذات المغـزى، ويسـتطيع الباحـث الميـداني بواسـطة هـذا الانغمـاس أن يـرى مـن الـداخل كيـف يمـارس النـاس حيـاتهم وكيـف يـؤدون أنشـطتهم المعتـادة علـى مـدار اليـوم ومـا الـذي يعدونـه ذا معنـى، وكيـف يترجمـون ذلـك فـي أفعـالهم، وهكـذا فـان الانغمـاس يمـنح المشـتغل بالعمـل الميـداني إمكانيـة الانخـراط فـي تيـار حيـاة النـاس ويزيـد مـن حساسـيته للتفاعـل والعمـل معهم .

ويلاحظ – فضلا عن ذلك – أن هذا الانغماس يُمكّن الباحث الميداني من أن يعايش بنفسه – مباشرة وبقوة – الروتين والظروف المعتادة التي يمارس الناس في ظلها حياتهم اليومية العادية، والقيود والضغوط التي تتعرض لها هذه الحياة.

كما ويستكشف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية كيف يعيش الناس في أماكن مختلفة ويفهمون العالم من حولهم، يريدون بذلك معرفة ما يعتقده الناس وفهم القواعد التي يضعونها حول كيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض، وقد يختلف الناس حول الطريقة التي يجب أن يتحدثوا بها أو يرتدون ملابسهم أو يأكلون أو يعاملون الآخرين.

وبهذا يسعى علماء الأنثروبولوجيا الى سماع جميع الأصوات ووجهات النظر من أجل فهم كيف تختلف المجتمعات وما هي السمات المشتركة بينها، غالباً ما يجد علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية أن أفضل طريقة للتعرف على الشعوب والثقافات المتنوعة هي قضاء الوقت في العيش بينهم، اذ يحاولون فهم وجهات النظر والممارسات والتنظيم الاجتماعي للمجموعات الأخرى التي قد تكون قيمها وطرق حياتها مختلفة تماماً.

فالكتابة الاثنوغرافية تتجه نحو البدء في وصف الثقافة وكيف يستطيع الباحث ان يترجم هذا الوصف على شكل نصوص مكتوبة، وهذا ما يؤكده الوصف السردي الذي يعتمد عليه في وصف البيانات الاثنوغرافية والتي تُعرف بالرواية او القصة وهذا ما كانت عليه الكتابة في الفصل الرابع الذي كان تحت عنوان الدراسة الميدانية.

ومن خلال رصد الممارسات والفعاليات التي يقوم بها الافراد في مجتمع الدراسة لبناء أنموذجه العلمي وفقاً للأدوات التي يستعملها الانثروبولوجي في جمع المعلومات، لذلك يتجه الفصل الرابع (ميدان الدراسة) الى العمل الحقلي الذي نعمل عليه من خلال رصد مشاهد الممارسات والفعاليات اليومية للفاعلين في مجتمع الدراسة.

المحطة الأولى: البيئة والتبيؤ

تمتاز إيكولوجة المنطقة بأنها تقع في الجنوب الشرقي لمحافظة بغداد وتبدأ شمالًا وتتجه إلى ناحية الجنوب، تنقسم المدينة على عدة محلات ومناطق، أهمها الزعفرانية القديمة او ما تسمى بـ(العتيگة*) الواقعة على المدخل الشمالي للمدينة، يقع في قلبها سوقٌ شعبيٌّ عامرٌ بالحركة، إضافةً الى مستشفى الزعفرانية العام ومركز شرطة الزعفرانية، أما في الجهة المقابلة للشارع العام الذي يقسم الزعفرانية تقع منطقة سعيدة والتي تتكون من مجموعةٍ من البيوت السكنية ودور الجلود، ويعيش في هذه المنطقة موظفو الشركة العامة للصناعات الجلدية، ويوجد فيها عمارات تسمى عمارات سعيدة السكنية والتي بنيت في ثمانينات القرن الماضي"وتم توزيعها الى العسكريين من حملة رتبة (نائب ضابط)، وتقع بجوارها مزرعةٌ عرضها (٥٠٠) متر تقريباً تفصل منطقة سعيدة عن منطقة دور المعلمين التي تتكون من مجموعةٍ من الدور السكنية بدءاً من ساحة الشهيد (رسول آلوس) مرورًا بساحة الزعفرانية لكرة القدم واصلًا بينها وبين دور سعيدة، تأتي بعدها بناية المجلس البلدي – حالياً– المحلات تُقسم منطقة الزعفرانية الى (٢٢) محلة او قطاعات موزعة، منها محلات زوجية ومنها الفردية حسب الشكل المبين ادناه، تبدأ من محلة (٩٥٠) وأنتهاءً بالمحلة (٩٧٠) وهذه المحلات الزوجية والفردية يفصل بينها شارع عام رئيس، اما مداخل المنطقة فأن فيها مدخلين رئيسين الأول يبدأ من تقاطع جسر بغداد الجديدة الذي يفصل منطقة الكرادة ومنطقة الدورة من الشمال ومن شمال الشرقي مدخل منطقة الزعفرانية، اما المدخل الثاني فيبدأ من جسر ديالى القديم مرورًا بمدخل المنطقة والذي يبلغ طوله على ما يقرب (١٥) كيلومتر، كما مبينة في الشكل.

---

*. منطقة الزعفرانية القديمة او بـ(العتيگة): بناها الرئيس السابق عبد الكريم قاسم منذ بداية ستينات القرن الماضي والتي يبلغ مساحة الدار منها (90) متراً، وسميت بهذا الاسم لأن اغلب هذه البيوت بقت على بنائها القديم لم تُحدث.

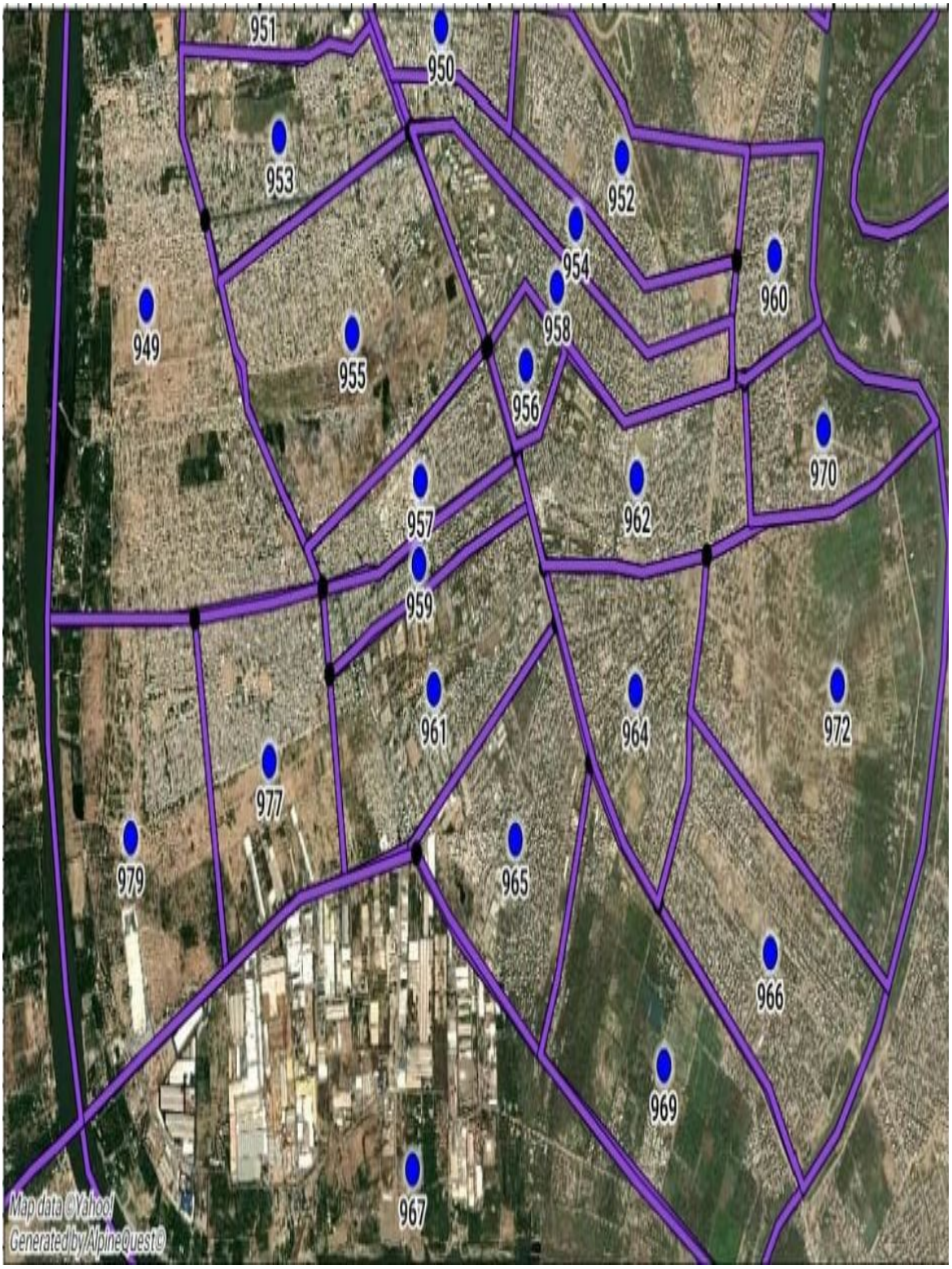
951
950
953
952
954
960
949
958
955
956
970
957
962
959
961
964
972
977
979
965
966
969
967
Map data ©Yahoo!
Generated by AlpineQuest©

المحطة الثانية : التجمع الدوري

وقت الصباح

غدت الشمسُ معيارًا زمنيًا بديلًا عن التحديد الصارم للوقت، فمع تباشير الصباح حثّ الناسُ المتبرعون خُطاهم نحو المكان الذي أقروه لتجمعهم، مَشوا وكأنهم يِردون الماء من ظمأ، يحدوهم شوقُ إلى فعل الخير وصدى من بعيد "يناديهم أن تعالوا الى ما يجعلكم خالدين".

يتأهب الناس عند دخول شهر رجب لأعمال تطوعية يتقربون بها إلى الله تعالى ولاسّيما الاستعداد للزيارة الرجبية (زيارة الامام الكاظم عليه السلام) التي توافق في الـ(٢٥) من شهر رجب، فيبدأون بتهيئة وتحضير مواكب خدمة الزائرين، وجمع واستقبال التبرعات التي تدعم مواكب الخدمة.

ونلحظ الدور البارز والسبّاق للمرأة في عملية جمع التبرعات في منطقة الدراسة، كونها تبادر قبل الرجل ومنذ بدايات شهر رجب ولا سيّما الأيام الأولى منه، إذ يتجولن منذ وقت الصباح الى غروب الشمس، بين الدور وأزقة المحلة لجمع الأموال من المتبرعين، كلٌ حسب امكانياته المادية ومن غير اجبار لهم.

لا يقتصر دور النساء على جمع التبرعات، وإنما يشاركن في تحضير المواكب وإقامة المجالس الخاصة بالنساء، وتوزيع الطعام واستقبال النساء الزائرات القادمات من المحافظات البعيدة ومبيتهن في البيوت.

امرأة في الثلاثينات من العمر من اهالي المحلة تتوشح بالسواد تضع على رأسها قطعة قماش تُغطي بها رأسها تُعرف بـ(الفوطة*) مرتدية العباءة، تحاول جمع التبرعات من الناس، وتحيي أهل الدار بقولها: (صُباح الخير .. اريد تبرعات لموكب موسى الكاظم... هاليطلع منكم). تُجيبها إمرأة من داخل الدار: فدوة لأسمه (تقصد الإمام الكاظم) وتُدخلها إلى المنزل؛ كي تعطيها ما يتيسر لها من المال، إذ تتراوح تبرعات النساء ما بين (١٠-٢٥) الف دينار، قد تزيد أو تنقص بحسب إمكانياتهن المادية، وبعضهن يتبرعن بمواد عينية للمواكب مثل:

* . الفوطة : وهي التي تلفها المرأة حول رأسها وهي ذات لون أسود او ابيض وهناك أنواع منها بريسم، ونايلون .

(الرز والحمص او التمر او الطحين..)، أو يتبرعن بـ(بطانيات، ودواشگ، وسادات... وغيرها) من الوسائل التي تسهم في توفير الراحة لمبيت واستراحة الزائرين القادمين من محافظات الجنوب، وبعض النساء يُبادرن للعمل في الموكب من اجل إستحصال الثواب، وبعضهن الآخر تعمل في الموكب تطوعًا منها طالبة من الإمام (عليه السلام) ان يرزقها ذُرية (أولاداً) بحسب اعتقادهم.

ويبادر الرجال ايضاً الى جمع التبرعات من الاصدقاء، وعادة ما يدفعون تبرعات شهرية على مدار العام؛ بوصفهمُ منظمين عملية التبرع من خلال اشتراكهم وانضمامهم الى موكب في محلتهم هو موكب (الحاج رحيم الاسدي)، لخدمة الزائرين.

ويشهد سوق المحلة نشاطاً اقتصادياً؛ نتيجة زيادة الطلب على المواد التي تستعمل في المواكب مثل المواد الغذائية والحديد الذي يدخل في بناء الموكب (الهيكل) وبعض المواد الكهربائية كالإنارة والطباخات وشوايات الكباب (المنقلة) والفحم وكذلك شوايات السياح، وتتكون شوايات السيّاح من صفيحة معدنية اشبة بغطاء القدر المستعمل في الطبخ على شكل دائري يبلغ قطرها على ما يقرب المتر منصوبة على منضدة مربعة الشكل وتحتها مشعل النار، وشواية الشاورمة، والسكاكين والشفرات التي تدخل في تقطيع السياح ومنضدة كبير يبلغ طولها ثلاثة أمتار وعرضها نصف متر تقريباً، الغرض منها، عرض قطع السيّاح عليها للزائرين، ومن مستلزمات الشاي والقهوة (الأقداح "الأستكانات" والفناجين) وإناء لغلي الماء (الكتلي) وقناني الغاز... وغيرها من المواد التي تدخل ضمن احتياجات الموكب.

في ايام شهر رجب عادة ما تكون درجات الحرارة عالية تصل الى (٤٥°) درجة مئوية لا سيّما في وقت الظهيرة عندما تكون الشمس في كبد السماء،لأنه عادة ما يصادف فصل الصيف، لذا يبادر العاملون في الموكب الى عمل مسقف من الحديد او شراء مظلات كي يستظل بها العاملون من حرارة الشمس.

يحدثنا أحد مؤسسي الموكب احمد، موظف حكومي يبلغ من العمر (٣٦عاما) عندما قرر مع اصدقائه الذين لا يتعدون الـ(٣) من الشباب تأسيس موكب حسيني لخدمة الزائرين في

الـ(٢٥) من شهر رجب بعد ان تبلورت فكرتهم عقب نقاش طويل، يتفق الشباب على تأسيس صندوق مالي لجمع التبرعات لصالح الموكب يقوم على أساس الدفع الشهري للمشتركين، كما اتفقوا ايضاً على تسمية الموكب بـ(موكب الحاج رحيم الأسدي) يقول أحمد: "كانت الفكرة في بدايتها تقوم على تأسيس موكب يضم شباب محلتنا والشيوخ من كبار السن (وجهاء المنطقة) الراغبين بتقديم الخدمة للزائرين تقديمًا طوعيًا ومستقلًا وبجهود شخصية" ويمضي بالقول: "ان جميع ما يحتاج اليه الموكب وما يقدمه من خدمات للزائرين يتم توفيرها من مبالغ الصندوق، وهذه المبالغ تجمع في الصندوق طوال العام ليستفاد منها في الزيارة، فبدأ اعضاء الموكب يتزايدون وأصبح العدد ما يقرب (٥٨) ممن يديرون الموكب من رجال ونساء، ويتابع حديثه بالقول: احيانًا تحصل حالات فردية كأن يأتي متبرع معروف ومزكى من أحد المؤسسين أو من أهالي المنطقة يقدم مبلغًا معينًا من المال للموكب، نتولى نحن صرفه في الحاجات الضرورية للموكب".

وعن كيفية صرف هذه الأموال، يقول أحد مؤسس الموكب: " نحدد ما نحتاج إليه في إعداد الطعام للموكب والمواد، نعد قائمة لذلك بالاحتياجات من غير نقص، ثم نتوجه إلى السوق لشرائها بإموال الصندوق، ويتم تدوين كل الواردات والصرفيات في سجل خاص، فضلًا عن أسماء المتبرعين والمبلغ الذي تبرعوا به، في بعض الأحيان لا يقبل المتبرع ان نذكر اسمه أو نسجله في السجل خوفًا من الرياء وضياع الثواب، فنكتب تبرع احد خُدام الامام الحسين بمبلغ من المال وقدره (نذكر المبلغ) هكذا.

قبل (١٠) ايام من قرب الزيارة التي تصادف يوم (١٥) من شهر رجب، يبدأ غالبية الناس بنصب المواكب وتجهيز الأغراض، التي هي عبارة عن خيم ذات هياكل حديدي تتصل بعضها ببعض صُنعت محليًا، كانت تُنصب في السابق لأحياء مجالس العزاء، لكن بعد الاحداث التي مرت على الشعب العراقي وبسبب التفجيرات الإرهابية بدأ الناس اللجوء الى قاعات المناسبات والجوامع والحسينيات لإقامة المجالس.

إذ يبلغ طولها ما يقرب من (٩ الى١٠)، امتار والعرض (٤-٥) أمتار وتكون اما على شكل مقوس أو شكل مستطيل، مغطاة بقطع سميكة من القماش العازل للمطر، ومقاوم لدرجة الحرارة، يتم نصب خيمتين واحدة لاستراحة ومبيت الرجال والثانية للنساء.

تبدأ عملية نصب الخيم التي تحتاج الى "فزعة" من الشباب الذين يبلغ عددهم (٧ أو ٨)، أو اكثر على ان تتم نقل الأغراض ونصبها في الشارع الرئيس للمنطقة الذي يسمى (شارع المواكب)، الشارع يبدء من محلة جسر ديالى القديم الى نهاية الشارع الذي يربط تقاطع حي بغداد الجديدة والدورة والكرادة وصولًا الى حي الكاظمية والذي تكتظ فيه المواكب والزوار القادمين من المحافظات مروراً بهذا الشارع، ويبلغ طول الشارع الذي يتم نصب المواكب فيه إلى ما يقرب من (١٥) كيلومتراً بدءًا من جسر ديالى القديم الى نهاية معسكر الرشيد وصولًا الى مجسر بغداد الجديدة أو ما يعرف بجسر (معسكر الرشيد)، والشارع عبارة عن مساريين ذهابًا وايابًا وعلى جانبيه محلات تجارية، عادة عندما تقترب الزيارة يبادر اصحاب المحال التجارية الى غلق محالهم تيمنًا بهذه الفاجعة وهي استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

يبلغ عرض كل اتجاه (side) نحو ثلاثة امتار تفصل بينهما جزرة وسطية تم زرعها بشجيرات، يفصل كل (١٠) امتار عمود كهرباء لانارة الطريق، يتم نصب المواكب على طول الشارع الرئيس، ويبعد كل موكب من الآخر بما يقرب من مترين تقريباً، وهو مجهز بوسائل التبريد (مبردات الهواء) ومراوح عمودية متنقلة ومفروش بفراشين الأول: يسمى (الارضية) وهو ما يغطي مساحة الموكب بالكامل وهو عبارة عن قطعة عن القماش السميك (الچادر) الثاني: عبارة عن فرشات يبلغ طول الواحدة مترين والعرض متر واحد تقريباً وهو ما يسمونه (المَدة) أو الزوالي وهذه الزوالي أو المدات تم التبرع بها من الاهالي في المنطقة.

امرأة كبيرة في السن يبلغ عمرها ما يقرب الـ(٧٠) سنة تبرعت للموكب بمدات للصلاة أو ما يُعرف بالــ(مصلاية) عددها (١٥) مصلاية، وسبح مصنوعة من البلاستك سوداء اللون للتسبيح، وتُرب السجود يقترب عددها من (٢٠) تُربة.

تقول هذه المرأة اشتريت هذه الاغراض عندما ذهبت للعمرة في بيت الله الحرام وعادة ما يتم شراء هدايا من ذلك المكان المقدس، وعند الانتهاء من العُمرة والرجوع الى البيت يبادر الناس لزيارة القادمين من بيت الله للتبرك بهم والاطمئنان على صحتهم، وهذه من عادات وتقاليد المجتمع، فتقوم أو يقوم الزائر المُعتمر بإعطاء هذه الهدايا للتبرك بذلك المكان الطاهر للضيوف الذين جاءوا للأطمئنان على صحة وسلامة المُعتمر.

ثم قالت المرأة "زادت عندي" المصلايات والمسبحات، وهذه هدية مني لزوار الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بعدها اعقبت قائلة: "عسى ان يتقبل مني الامام هذه الحاجات المتواضعة".

احد خدام الموكب وظيفته جمع التبرعات العينية (الرز)، اذ يقوم بالتنقل بين محلات أو اصحاب وكالات المواد الغذائية (الحصة التموينية) لشراء اكياس التمن، اذ يجمع كل سنة ما يقرب (٢٠) كيسًا من التمن أو من خلال تبرع الاهالي بحصتهم التموينية، يقوم بجمعه ووضعه في سيارة حمل ونقله الى مطحنة في منطقة الشعلة لطحنه حتى يصبح دقيقًا (طحيناً) وهذا ما يُستخدم في عمل السيّاح على طريقة اهالي الجنوب، والسيّاح يُقدم كوجبة فطور صباحية مع البيض المقلي بالدهن ويوزع على شكل قطع ملفوفة تُعرف بـ(اللفة) مع استكان من الشاي يُقدم للزائرين وهو ما يُعد وجبة مفضلة لديهم، لان غالبية الزائرين من المحافظات الجنوبية.

انصرف هزيع الليل الأخير حتى الفجر، عندها يبدأ المتطوعون بالتوجه الى الموكب بعد صلاة الفجر مباشرة لتحضير وجبات الفطور للزائرين، وكل حسب وظيفته اي هناك تقسيم للعمل في الموكب، شخصان يقومان بتحضير الشاي، يقوم احدهما بعمل الشاي والثاني بتجهيز"الاستكاين" بعد غسلهن بماء فاتر ووضع السكر فيها وترتيب ميز خاص بالصب والتقديم، والثاني يقوم بتقديمه للزائرين مع مناداتهم (تفضل يزاير تريگ) وآخر يستقبل الزائرين الذين قطعوا مسافات طويلة سيرًا على الأقدام، تصل إلى نحو اكثر من (٢٠٠) كيلومتر، ويمشون ضمن مواكب لطمٍ على وقع أناشيد حسينية، حاملين رايات خضراء وسوداء وحمراء، تحمل أسماء اهل البيت (عليهم السلام) ويدخلهم الى الخيمة لتناول الافطار، بعضهم يتناولون

الإفطار وهم واقفين على ميز صُنع من الحديد مخصص لهم، اذ يبدأ الزوار بالمسير منذ الصباح الباكر اي بعد صلاة الصبح مباشرة وقبل طلوع قرص الشمس ينطلق الزوار لإكمال مسيرهم نحو منطقة الكاظمية، كما تفضل النساء الجلوس داخل الخيمة المخصصة للنساء لتناول وجبة الافطار.

يرسل بعض المتبرعين من أهالي المنطقة كعك أو ما يُعرف بـ(كعك ابو الدهن) وهذا النوع خاص ويقدم مع الشاي عند الصباح، ويقوم آخرون بقلي البيض بالدهن في مكان مخصص لهم، وآخرون يقومون بعمل السياح يحتاج عمل السياح (٣ الى٤) اشخاص ليقوموا بهذه المهمة، علمًا ان الأدوات المستعملة مثل (الشفرة) وظيفتها تقوم بتقطيع السياح الى قطع كان تكون (٦ أو٨) قطع مربعة الشكل، وفرشاة من الحديد لتنظيف (تاوة*) السياح ومن ثم يقوم أحد الخدام بمسح (التاوة) بقطعة من القماش، الطباخ يكون خاصاً وحجمه يكون كبيراً وفيه غطاء كبير يساعد على حصر البخار الحار ليكون جاهزًا للعمل.

اما طريقة عمله فبعد ان يُطحن الرز في مطاحن خاصة يتم وضعه في قدر كبير ويضاف اليه الماء وقليل من الملح ويضرب بآلة كبيرة تعرف بـالـ(دريل) وهو صنع محلي يقوم بمزج الطحين مع الماء ومن ثم يكون جاهزاً للعمل، عمل السيّاح كوجبة تُقدم للزائرين طيلة اليوم، اذ يُعدّ بديلا عن الخبز.

امرأة في الستينيات من العمر (أُم مشتاق) وهي إحدى النساء اللواتي يعملن في خدمة الزائرين، تمتلك هذه المرأة عددًا من المواشي (الجاموس) اذ تقوم بتجهيز وتحضير صينيتين من القيمر (گيمرعرب) مع الحليب، وصينية (جبن عرب) وتحضره للموكب صباحًا تقريباً عند بروز شفق الصبح وتبدأ بتوزيعه على الزائرين كوجبة إفطار مع الصمون الحار أو مع السيّاح.

في الشارع نفسه، وتحديدًا بالقرب من جسر ديالى القديم، هناك معمل للثلج، يقوم صاحب المعمل أو احد المتبرعين بملء سيارة الحمل بالثلج إذ يبدأ بتوزيع قوالبه على المواكب، لكل موكب (٢ أو ٣) قوالب ثلج على ثلاث وجبات في اليوم الواحد.

---

*. التاوة: عبارة عن قطعة معدنية دائرية الشكل يبلغ قطرها على ما يقرب المتر تستعمل لعمل السياح

وقت الظهر

لم تثنِ عزائم الخيرين تلك الشمسُ في ظهيرتها، فصار الصبح والظهر زمنين توأمين مصطبغين بالمهابة النفسية، حتى يتوهّم الرأي الى وجوههم المستبشرة انهم في رواء من نور وموعدٍ من روضة وسرور.

ينتهي العمل من الخدمة للساعة (١١) تقريباً اذ يقوم المتطوعون الموجودون في الموكب بتنظيف المكان وتنظيف الاغراض ومن ثم اخذ قسط من الراحة، وبعد صلاة الظهرين يتوجه المتطوعون للموكب لتجهيز وجبة الغداء، اذ يقومون بطبخ التمن والمرق كأن تكون بقوليات مثل الفاصوليا أو القيمة أو ما يسمى بـ(التبسي)، وبأيام متفاوتة، في بعض الاحيان يكون الغداء شوي كباب لحم أو دجاج حسب المتوافر، أو عمل (شاورما).

عند زوال الشمس العمودية على ما يقرب من الساعة (٤ أو٥) يبدأ اهالي المنطقة بالتوجه الى الشارع العام الرئيسي لمشاهدة الزائرين القادمين من خارج بغداد والمواكب، وأكثر الناس يقومون بالتبرع للمواكب بشيء بسيط كأن يكون توزيع عصائر معلبة أو تقديم الخبز أو يتبرعون بصناديق من الماء للشرب وغيرها، هذا ويستمر لغاية الـ(٢٤) من شهر رجب وينتهي العمل في الموكب.

تقسم مهام العمل والتحضيرات على مؤسسي الموكب وقد يشاركهم ايضاً عدد من البيوتات كأن تكون مشاركتهم بثرم اللحم بعد شرائه من محال القصابة، كي يعملوا منه (كباباً مشوياً) يوزع على الزائرين كوجبة غداء أو مشاركات اخرى كعمل حلويات مثل (الكاستر أو المحلبي أو تمر بالسمسم على شكل كرات صغيرة بعد اخراج النواة منه) هذه المشاركات من قبل الناس كعطاء منهم وتبرع للموكب كأن يتم التبرع بمبلغ من المال أو اي مواد اخرى يستفيد منها اصحاب الموكب، في وجبة الغداء تُقدم غالبية المواكب طعام التمن والقيمة المشهورة وهي عبارة عن الرز وحساء ممزوج بالحمص واللحم والتوابل كوجبة غداء جيدة تساعد الزوار على مقاومة عناء الطريق لما فيها من بروتينات ونشويات واملاح تساعدهم في مسيرتهم نحو الامام عليه السلام.

في بعض الاحيان تكون وجبة الغداء (همبرغر) للزائرين بعد ثرم اللحم واضافة بعض النكهات له وبعض المواد التي تدخل في عمل الهمبرغر وهذا يتم شراؤه من العطارين وعادة ما يتم التبرع به من قبل اصحاب المحلات أو مشاركتهم ببعض الاموال، ويتم عمل أو تجهيز (الهمبرغر) في البيت ويتم بعمل كميات كبيرة تصل الى (١٠٠٠ أو ١١٠٠) قطعة همبرغر ويتم توزيعها على ثلاثة ايام يعني كل يوم يتم توزيع على ما يقرب (٣٠٠ أو ٣٥٠) قطعة من الهمبرغر.

حسام أحد مؤسسي الموكب وهو (الگهوچي) المميز بزيه يأخذ جزءاً من المال من صندوق الموكب والجزء الآخر من حسابه الخاص لشراء حبوب البُن وطحنها أو شرائها جاهزة، وشراء المواد والنكهات التي تدخل في عملها، يبدأ بتقديم القهوة العربية كإضافةٍ خاصةٍ ونوعية فإن لها الأفضلية، اذ يمتلك الخصوصية على ما يتمّ بذله، كونها عنوان الكرم ورمز الضيافة، وللقهوة الوقعُ الخاص لدى الزائرين، لكنّ القائمين على الموكب أفردوا مكانًا خاصًا لتوزيع القهوة وكان موقعه على جانب الشارع العام يقابله خيمة الموكب واضعًا ما يُعرف بالدلات بأنواعها واحجامها والوانها الذهبية البراقة وفي مقدمتها (الگمگم*) وهو يتوسط الزوار ليقدم لهم القهوة وهي تختلف برائحتها ونكهتها الخاصة المميزة وبنوعيها الحلوة والمرة .

على طريق الزائرين وامام الموكب يفترش شباب لم يتجاوزوا العشرينات من العمر الأسفلت واضعين الأواني الكبيرة المعروفة محليا بـ(الصواني) مملوءة بأشهى المأكولات وهم ينادون بأصوات عالية (تفضل يا زاير) في مشهد قل نظيره، يتخذ هذا الموكب من مدينة بغداد مقرًا لتقديم خدماته للزائرين بشكل سنوي.

ونظراً لحاجة الزائرين الى خدمات خاصة كالحمامات والمراحيض لقضاء حاجاتهم، ولِكون المواكب التي نُصبت على الشارع العام بعيدة عن البيوت لذا يواجه الزائرون صعوبة في

* . القمقم(الگمگم): دلة كبيرة يتم وضعها على النار في اغلب الأوقات ويتم فيه تهيئة القهوة بشكل أساسي وتحوي كميات كبيرة من الشراب ليكون جاهزًا في كل وقت للضيوف.

الحصول على الحمامات، مما دفع "حجي علي" البالغ من العمر (٥٤) سنة احد اصحاب محال المواد الانشائية لنصب حمامات جاهزة على جانبي الشارع الرئيس.

تحتوي هذه المراحيض على اربع حجرات صغيرة محلية الصنع وهي عبارة عن جملون صغير يربط فيه صنبور*، ماء موصل الى نقطة رئيسية لماء الاسالة لتغذية الحمامات بماء نظيف وكذلك ربط المراحيض بانبوب (بوري) بلاستك مع المجاري الرئيسة في الشارع الخاص بالمياه، يبلغ ارتفاع كل واحدة من هذه (الصحيات) على ما يقُرب من (١,٦٠) سم أي ما يقدر بـ(متر ونصف) وقطرها على ما يقرب (٨٠ سم) مربع مغلفة، تم نصب (٤) مجموعات كاملة من الحمامات والمراحيض للنساء وهو ما يبعد عن المجموعة الأولى لحمامات الرجال بـــ (٢٠٠) متر تقريباً .

هناك نوع من التآزر والتلاحم بين المتطوعين في المواكب وقد شاهدت حالة قد تُلفت الإنتباه، وهي المساعدات العينية بين المواكب أو من خلال عملية تبادل المواد بين موكب وآخر بعد ان تنفد إحدى المواد الاساسية كأن يكون الصمون أو الخبز أو مادة الزيت أو الفاكهة أو اي شيء آخر، يتم رفد الموكب المحتاج من موكب آخر أو كان هناك نقص في بعض المواد، يتبنى نظام المقايضة بالمواد بين المواكب الموجودة.

وقت الليل

منح الليلُ هيبته وطغى سحره على تلك الوجوه النضرة وهم يحاكون النجم فأستعار المجد منهم ضوءًا لا ينفد واستجدى الفخرُ زهوًا لا يخور ولا يرتد، وقاسمهم السؤدد ينبوع الكرم والعرفان في زمن المحنة والاشجان.

عند الإنتهاء من وجبة الغداء وبعد غسل ادوات الطبخ واستراحة المتطوعين في الموكب أو الذهاب الى بيوتهم القريبة، تبدأ عملية التجهيز لوجبة العشاء وعادة ما يتم تجهيز وجبات خفيفة كوجبات سريعة كالسندويج أو ما يُعرف بـ(اللفة) كأن تكون (فلافل) ويتم تجهيز عجينة الفلافل

* . صنبور، حنفية او كما يسميه بعضهم بطريقته العامية " البوري".

عبر شراء كميات من الحمص اذ يتم نقعه بالماء لمدة يوم كامل بعدها يتم ثرمه بمكائن الثرم الخاصة واضافة بعض المطيبات والنكهات والتوابل له، كما يضاف له قطع من الثوم وعند تجهيز العجينة تبدأ عملية القلي، هناك نوعان من القلي الأول: القلي التقليدي المتعارف عليه والثاني بأدوات حديثة تم استيرادها من دولة الصين ماكنة مجهزة كاملة فقط تضاف العجينة عجينة الفلافل وهي التي تقوم بقليه على شكل دوائر تعمل على الكهرباء اذ تنتج هذه الماكنة في الدقية الواحدة على ما يقرب من (٥٠٠-٦٠٠) قطعة من الفلافل تعمل بشكل دائري، هذه موجودة في بعض المواكب، يبلغ سعر هذه الماكنة ما يقرب من (٧٠٠-٨٠٠$) دولار، يستعمل بعض المواكب المتواجدة على الشارع الرئيس ماكنة لعمل الكباب، فقط تُضاف عجينة اللحم ويقوم أحد العاملين في الموكب بوضع شيش الكباب في المكان المخصص وهي تقوم بتجهيزه وشيّه عن طريق الهيترات الموجودة في داخل هذه المكينة، التي تعمل بالكهرباء وتنتج في الدقيقة الواحدة ما يقرب من (٢٠-٢٥) شيش كباب.

الماكنة تم استيرادها من إيران، سعر هذه الماكنة مايقرب من (٧-٨) ملايين دينار عراقي اي ما يعادل تقريباً (٧٢) مليون ريالاً ايرانياً، ومن خلالها يتم توزيع وجبات من اللفات أو السندويج على الزائرين.

في وقت غياب قرص الشمس وقرب آذان المغرب وبعد ان ينادي المنادي بالصلاة، يمتلىء الشارع بالرجال وبعض النساء والشباب واقفين على الشارع العام لإستقبال الزائرين الوافدين من المحافظات الجنوبية مشيًا على الاقدام لزيارة الامام موسى بن جعفر وأخذهم الى بيوتهم للمبيت والراحة من عناء الطريق وبُعد المسافة، يبيت الزائرون في بيوت الناس الذين يُرحبون بهم والاستئناس بهم، اذ تُقدم لهم كل الاحتياجات وسبل الراحة.

تتسابق العائلات على مبيت الزائرين في بيوتهم وذلك تبركًا بهم، اذ تقوم العائلة بغسل ملابس الزائرين وكيّها وتعطيرها، وتقديم كل ما يسرهم، وعند صلاة الصبح يقوم الزائرون بتأدية الصلاة والتوجه مباشرة لإكمال مسيرتهم متوجهين الى زيارة الامام موسى بن جعفر (عليه السلام).

شق الفجر سكون الليل معلنا يوما جديدًا، من ايام الشهر المبارك وعند صبيحة يوم الـ(٢٥) يبادر متطوعو الموكب بطبخ وجبة غذائية جديدة من (تمن بالباگلة) اي (رز) مع الباقلاء يضاف اليه عُشبة (الشبنت) مع اللبن اذ يكون في كاسات جاهزة وعند الانتهاء من التجهيز وبعد صلاة الظهرين مباشرة يتوجهون الى منطقة الكاظمية حيث مرقد الامام (عليه السلام) لتوزيع الغداء على الزائرين العائدين من الزيارة اذ بالعادة يقوم اهالي الكاظمية والمواكب الموجودة هناك بالتوقف عن تجهيز الطعام للزائرين ورفع السُرادِقات المنصوبة، الإ القليل من المواكب وهذا لا يسد حاجة الزائرين المتواجدين في المنطقة والعائدين الى بيوتهم بعد اكمال مراسم الزيارة والعودة منهكين من تعب الرحلة ومن حرارة الشمس، وبُعد تواجد سيارات النقل الخاصة بالزائرين، وعند الانتهاء من توزيع الطعام يتوجه الخدم الى زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام) للزيارة والتعزية ومن ثم الرجوع الى بيوتهم.

موقف آخر لرجل في الخمسينات من العمر يسمى (ابو صادق) طويل القامة ذو بشرة سمراء شعره طاغٍ عليه بياض الشيب والذي كاد يغطي كل رأسه ذو وجه دائري صاحب لحية من سكنة منطقة جسر ديالى القديم*، صاحب محلات لبيع الخضراوات في سوق المنطقة ويملك سياراتين حمل نوع كيا، واحدة مخصصة لنقل البضائع من منطقة علوة الدورة او ما تُعرف بعلوة الرشيد وهي مركز تجمع الفلاحين ممن يبيعون مزروعاتهم من فاكهة وخضراوات وأسماك، والأخرى مخصصة لبيع الخضراوات داخل الأزقة (جوال)، يساعده في ذلك العمل ولده محمد ويبلغ من العمر (١٨) سنة وهو طالب مرحلة ثالثة في اعدادية صناعة جسر ديالى.

* . جسر ديالى عبارة عن ناحية أو منطقة تقع في الجنوب الشرقي من بغداد، الواقعة كذَلك عند نقطة التقاء نهري دجلة، وديالى كما أُطلق عليها القديم والذي تم بناؤه منذ ما يقرب من (١٠٠) سنة، اما الجسر الجديد الذي تم بناؤه في ثمانينات القرن الماضي وهو يبعد عن الجسر القديم على ما يقرب اكثر من ١٥ كيلو متر.

في كل يوم الخميس يبادر ابو صادق بجمع أكياس من المواد الغذائية (المخضر) ويقوم بتوزيعها على العائلات فاقدي الاب او الأم من الايتام والعاجزين عن العمل والمعوزين، في يوم الجمعة التقيت به وتشاطرنا الحديث حول هذا الموضوع، وهو في هذا العمل منذ ما يقرب الاربع سنوات، وفي كل اسبوع يخصص يوم الخميس كي يعمل على توزيع السلات الغذائية للعائلات وهو فرح بهذا العمل واضاف بأنه عندما ينفق هذا المقدار من المال فأنه يُضاعف له على حد قوله طمعاً بالثواب والأجر الذي يرجو ان يناله جراء هذا العمل الخيري.

المحطة الثالثة: تبرعات

في صبيحة يوم الاثنين الساعة ٨ صباحًا عند وصولي الى مجمع باب المعظم الطبي بالقرب من المركز الوطني لنقل الدم، وعلى الرغم من موقعه الذي انحصر بين البنايات وبين حواجز كونكريتية لمنع عبور المشاة، ولافتات مرورية تمنع ركن السيارات، بحيث يتعذر على الناس الوصول الى المركز مباشرة، الا بعد ان يسترشدوا ويسألوا عنه، البناية رثة من الخارج ولا توحي بأنها مركز رئيس لنقل الدم، لعدم الاهتمام بها.

عند الدخول من الباب الرئيس الذي تعلوه لافتة كبيرة كُتبت عليها (المركز الوطني لنقل الدم) توسطت باحة كبيرة، في الجانب الايمن تقع غرفة الفحص المختبري وبجانبها غرفة التبرّع بالدم، يتصدرها مكتب الاستعلامات، الجدران مكسوة بكاشي السيراميك الابيض، متجانس اللون مع الأرضية والسقف المغلف، أما على جهة اليسار قاعة للمراجعين، وهي عبارة عن قاعة مهيأة بمقاعد ثابتة ومتحركة، وجدران القاعة تزدان بصور ولوحات تحمل شعارات وصيغ لفظية مُختلفة، تبرز اهمية الدم بوصفه سائلاً حيويًا، وأهمية التبرّع به؛ لانقاذ حياة من يحتاجه من الآخرين، وفائدته الصحية للمتبرّع وللمريض، فضلاً عن الحياة التي يرمز لها بالدم .

في صدر القاعة وضعت آية من الذكر الحكيم مُموَّهة بالذهب، وفي الجانب الأيمن لوحة ارشادات وتعليمات تخص المتبرّع، وفي الأمام ممر يتصل مباشرة بغرفة التبرّع بالدم التي تحتوي على أسّرة خاصة للمتبرّعين وبجانب كل سرير جهاز صغير يسمى (هزاز) الذي يعمل بالكهرباء، وظيفته حساب وزن الكيس المملوء بالدم، حيث يبلغ الحد المقرر لملئ الكيس الى

(٤٥) غرام، يبدأ الجهاز بالاهتزاز وذلك من خلال وضع كيس الدم الفارغ على هذا الجهاز قبيل الشروع بالتبرّع.

يعطى للمتبرع قبل الشروع بعملية سحب الدم، بطاقتان من الورق، الاولى لونها احمر مائل الى الوردي على إحدى الجوانب من البطاقة، فيه بيانات المتبرع كالأسم الرباعي واسم الأم، والجنس، ورقم الهوية التعريفية والمهنة ورقم الهاتف، وتاريخ الميلاد وعنوان السكن، وهل هو مصاب بالامراض المزمنة، وبعض البيانات التي تخص المتبرع، اما الجهة الآخرى من البطاقة، ففيها بيان درجة الحرارة ودرجة ضغط الدم، وتاريخ التبرع وصنف الدم، وبعض الارشادات والتعليمات للسيدات الحوامل.

والبطاقة الثانية لونها اخضر، يُبين فيها الأسم الكامل للمتبرع، وجدول فحوصات الامراض المعدية، وهل أُجريت له عملية، ونوعية التبرع، أطوعي منتظم ام طوعي غير منتظم، وتاريخ آخر تبرع، وعدد التبرع، ورقم كيس الدم، ونوع فصيلة الدم للمتبرع، ويوجد حقل خاص لتوقيع المتبرع، أو بصمته، وبنهاية البطاقة ملحوظة، ولا يتم إجراء التبرع مالم يكن لديه هاتان البطاقتان.

في صباح يوم مشرق والسماء صافية والنسائم في التشرينية تنعش الرئة وتنعكس على صفاء الروح والعقل، ومن خلال ملاحظة مسير الزائرين في الشارع الرئيس توقفت سيارة كبيرة (كرفان) تابعة الى مديرية صحة بغداد الرصافة تحمل شعار (التبرّع بالدم واجب اخلاقي) تقف الى جانب الشارع الرئيس للزائرين، نزل منها ثلاثة اشخاص مرتدين الزي الرسمي الخاص بالعاملين بالمستشفيات، وهو عبارة عن صدرية طويلة بيضاء اللون يصل طولها حتى منتصف فخذيهما، يضعان على صدرهما الأيسر شريحة معدنية مموهة بالذهب، مكتوبًا عليها اسم كل واحد منهما باللون الأسود، مرتدين كمامات وكفوف، يحمل أحدهم سماعة الفحص الطبي، والآخر ذهب مباشرة الى باب السيارة الخلفي وفتح الباب وأنزلَ منه سُلّمًا صغيرًا من الألمنيوم؛ كي يتمكن المتبرّعون من الصعود الى السيارة وتمكينهم من التبرّع بالدم، وأخرج طاولةَ بلاستيكية

وكرسيين للجلوس، وسِجّلًا يُكتبُ فيه معلومات الشخص المتبرّع، والى جانبهم لافتة مكتوب عليها الصيغة الرسمية لعملهم: (دائرة صحة بغداد الرصافة – المركز الوطني لنقل الدم).

تم رصد السيارة البيضاء، وما تحتويه من بعض أدوات الفحص الطبي (جهاز الهزاز) وأكياس الدم الفارغة وجهاز قياس ضغط الدم، وسريرين الواحد خلف الآخر كي يتمكن المتبرع من خلال إستلقائه على السرير والتبرع بالدم، فضلاً عن وجود بعض المعقمات الخاصة.

بعد مجاذبة الحديث مع الفريق الطبي تبيّن ان واحداً منهم يُدعى الدكتور (علاء) مُنتسب الى دائرة صحة بغداد (المركز الوطني لنقل الدم) الكائن في منطقة "باب المعظم" يبلغ من العمر (٣٧) سنة، والممرض الآخر ممرض أسمه (علي) يبلغ من العمر (٤٦) سنة، ومعهم ممرضة أخرى أسمُها (أمل) تبلغ من العمر (٢٧) سنة، إذ حدَّثَنا دكتور علاء عن عدد من الإجراءات التي يقوم بها الفريق المتخصص بعملية سحب الدم ونقله الى المركز الرئيس.

فقال: ان عملية التبرّع بالدم هو إجراء طبي يكمن في نقل الدم طوعاً من شخص سليم معافى إلى شخص مريض محتاج للدم، يتم إجراء التبرّع بالدم عن طريق جمع الدم في كيس طبي يحتوي على مادة مانعة للتجلط متصل بأبرة معقمة ذات الإستعمال الواحد، يتم التوصيل من الوريد في ذراع المتبرّع، وتتم عملية سحب الدم في مدة زمنية تتراوح بين (٥–١٠) دقائق، في هذه المدة يكون المتبرّع ضمن الاهتمام الطبي المباشر، فيتمّ أخذُ ما يقرب من لتر واحد من الدم أو أكثر حسب حالة المتبرّع الصحية، والمعلومات التي عرفتها من الفريق الطبي هذا تُشير إلى انه يمكن مُعاودة التبرّع بالدم كل (٦٠) يوماً تقريباً، في حين تتشدد بعض مراكز الدم وتجعل مدة "النقاهة" ثلاثة شهور على الأقل، إذ يجب ان يكون الشخص المتبرّع في وضع صحي لائق؛ ليقُبل تبرّعه من غير التأثير سلبًا على صحته، ويجب أن يبقى المتبرع على سرير التبرع لمدة خمس دقائق في الملاحظة الطبية (التقنية والبشرية)، ويُسمح له بالجلوس بعد التأكد من حالته الطبية، بعد ذلك يتم توفير وجبة غذائية صغيرة (غالبًا تتكون من عصير وبسكويت) للمتبرّع.

أيضاً من خلال النزول للميدان والتحقق الأولي من الأشخاص المتبرّعين لاحظنا ان هناك قسماً من المتبرعين شبه الدائميين؛ أي انهم دائمو التبرّع بالدم، فهم يأتون في المقام الثاني بعد التبرّعات العائلية، أي للذين يحصرون تبرّعاتهم بالدم للمرضى من عائلاتهم بالدرجة الأساس.

بينما هناك قسمٌ آخر يتبرّعون لذويهم وأقاربهم؛ كونهم محتاجين لضخ الدم في أجسادهم؛ لتراكم الأمراض التي تسببت في انتكاسات صحية، إذ قد تختلف ظروفهم عن الذين يتبرّعون بصورة دورية لأي شخص كان، قد يكون تبرّعهم لأول مرة يحتاج فيها للدم، بسبب مرض مُعيّن يصيب أحد أفراد العائلة، أو حادث يستلزم فيه تقديم الدم.

اما عملية التبرع بالدم بالمعنى الإرادي، فأنها لا تُمثل الهبة أو ما يسمى العطاء، لا سيّما اذا ما تعلق الأمر بحالات الامراض المزمنة كسرطان الدم مثلًا الذي يتوجب على أهالي المرضى توفير الدم لهم بإنتظام، وهذا النوع من التبرّع إلزامي بالدرجة الأولى لا يمكن الاستناد عليه، ولا يُعد من الهبة بشيء.

أما بالنسبة الى المتبرّعين الظرفيين، فلاحظنا ان هناك نوع آخر من الذين تبرّعوا، أعني من كان سائراً في طريقه وصادف وجود السيارة المتنقلة (مركز التبرّع بالدم) مثلًا أو شارك في الحملات التي تطلقها المؤسسات الرسمية كالوزارات، أو حملة التوعية الصحية للذين يعانون من ارتفاع في ضغط الدم وغيرها من الأمراض التي تستوجب اعطاء الدم.

نرصدُ كذلك نوعًا آخر من هذه الشريحة، وهم المتبرّعون عند الطلب، بمعنى تلبية واستجابة لنداء من الجهات الدينية، أو المؤسسات وحتى الأهالي، فيطلب منه شخص ما بالتبرّع لفائدة مريض محتاج، أو انقاذ شخص مُعيّن يجهله المتبرّع، في هذه الحالة يكون أغلب الموجودين من المتبرّعين هنا لأول مرة من غير تهيأة معلوماتية عن المهمّة، وقبل ان يسمعوا النداءَ وطلب التبرّع، فلم تكن فكرة التبرّع بالدم قد تبادرت إلى أذهانهم فيما سبق، أي انهم تبرّعوا وفق مبدأ العطاء، الذي هو في إطار الهبة، من غير مقابل.

تبرع اصحاب صيدلية

فى ظل المعاناة التي خلفتها ازمة كورونا وبسبب ارتفاع تكاليف الأدوية التى تضاعفت أسعارها واستغلال الناس من بعض ضِعاف النفوس، الا انه هناك دائماً نقاط مضيئة تتمثل فى مد يد العون التى تقدمها العديد من المبادرات الانسانية، كانت إحدى هذه المبادرات الانسانية التي قُدمت من الصيدلانية رؤى باسم وزوجها الصيدلي مروان جاسم خريج الجامعة الامريكية العربية البالغ من العمر(٣٠) عاماً، جاءت هذه التبرعات بسبب الظروف الصعبة التى يعانى منها الكثير من المرضى، فقد أشارت الصيدلانية رؤى باسم الى فكرة توزيع الأدوية مجانًا وايصالها الى بيوت المرضى، حتى لا يتجشم المريض عناء الطريق والتكاليف المادية لمبادرة توزيع الأدوية مجاناً.

تتم هذه العملية من خلال التواصل مع بعض اللجان المسؤولة عن تبني فكرة التبرعات للناس، ومن خلال والبحث والسؤال في المنطقة، تم الاتصال باغلب المرضى الذين يعانون من الامراض المزمنة ممن لا يتمكنون من شراء الادوية وإيصالها لهم.

حدثنا الصيدلي مروان عن اغلب الادوية والعلاجات المستعملة والتي تم صرفها من خلال (وصفة الطبيب) وانواع الامراض المزمنة منها وغير المزمنة واعداد المرضى، من خلال تسجيل اسم المريض وعنوان سكنه ورقم الهاتف والعلاج

الذي يحتاج اليه، اذ بلغ عدد المحتاجين للأدوية ما يقُرب من(٥٠٠) مريض غالبية امراضهم مزمنة كما هو مبين في الشكل الآتي :

الداء	الدواء ١	الدواء ٢	السعر
ارتفاع ضغط الدم	ديوفان – Diovan	كابوتين – Capoten	١٥
الدهون(الكولسترول)	روزوفستاتين Rosuvastatin–	اتروفستاتين – Atorvastin	٢٠
تخثر الدم	الاسبرين – ASPIRIN	البلافسك–Plavix	١٥
السكر	جانوميت – Janumet	جلوكوفاج –Glucophage	٥٠
صرع للاطفال	الديبكاين – Depakine	اللاموتريجين Lamotrigine–	٤٥
صرع للكبار	الايبكس – Epixx	**تريليبتال** – Trileptal	٤٠
علاجات نسائية	المثبت للحمل	مقويات الحمل	٣٥
علاج الدهون	CRESTOR 20 mg	CRESTOR 20 mg	٢٨
علاج المفاصل	RELAXON	مرهم فولتارين Voltaren	١٠
مجموعة فيتأمينات	A–Z VITAL	ZINC	٢٠

المحطة الرابعة: القروض العينية

في ظل الاحداث التي يمر بها العالم وانتشار فيروس كورونا في العراق اذ يمر بمرحلة عصيبة على الشعب العراقي جراء تردي الوضع الاقتصادي وفرض حظر للتجوال منذ بداية الشهر الثاني، والناس بدأت الحجر الصحي في البيوت، إلا ان هذا الأجراء قد أنهك الوضع المعيشي للعائلات صاحبة الدخل المحدود واصحاب المحال وعمال البناء والكسبة وكل الذين يعتاشون على الدخل اليومي في كسب ارزاقهم، لذا أطلقت المرجعية العليا في النجف الأشرف حملة التكافل الاجتماعي من ميسوري الحال لمساعدة العائلات المحتاجة.

بادرت مجموعة من الشباب بحملة واسعة في منطقة الزعفرانية من خلال تشيكل لجان مقسمة على المحلات، اذ تُقسم منطقة الزعفرانية الى (٢٢) محلة او قطاعاً منها محلات زوجية ومنها الفردية، تبدأ من محلة (٩٥٠) وإنتهاءً بالمحلة (٩٧٠) وهذه المحلات الزوجية والفردية يفصل بينها شارع عام رئيس، وكل قطاع من هذه القطاعات لها مسؤول من مجموعة من الشباب المتطوعين (اللجان) التي يبلغ عددها (٧ أو ٨) من الشباب المهتمين بجمع التبرعات وتوزيع المساعدات الى العوائل المحتاجة.

شاركت العتبة الكاظمية بحملة اطلق عليها (جود الجوادين) التي انطلقت من مدينة الكاظمية بسيارات (برادات) كبيرة الى منطقة الزعفرانية تحمل مساعدات للعائلات المتعففة، تتكون من وجبة غذائية او ما تُعرف بـ(السلة الغذائية) اشتملت على (٢عبوة) من دهن الزيت حجم (١لتر) و(٥ كغم) من الطحين الصفر و (١ كغم) عدس (١كغم) من الفاصوليا و(٥ كغم) من الرز نوع بسمتي، وثلاث علب من المعجون ذات حجم (٤٠٠ غرام) وبعض اكياس الشعرية والعدس، مجموعة في مغلف من الكارتون مكتوب عليه (حملة جواد الجوادين) ويتم تسليمه الى العائلة المحتاجة.

يتم تفريغ المساعدات في مكان مخصص، قاعة وموكب اهالي الزعفرانية للمناسبات الدينية، خصصت لتجميع المساعدات وتنظيمها من ممثلية المرجعية المتمثلة بالشيخ محمد الشويلي والشيخ علي الابيض وبمساعدة بعض المتطوعين من الشباب الذين يقومون بتسجيل اسماء العوائل التي تم احصاؤها من اللجان في جهاز الحاسوب.

تم تقسيم المكان المخصص للمساعدات كلًا حسب المادة ونوعها بشكل منتظم، والتي تم التبرع بها من ميسوري الحال وبعض التُجار وتبرعات العتبة، والأموال مثلًا مسؤولة عنها لجنة خاصة لها التصرف بها وفق ما يرونه، والمواد الطبية كإن تكون علاجات وكمامات او كفوف (قفازات)، هذه المواد مسؤول عنها الصيدلاني عباس وهو طالب مرحلة رابعة في جامعة بغداد في تخصص صيدلة ومجموعة من المتطوعين.

قسم آخر خاص لحفظ المطهرات والمعقمات (الديتول، والقاصر، ..... مع مرشات كبيرة وصغيرة او ما تُعرف بـ (الفارة) وهذا القسم ايضاً مسؤول عنه لجنة التعفير والتعقيم، إذ تقوم اللجنة بتعفير المحلة والبيوت القريبة والشوارع والأماكن كالمقاهي والمحال التجارية وغيرها، كل يومين اذ يكون التعفير راجلًا .

يسعى المبادرون عِبر حملاتهم الشبابية إلى التخفيف عن كاهل الأسر الفقيرة والوقوف يدًا واحدة إلى جانب الفقراء والعائلات في المناطق المهمشة، تأكيدًا على ترابط الروح المجتمعية، وإيصال رسالة للفقراء لستم وحدكم.

إنطلقت الحملة في منطقة الزعفرانية محلة (٩٥٠) بمبادرة كل من "حجي وليد الأسدي ويبلغ من العمر (٤٨) سنة، وهو موظف في مستشفى الزعفرانية، إذ يعمل بتوزيع المساعدات على العائلات بعد استراحته من العمل في المستشفى، وسلام اللامي (ابي مريم) موظف في وزارة النفط يبلغ من العمر (٤٤) سنة، د. ثائر البصيصي دكتوراه في التاريخ يبلغ من العمر (٤٠) سنة، يعمل أُستاذ تاريخ في متوسطة النجاح للبنين*، وصلاح ابي زينب موظف يعمل سائقًا في دائرة البلدية الذي يتم توزيع المساعدات بواسطة سيارته الخاصة وهي من نوع (تويوتا حمل) وكذلك حجي علي زيارة صاحب محل جملة للأغراض المنزلية في سوق الزعفرانية يبلغ من العمر (٣٨) سنة.

يبدأ العمل من الساعة (٣ ظهرًا) الى صلاة المغرب والإنطلاقة الثانية تبدأ من بعد صلاة المغرب الى الساعة (١١ ليلًا) تقريباً على الرغم من منع التجوال من قبل القوات الامنية وخلية الازمة الا إنهم مخولون بالتجوال حتى في ساعات متأخرة من الليل وذلك بموافقة اللجنة الامنية من الشرطة الاتحادية وكذلك الموافقة من خلية الازمة.

تمت آلية التوزيع بشكل منظم ووفق معايير خاصة يتبعها القائمون على عملية التوزيع من خلال إحصاء كل العائلات ضمن هذا القطاع او المحلة ممن لديهم كسبة او سائق اجرة (التكسي) وغيرهم الذين يكسبون ارزاقهم اليومية، والعائلات الفقيرة والايتام وعوائل الشهداء.

* . متوسطة النجاح للبنين تقع في مدينة بغداد منطقة الزعفرانية والتي تم تأسيسها عام ١٩٧٩.

بلغت العوائل المحتاجة ما يقرب من (٦٠٠) عائلة، هذه الإحصاءات تمت من خلال مساعدة مختار محلة (٩٥٠) وأسمه (محمود حسن اللامي) ويتم تزويد هذه اللجان بإحصائية عن العوائل المحتاجة وعوائل الشهداء واصحاب الدخل المحدود واعداد المطلقات والأرامل اللواتي يتقاضين راتباً من دائرة الرعاية الاجتماعية وغيرهن ممن لم تستلم راتبًا شهريًا بسبب نقص في المعاملة او عدم مراجعة الوزارة المعنية بهذا الشان.

ومن خلال تجوال اللجان المسؤولة عن التبرعات في المحلة والإستعانة ببعض الشباب من سكنة هذه المحلة تم إحصاء كل العوائل في المنطقة ممن تشملهم هذه المساعدات والتأكيد على تسجيل اسمائهم في سجل خاص باللجنة المكلفة بهذه المحلة والتأكيد على البطاقة التموينية وعدد افراد العائلة.

تم وضع قاعدة بيانات من خلالها تم تصنيف هذه العوائل ضمن ثلاثة تصنيفات هي (أ–ب–ج) تضمن تصنيف (أ) العوائل التي لا تملك قوتاً يومها وقد بلغت هذه العوائل ما يقرب (٧٦) عائلة هذه تشمل العائلات التي تعتاش على الكسب اليومي، وتصنيف (ب) تكون حالة هذه العوائل فيها تشمل اصحاب الدخل الواطئ كذلك الساكنين في المناطق المهمشة بلغت على ما يقرب من (٤٢١) عائلة، اما تصنيف (ج) فيتضمن عوائل الشهداء التي بلغت ما يقرب (١٠٣) عائلات.

خياطة الكمامات

بعد إنتشار فيروس كورونا في العراق بدأ هاجس الرعب والخوف ينتاب العائلة العراقية بسبب سرعة إنتشاره، والشحة في مواد الوقاية كالكفوف والكمامات وارتفاع اسعارها في الصيديات، اضافة الى تخزين المواد الغذائية والمواد المعقمة، اذ بدأت العوائل بشراء كميات كبيرة من الكمامات والكفوف من ميسورين الحال وتخزينها خوفًا من حدوث ازمة.

كان للمرأة الدور البارز والمهم في الأحداث التي يمر بها بلدنا، فقد لجأت بعض النساء الى عمل مجموعات من نساء المحلة والاقارب داخل المنطقة والاتفاق على مساعدة الرجال في مهامهم المكلفين بها، والمبادرة بخياطة الكمامات وتوزيعها على العوائل المحتاجة من خلال ما

يتوفر لديهن من قماش المستعمل في المستشفيات او ما يُعرف بـ(الچرچف) الذي يضعونه على سرير المريض، او من خلال شرائه من الصيدليات والمذاخر الطبية.

وبجهود ذاتية وعلى حسابهن الخاص تمكنّ من جمع كميات كبيرة من هذه النوعية الذي يكون حجمه (٢٢٠ × ١٤٠) سم، كل قطعة من القماش تنتج ما يقرب من (١٦) قطعة من الكمامات ثلاثة طبقات حتى لا يمر الهواء من داخلها اضافة الى (اللاستيك) المتوافر عند الخياطات، وذلك لعدم توفرها في الصيدليات او ارتفاع اسعارها اذ بلغ سعر الكمامة الواحدة (١٠٠٠) ألف دينار للأستعمال الواحد، وهذا ما لا تستطيع العوائل الفقيرة توفيره لإبنائها او اقاربهم.

بدأت الحملات بمساعدة ومساندة العوائل، فبادرت بعض النساء (الخياطات) او ممن تجيد الخياطة او عندها مكينة خياطة، بحملة واسعة من خياطة الكمامات وتوزيعها على العوائل التي لا تستطيع شراءها وتوزيعها على الناس.

وتتميز هذه الكمامات عن غيرها بإنها ليست ذات الاستعمال الواحد بل يمكن ان تستعمل لعدة مرات وذلك من خلال غسلها وتعقيمها ولبسها مرة اخرى، على عكس الكمامات الموجودة في الصيدليات ذات الاستخدام الواحد، وبادرت النساء بالعمل ليلاً نهاراً لدعم العوائل ورفد العائلات بالكمامات، وجاء ذلك من خلال تنفيذ فتوى التكافل الاجتماعي في دعم العوائل الفقيرة والمساهمة في تقديم شيء لهن.

بدأت المبادرة تتسع بين نساء المنطقة فبدأن التسابق بالعمل لتغطية اكبر عدد ممكن من المحتاجين، تبرع بعض الناس ممن يتمكن من شراء هذه النوعية من القماش واعطائها الى الخياطات، وبعضهن الآخر يقوم بشراء اللاستيك المطاط الذي يدخل ضمن عمل الكمامات، واصبح هناك تنظيم في العمل بعد ان كثرت النساء اللواتي يقمن بخياطة الكمامات، فتم الاتفاق على ان يكون العمل بالتناوب لإن اغلب النساء هن ربات بيوت ولهن مسؤوليات اخرى.

ومن جهة اخرى بادر الرجال ممن يمتهنون الخياطة او ممن لديهم ماكنة الخياطة في البيت بالعمل على خياطة الكمامات.

رائد وادي (ابو مهند) بعد إن اجرينا مقابلة معه، وهو موظف ضمن ملاك وزارة التربية ومعلم في مدرسة غمدان الابتدائية، يبلغ من العمر (٤٩) سنة وهو يحترف الخياطة مع ولده مهند البالغ من العمر(١٩) سنة، يزاول عمله بعد إنتهائه من التدريس إذ يقوم بفتح محله الموجود قرب السوق الشعبي، يقول رائد: " تغمُرني السعادة عندما اقُدم عمل لخدمة الناس وخاصة المعوزين وبذلك اعتبر هذا العمل هو جزء من واجبي وانا قد أكون مُجبر على ترك كل ما هو غير اساسي وغير مفيد كي استطيع ان اقدم هذه الخدمة للناس".

من خلال الشعور بالمسؤولية تجاه ابناء مدينته وحرصه على ان يُقدم ما ينفع الناس، بادر رائد بإن يُخيط الكمامات وتوزيعها للناس (ثوابًا لوالديه) وبجهود ذاتية قام بشراء القماش من الأسواق او من الصيدليات، واللاستيك المطاط وبدأ بتجهيز الكمامات، على الرغم من إنتاجه البسيط للكمامات استطاع بعض اصحاب المحال في السوق ممن يمتهن الخياطة ايضاً، بالعمل معاً ورفد الناس بالكمامات.

المحطة الخامسة: تكنولوجيا التواصل

في خضم أزمة كورونا التي تعصف بالعالم برمته في الوقت الراهن ظهرت ثمة جوانب إيجابية، فقد عززت من روح المسؤولية والتضامن بين الناس بعدة مبادرات، إحداها يقودها شباب في مقتبل العمر، يسعى المبادرون عبر حملاتهم الشبابية إلى التخفيف عن كاهل الأسر الفقيرة والوقوف يدًا واحدة إلى جانب الفقراء والعائلات في المناطق المهمشة، تأكيدًا على ترابط الروح المجتمعية، وإيصال رسالة للفقراء مفادها لستم وحدكم.

في تمام الساعة (١١:٠٥) ليلًا واثناء التصفح في مواقع التواصل الاجتماعي ومتابعة المنشورات والتعليقات، قرأت منشوراً يعود الى (علي العيداني) أحد الاعلاميين في الحشد الشعبي ينشر نداء إستغاثة محتواه (نداء إستغاثة... الى كل الخيرين من اصحاب المحال التجارية وميسوري الحال توجد عائلات لا تتمكن من شراء حليب وحفاظات للأطفال، من يستطيع التبرع الأتصال على الهاتف المنشور على الصفحة).

اثناء متابعتي للتعليقات شاهدت الكثير من اصحاب الخير يودون التبرع فعلًا، اتصلت بالرقم المنشور على صفحة (علي العيداني) وتابعت معه الموضوع يقول: اتصل بي ما يقرب من الـ(١٦) شخصًا متبرعاً يودون التبرع لهذه العائلة، وبالفعل تم الاتفاق مع المتبرعين على المجيء في صباح يوم التالي لشراء علب حليب الاطفال نوعية (نوفيلاك Novalac Genio) رقم (٣) وبعد التدقيق تبين أن هذه النوعية من الحليب الطبي الماني الصنع يستعمل للأطفال الذين يعانون من مشاكل في المناعة، تم شراء كارتون واحد يحتوي على (١٢) علبة من الحليب وارسالها الى العائلة المحتاجة، هناك الكثير من المتبرعين المتواصلين مع الاعلامي علي المُلبي لهذا النداء، في اي لحظة مستعدين أن يقدموا كل ما تحتاجه هذه العائلة.

يوضح علي ابو محمد (٤٦ عامًا)، نحن اجتمعنا بهدف تخفيف كُرب الناس، ونشجع المقتدرين على المشاركة وفق استطاعتهم أن فكرة الحملة بدأت من مناشدة تم نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، تلتها مجموعة مناشدات، مشيرًا إلى أن ذلك شجعنا على إطلاق مجموعة حملات للتخفيف من أعباء الأسر الفقيرة، ويشير إلى إنه تم تنفيذ مبادرات لإغاثة تلك الأسر، ويتم العمل على تطبيقها من خلال تعبئة انابيب الغاز، والتشجيع على دفع الديون المتراكمة على الغارمين، وراتب للفقراء، حلاقة مجانية للفقراء، وتوفير وجبات غذائية يومية، علاوة على توفير طرود غذائية للأسر الفقيرة، ويسعى الفريق من خلال الحملة إلى إشعار الفقراء إنهم ليسوا وحدهم.

أما زميله احمد عبد الرضا، فيوضح إنه يتم جمع التبرعات والمساهمات عبر الأصدقاء والتجار والراغبين في التبرع، ويبين إنهم يحظون بتشجيع لمواصلة عملهم التطوعي، على الرغم من عدم قدرة نسبة كبيرة على المساهمة نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة.

ويشير علي إلى أنه على الرغم من الواقع الصعب، إلا ان هناك فئات معنية بالتخفيف عن المواطنين، وتلتزم بالمشاركة والمساهمة بنسب متفاوتة، مضيفًا نشعر بالفخر الكبير حين نوصل المساعدات لمستحقيها الذين هم في أمسّ الحاجة إليها.

ويوافقه في الرأي صلاح بشأن مبادرتهم هذه مبينًا إنهم نفذوا عبر حملتهم الشبابية مجموعة مبادرات، استهدفت الأسر الفقيرة المعوزة، وتحديدًا في المناطق المهمشة، ويوضح احمد عبد الرضا ان الحملة تحاول توفير أكبر قدر ممكن من الطرود والسلال الغذائية لتوزيعها على تلك الأسر، مبينًا إنه تم تجهيز قوائم بأسماء أكثر العائلات حاجة، وسيتم استهدافها وفق ما يتم توفيره من مساهمات.

ويبين إن المبادرة التي لا تكون تابعة لأي جهة رسمية تسعى لتطبيق فكرتها عن طريق مساهمات الأصدقاء، مضيفًا نحاول توفير الحاجيات الأساسية، والتي يمكن ان تعين تلك الأسر.

أما زميله في المبادرة باسل فيقول أنه بإمكان أي شخص أو مجموعة شبابية التركيز على معاناة تلك الأسر، ومحاولة مساعدتها بالقدر الممكن ويضيف رأينا الفرحة في عيون الأطفال حين نفذنا فعاليات ترفيهية خاصة بهم، ونطمح لرؤية الابتسامة على وجوه عائلاتهم، ولم تختلف الفكرة عن حملة (خليك بالبيت) لمساعدة الأسر الفقيرة، وهي حملة فردية يشرف عليها الناشط مصعب الطويل، إذ تسعى لمساعدة الأسر الفقيرة بتوفير طعام أو شراب أو علاج أو إيجار بيوت، وتحمل شعار (خليك بالبيت واحنة نجيك).

ولإن المدارس مقفلة في بغداد شأنها شأن محافظات العراق الاخرى والعالم برمته ضمن الإجراءات الاحترازية المتخذة لكبح إنتشار وباء كورونا المستجد، بات لدى الشباب الطموح متسع كبير من الوقت لتطوير مشروعاتهم هذه.

شخص آخر هو حيدر يبلغ من العمر (٣٢ سنة) كتب على صفحته اسمه ورقم هاتفه داعياً العوائل جميعها التي لا تتمكن من شراء حاجاتهم او الخروج للتسوق او ممن لا يتمكنون من التبضع بسبب إنتشار الوباء والمكوث في البيوت (الحجر الصحي في البيت) وكذلك فرض حظر للتجوال، والذين يعانون من امراض مزمنة ولم يتمكنوا من الذهاب الى الصيدلية فقط الأتصال به على الرقم او يرسل رسالة نصية على الصفحة الموجودة وهو يقوم باللازم.

تم تشكيل فريق عمل متطوع على صفحته الإلكترونية وتحوي قوائم أسماء المتطوعين وفي مقابل كل إسم متطوع رقم الهاتف للمتطوع الاقرب للعائلة المحتاجة يتم الاتصال به وهو من يقوم بتلبية كل احتياجاتهم.

أما ما يقدمه المتطوعون من خدمات فيتباين بين عروض للتسوق، إضافة للبحث عن مطهرات أو حتى تقديم مساعدة في الأعمال الجسدية المضنية للمحتاجين سواء كانوا من شريحة المسنين أو شباب يعانون من أمراض مزمنة أو من عوائق بدنية وهناك مَنْ يعرض هذه الخدمات جميعها دفعة واحدة.

وهكذا يحدد كل متطوع نوعية المساعدة التي يريد تقديمها للآخرين، حتى يتسنى للمحتاج التوجه إلى الشخص الملائم حسب متطلباته ووسط سيل من العروض المقدمة، ويمكن التواصل مع المتطوعين سواءً عبر البريد الإلكتروني او صفحات التواصل الاجتماعي أو عبر الهاتف مباشرة.

المبهج إن هؤلاء جميعهم من الشباب اليافعين وإذا كانت لأزمة كورونا بعض الجوانب الإيجابية، فإنها تتمثل في انها فجرت روح المسؤولية لدى الشباب في ظاهرة ربما لم تقتصر على المدينة وحدها، وإنما ظهرت في العديد من المدن والبلدان، وتحدث المتطوعون: المبادرة تأتي استجابة لتوجيهات المرجعية العليا وتحت شعار (خليك بالبيت– مسواگك علينا)، وكذلك الوقوف على احتياجاتها المعيشية والطبية إنطلاقًا من الشعور بالواجب الشرعي والوطني في بث الوعي الصحي وتعزيز التكافل الاجتماعي بين شرائح المجتمع وصولا الى تجاوز المحنة الراهنة.

مجموعة اخرى من الشباب قامت بمبادرات طوعية عبرت عن التكافل الإجتماعي والشعور بالمسؤولية في وقت الأزمات وبدعم من بعض أصحاب المطاعم في المنطقة حيث تم تقديم الوجبات الغذائية للكوادر الطبية الموجودة في المستشفى والمرضى الراقدين.

بادر د. ثائر عبد العزيز البصيصي البالغ من العمر (٤٠ سنة) بحملة توعوية لأبناء المنطقة، اذ إنظم له خمسة من المتطوعين في دعمه لهذه الحملة التوعوية وكذلك العمل على تعقيم محلة (٩٥٠) بمادة مطهرة وذلك من خلال تجميع عدد من المتبرعين من اهالي المنطقة

لشراء بعض الأدوات التي تدخل في تعقيم وتطهير المحلة فبادر أحد المتبرعين من أصحاب المحلات الإنشائية وهو رجل يبلغ من العمر ما يقرب من الـ(٦٠ سنة) بالتبرع بخزان ماء (تانكي) سعة (٥٠٠) لتر وتبرع أحد الاشخاص بمولد كهربائي سعة (٤ KV) اي ما يتم توليد (١٢) امبير وشراء مرشة تستعمل في غسل السيارات او ما يسميها البعض (فارة) وشراء مواد معقمة (القاصر) وتم مزجه وتخفيفه بالماء لكل لتر واحد من القاصر المركز مقابل (٩) لتر من الماء، وبدأت هذه الحملة لتطهير وتعقيم المحلة خوفًا من إنتشار فيروس كورونا.

شاركت المدرسة التقدمية بحملة (# لأجل_سلامتك_خليك_بالبيت) بمشاركة تلاميذ المدرسة وبدعم من ادارة المدرسة بجمع التبرعات من الاساتذة وشراء مواد صحية شملت معقمات وقفازات (كفوف) وايضاً (كمامات) واثناء حملة التجوال بين الاحياء السكنية في المنطقة، قاموا بنشر ملصقات توعوية تبين كيفية تعقيم وغسل اليدين وعدم مصافحة الناس والتكلم معهم عن قرب خوفًا من إنتقال وإنتشار الفيروس بعدما بات وباءً عالميًا بتصنيف منظمة الصحة العالمية.

في حديث مع علي (٢٩ عامًا) من محافظة بغداد وهو أحد أعضاء الحملة التطوعية، يقول بعد ان إنتشر الفيروس في عدد من محافظات العراق، ومنها محافظة بغداد طرحتُ الفكرة على الأصدقاء والمتطوعين في الفرق الشبابية الأخرى وطلاب الجامعات من أجل الاستعداد لمبادرة تكبح الفيروس، مضيفًا خلال (٢٤) ساعة فقط، وصل عدد المتطوعين إلى (٤٦) شابًا وشابة، كلهم يريدون تقديم المساعدة للمجتمع.

وعن هدف المبادرة، يقول علي أردنا المساهمة في توعية الناس في الأحياء، لحماية أنفسهم من الإصابة بالفيروس، وقمنا بحملة واسعة لتعفير (تعقيم) عدد من المناطق، بجهود فردية ومساعدة أهالي الحي لنا، طالبنا الجهات الحكومية عدة مرات بدعمنا ولكننا لم نجد آذانًا صاغية.

بادر علي ومن معه من المتطوعين بتحضير عدد من المواد الضرورية مثل الكمامات، والبدلات الخاصة، والقفازات، ونظارات الحماية، وذلك على حسابهم الخاص ومن خلال مساهمات جمعوها من بعض الأهالي، إذ المفضل ان يتبرع الناس بالمواد لا بالمال، لكن بعض

الناس يفضلّ التبرع بمبالغ مالية اذ نقوم نحن بدورنا بشراء المطلوب، وتبرّع الأصدقاء بمبلغ يقارب (٦٠٠) ألف دينار عراقي، ولا يزال العمل مستمرًا.

يقول علي: مردفًا: لقد تخلّت عنا الحكومة ولم نجد دعمًا رسميًا سوى من قسم الإعلام في دائرة صحة الرصافة الذي تبرع بطباعة (البروشورات*) وتقديم الاستشارة الطبية التي نحتاجها في حملتنا بخصوص التعامل مع المواد الكيمياوية وخلط المعقمات.

تتراوح أعمار هؤلاء الشباب، علي وبقية أعضاء الحملة، ما بين (١٨ و٣٥) عامًا، ويستعملون مواقع التواصل الاجتماعي، ومنها (الفيسبوك)، للحشد والحصول على تجاوب الناس ودعمهم للحملة كي تستمر.

نشر علي على (فيسبوك) رسالة يدعو فيها الناس لتقديم الدعم، وجاء فيها:

إلى أهالي بغداد الكرام... نحن مجموعة من الشباب المتطوعين لخدمة أهلنا و محافظتنا العزيزة وعددنا أكثر من (١٠٠) شاب، نقوم بحملة تعقيم وتوزيع منشورات توعوية للأسواق والمناطق السكنية والمحلات في مختلف مناطق المحافظة، جهزنا أنفسنا على نفقتنا الخاصة بمضخات رش وبدلات عمل، لا نقبل التبرعات المالية عذرًا، نحتاج عونكم ومساهمتكم فحسب بتوفير مواد التعقيم الأولية (ديتول و كلور) لمن يستطيع أن يشتري ولو علبة من مادة الكلور وديتول واحدة ان يتواصل معنا على الهواتف المنشورة...

ونعلن أسفنا الشديد لعدم تعاون دوائر الدولة معنا، استجاب عدد من الأهالي للإعلان، فتلقى أعضاء الفريق اتصالات من أشخاص مهتمين بالتبرع بمواد التعقيم.

يقول علي تبرع الناس بما يقارب (٤٠٠) لتر من مادة الكلور، و(٣٠٠) لتر من الديتول، مع علب كفوف وكمامات طبية، وكل شخص قدم لنا بقدر ما يستطيع ونشكرهم جميعًا، مضيفًا ان حملتنا لم تتوقف، مع أن المواد الطبية التي لدينا لا تكفي لكن نحاول توفير اللازم بما يمكّننا

* . البروشوراتBrochure، من اللغة الأنكليزية وتعني دفتر او كراسة صغيرة تعطي شرح موجز بالصور والمعلومات عن المنتج، عمل، رحلة، الخ ... .

من تغطية أكبر عدد من مناطق مدينتنا، أما في سياق التوعية، فقد وزعنا أكثر من (٦٠٠٠) ملصق في مناطق المدينة، تحتوي على إرشادات لاتباع الطرق الصحيحة للوقاية من الفيروس.

علاء عبد الصاحب يبلغ من العمر (٥٥ سنة) يعمل في كشك صغير يبلغ حجمه (٢*٢.٥) متر، ترك العمل في هذا الكُشك الصغير اثر فرض الحظر للتجوال وإغلاق المحال جميعها، علاء متزوج وتتكون عائلته من ستة اشخاص الابن الكبير بنت تبلغ من العمر (١٦ سنة) وباقي الأولاد صغار طلبة في المدارس وهو المعيل الوحيد لهم اذ يجب عليه شهريًا دفع اجرة السكن وفواتير الكهرباء والماء والانترنت إضافة الى العلاج لمن يتعرض للمرض، ويوضح علاء ان هذا كله توقف الآن فلا عمل لديَ لأسدد نفقاتي الشهرية لكني فوجئت بإن صاحب المنزل ابلغني بإنني لستُ مضطرًا لدفع إيجار الشهر الجاري، كما فوجئت ايضاً وفي الساعة السابعة مساءً بمجموعة من الشباب طرقوا باب الدار واعطوني اكياساً وعلبة كبيرة (كارتونة) فيها مجموعة من المواد الغذائية التي تكفي عائلتي لمدة سبعة ايام تحتوي على الزيت والرز والطحين والبقوليات والسكر والشاي...

المحطة السادسة: تبادل المؤونة

شهدت محلة (٩٥٠) في مدينة الزعفرانية الكثير من العائلات المتعففة*، ممن لا يسألون إلحافا، الذين لا يستطيعون سد رمق يومهم، من أيتام، ومن مطلقة تعيل بيتًا، ومن رب أُسرة لا يكفيه راتبه الشهري، او من فقدت معيلها اثر استشهاده في المعارك الأخيرة مع داعش، او بسبب مرض او حادثة معينة فقدت تلك العائلة معيلها.

هؤلاء ممن لا يبارزن من اجل هذه (القفة**)، هم الذين لا يريقون ماء وجوههم من أجل قفة لا تسمن ولا تغني من جوع، لا يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجل ان يأخذوا ما يكفيهم وأُسرهم، عائلة في تلك المحلة استشهد والدهم في إحدى معارك الحشد الشعبي، أب لخمسة اولاد ٤ بنات

---

*. التعفف، إذا افتقر لا يسأل الناس، هي حفظ النفس عما يقبح وعما يشين كرامتها

**. القفة، هي سَلَّةُ مِنْ وَرَقِ النَّخْلِ أَوْ نَحْوِهِ لحمل الخضر والفواكه والبضائع، وهذه السلة يوضع فيها المواد الغذائية التي يتم توزيعها على العائلات المستحقة.

اكبرهن تبلغ (١٥) سنة من العمر واصغرهم ولد في التاسعة من العمر وعندهم بنت تبلغ من العمر (١٦) سنة ضريرة، عند جمع اموال زكاة الفطرة تأخذها امرأة لتعطيها لهم، اغلب عائلات المحلة يشتركون بالعطاء إذ تُبادر الكثير من العائلات بشراء كل الإحتياجات كالملابس للأولاد وغيرها.

اما على مدار شهر رمضان اذ تبادر اغلب العائلات ولا سيّما الجيران بإخراج الطعام من مائدة الشهر الكريم وتوزيعه على الجيران.

وتقول الحاجة ام كريم، العطاء لدفع البلاء، وتحديدًا يوم الخميس عصرًا اذ قاربت الشمس على الغروب وهذا اليوم يُقال عنه ليلة الجمعة وهي ليلة مباركة، ولا سيمّا مع اقتراب وقت الغروب لما لها من روحانية لدى الناس حسب اعتقادهم وحسب ما جاء بالمأثور عن الامام الصادق (عليه السلام) إنه قال (اجتنبوا المعاصي ليلة الجمعة، فإن السيئة مضاعفة والحسنة مضاعفة، ومَن ترك معصية الله ليلة الجمعة غفر الله له كلّ ما سلف فيه...) وايضاً ما ورد عن ائمة اهل البيت عليهم السلام من التأكيد على زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ليلة الجمعة، لهذا فإن الناس تعتد في مثل هذه الليلة والتهُيأ لدفع الصدقات والهبات والثواب للاموات وقراءة الادعية والقرآن وغيرها من الأعمال المستحبة، عندها تبادر العائلات بإخراج شيء ما كإن تكون مائدة فيها طعام او اموال او شراء ما ينقص تلك العائلة خاصة في فصل الصيف كمبردة الهواء او دفع الاشتراك الشهري لسحب الكهرباء من المولدة الاهلية، لهذا كانت الناس تُعطي لنيل الاجر والثواب ودفع البلاء.

عائلة اخرى

أمُ شهاب ام لأربعة أولاد تسكن في نصف دار مساحته (٤٥) متراً بعد ان تم تقسيم البيت لنصفين، اغلب الدور السكنية في منطقة الزعفرانية وبالتحديد محلة (٩٥٠) العتيگة مساحتها (٩٠) متر، بعض من ميسوري الحال يشتري الدار ويقسمه الى نصفين ويتم تأجير كل نصف بـ(٢٥٠) الف دينار، لذلك تضطر بعض العائلات السكن في هذه الدور، زوجها كاسب يعمل في محل للمواد الغذائية في منطقة بغداد الجديدة توقف عن العمل بعد إصابته بعجز في الكلية،

تدهورت حالتهم المادية، ولم تَشكُ لأحد او تمُد يدها لطلب المساعدة، وبعد السؤال من الجيران وتفقد احوالهم،

بادرت إحدى نساء المحلة بعد الإتفاق مع بعض الشباب بجمع تبرعات مالية لسد نفقات علاج زوجها، والإتفاق على ان يتم شراء "تنور" من المعدن ولتبدأ بإعالة اسرتها من خلال بيع الخبز للناس، لكنها رفضت في بداية الامر إلا إنها وبعد اِلحاح نساء الجيران عليها وافقت على اخذ التبرعات التي أصبح مجموعها (٤٥٠) ألف دينار، وذهبت إثنتان من النساء للسوق لشراء تنور حديد وبعض الادوات البلاستيكية التي تدخل في عمل العجين وكذلك شراء كيسين من الطحين لتبدأ ام شهاب يومها الجديد بالعمل وتحمل المسؤولية بدل زوجها الذي أنهكه المرض.

بدأت ام شهاب بعملها الجديد وقد بلغنا اهالي المحلة بوجود امرأة تخبز لمن يود شراء الخبز (٦) گرص بـــ(١٠٠٠) دينار، وبعد برهة من الزمن مررنا على أُم شهاب وكان في الصيف على ما يقرب الساعة (١:١٥) دقيقة ظهرًا والشمس في كبد السماء عمودية والحرارة تصل الى (٤٥ درجة)، وام شهاب في باحة الدار تُشعل تنورها والابواب مفتحة والشبابيك لتخرج حرارة التنور، والنساء واقفات كلٌ تنتظر دورها في اخذ حصتها من الخبز الحار، والحمد لله استطاعت هذه المرأة من أن تُعيل أُسرتها، لكن ما زالت بعض العائلات تغدق عليهم بالمساعدات المادية من ملابس لأولادها .

التعفف

اسامة إعلامي في شبكات التواصل الاجتماعي يبلغ من العمر (٢٣) سنة، تبنى الكثير من العائلات المتعففة وآوى الكثير من الرجال والنساء من كبار السن واودعهم دور المسنين، له اتصال مع اغلب الجهات الخدمية والمؤسسات الخيرية وهو معروف على الصعيد المحلي ولا سيّما في شبكات التواصل.

في أمُسية رائقة خالطتها نسمات باردة منعشة وقبل مغيب الشمس بلحظات والجلوس في محل لبيع الأدوات الكهربائية العائد لوالده، ليذهب والده الرجل السبعيني من عمره ليأخذ قسطًا من الراحة، مساحته تبلغ (٥×٦) متر، مطلًا على شارع خدمي وعلى جانبيه فسحة كبيرة حيث

المارة والزبائن، يجلسون في باحة المحل مع اصدقائه وكالعادة يبدأ المزاح بين الموجودين، وفي هذه الاثناء اتصل شخص على أُسامة بعد التحية والسلام تغيرت تعابير وجهه وكأن على رأسه الطير، وطلب منه العنوان بالضبط واين هي الأن، بعد الإنتهاء من المكالمة قلنا له:

"ها أُسامة شنو الي صار خير" !؟

قال: "اكو امرأة عجوز اهلها طارديها للشارع"، المهم ذهبنا على الفور ووجدنا امرأة كبيرة في السن عجوز ضئيلة الحجم محدودبة الظهر، مرتدية عباءة وفوطة ملابسها رثة تغير اللون بسبب اشعة الشمس، رائحتها غير مقبولة، جالسة على رصيف الشارع وبيدها "علاگة" مصنوعة من اكياس او (گواني) السكر، واضعة بعض الأغراض (علاجات ثوب اسود فوطة سوداء وبعض الاشياء).

تكلم معها أُسامة: " ها حجية شلونچ"، سلمنا عليها بدأت تنظر بعينيها التي حملت معاني الحزن والهم والمرض.

قالت: چنتي وأبني طردوني من البيت.

أركبناها في مقدمة السيارة (الصدر) وذهبنا الى بيتهم طرقنا الباب واذا بشاب منتصف الثلاثينيات من العمر، بعد السلام والتحية بـ(السلام عليكم) رد وعليكم السلام تفضلوا ؟

قلنا له: هذه امك!

قال: اي "ما اريدها وسخة" وتتكلم كلام بذيء وتتشاجر مع زوجتي، المهم طلبنا منه أن يحضر الاوراق الثبوتية للمرأة كهوية الاحوال المدنية وبعض التقارير الطبية وراشيتات العلاج، اخذها أُسامة في بيته الذي بقت فيه لمدة اسبوع كامل، خلال هذه المدة كنا نبحث لها عن مكان نؤمنها فيه ونطمأن عليها.

نبحث عن قطعة ارض في (حي معسكر الرشيد) الذي يبدأ بشارع كإنه نهر قديم أكل عليه الدهر وشرب، وأفضت ضفتاه إلى أرض يباب مقفرة خلت من النبت والشجر، والذي بات نصفه (مكب) أكداس نفايات وتلال من الإنقاض، عند ولوجنا فيها يتوجب علينا إن ننحدر ببطء شديد كي نعبر مطبًا وعراً ونتحاشى ارتطام أسفل السيارة، هكذا وجدنا شارعا ترابيا كثير الوعورة

والحفر، بعدما وجدنا قطعة ارض في معسكر الرشيد العسكري (الحواسم) في الزعفرانية، تبلغ مساحتها (٣٠ او ٣٥) متراً تقريباً، وهي منطقة يسكنها الفقراء، تم بناء القطعة خلال مدة اسبوع بعد التبرعات من الاخوة ولا سيّما، حجي علي صاحب سكلة لبيع مواد البناء الذي أسهم بكل ما يحتاجه البناء من (اسمنت وطابوق ورمل)، وتبرع الناس بتجهيز الببيت بالإثاث ومبردة هواء و مروحة وتلفزيون مستعمل من أحد المتبرعين، وتم سحب كهرباء رئيسي (وطنية) وسحب آخر (مولد) بعد مبادرة طيبة من صاحب المولد بمد سلك الكهرباء الذي اعطاها (٣ أمبير) مجانًا لكل شهر.

يتألف الحي من عشرات المنازل والدكاكين الصغيرة وبعض "بسطيات المخضر" ضمن ما يطلق عليه بالأحياء المتجاوزة وسط أكوام هياكل الحديد المتناثرة والمخلفات وبرك المياه الآسنة، ابدى الساكنون في هذا الحي تعاطفهم مع المرأة ومساعدتها في كل صغيرة وكبيرة، بعد ان اجتمعت حولها نساء الحي ممن هن في سنها.

تم ترويج معاملة لشبكة الحماية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لمنحها راتبًا شهريا، بعد ان تكفل السيد فلاح الموسوي بكل ما يتعلق بإنجاز المعاملة.

على الرغم من حرارة الجو إلا أن الأطفال هناك يلعبون خارج البيوت ويركضون حفاة الأقدام، وشباب يجلسون بعضهم من غير عمل، والبعض الآخر يخرج إلى العمل لبيع (علب الكلينكس أو بيع قناني الماء البارد)، وآخرون ممن يبيع (المخضر) في عربة (الستوتة).

أما (العتاكة) او الذين يمتهنون بيع العلب المعدنية (قواطي البيبسي) فهم أغلبهم يسكنون بيوت الصفيح ويعتاش عدد من العوائل على (مكبات) النفايات، حيث تُعد مساكنهم حسب تعبيرهم (تجارية) لقرب مكب النفايات من منازلهم، لما تحويه من مواد بلاستيكية، وصفائح معدنية كالألمنيوم والنحاس والرصاص والتي تباع بإثمان تمكنهم من سد رمق العيش.

المحطة السابعة: حركة الجسد

في ظل الأخبار المحبطة عن إنتشار فيروس كورونا، يعاني الكثير من الناس القلق والإحباط، لكن للأزمة جانب مضيئاً ايضاً، وفي ظل الحالة الظرفية التي ابرزّت لنا ظهور المادية الثقافية، بمعنى ان هذه الظرفية أسهمت في اظهار المادية، الكثير ممن أتاح لهم العزل المنزلي بعض الهدوء في حياتهم، حيث تمكين الفرصة للأبتعاد عن الضغوط اليومية وإعادة ترتيب أفكارهم، وأتاح للبعض الآخر فرصة اكتشاف بعض المواهب الدفينة لديهم، اذ يقول الخبراء ان الحاجة قد تدفع بعضهم للأبتكار.

من خلال تصفح شبكات التواصل الاجتماعي التيُ سخرت للناس، أطلعتُ على منشور يُبين بعض النوع من الرجال قد تبنوا فكرة تصنيع جهاز إعطاء الاوكسجين وبجهود ذاتية وبكلفة رمزية، من خلال تجميع بعض الأدوات التي تدخل في صناعته، بعد ان كثر استعماله ولا سيّما للمصابين بجائحة كورونا والذين يعانون من ضيق في التنفس، من جهة اخرى ارتفاع اسعار الجهاز في الصيدليات والمذاخر الطبية بسعر قد تجاوز الـ(٥٠) الف دينار، وهذا ما لا تستطيع عليه اغلب العائلات من شرائه بسبب ارتفاع السعر، اضافة لشحة الجهاز بعد ان زاد الطلب عليه في المستشفيات.

تم الاتصال بصاحب المنشور من خلال الصفحة الشخصية وتم الاتفاق معه على لقائه، وبالفعل تم تحديد موعد والذي صادف يوم الأحد ساعة (١٢) ظهرًا في حسينية الحاج عباس سلومي الواقعة في منطقة بغداد الجديدة، حينها وصلت بالموعد الذي تم تحديده، واقفًا بباب الحسينية بعد ما طوقت بالحواجز الكونكريتية وحاجز للمشاة مستثنين ممر خاص للمصلين، اذ يقف بالباب حرس مدججون بالسلاح، بعد دقائق من وقوفي أذن المؤذن للصلاة فذهبتُ للوضوء، واذا بصحن كبير يتوسط الحسينية والتي باتت فيها الأتربة تغطي المكان والصور والآيات القرآنية وكأنه مهجور لا يرتادها الإ بضع مصلين وإمام يأمهم للصلاة.

أنتهت الصلاة وبقيت أنتظر عند باب الحسينية، في هذه الاثناء وإذا بسيارة نوع (النترا) بيضاء اللون ترجل منها شخص طويل القامة يرتدي قميصًا وردي اللون وبنطالاً داكنًا كان طوله

ما يقرب من (١٩٠ سم)، ممشوق القوام، ذو شعر أشقر داكن، يحمل بيده كيس اسود وباليد الثانية يحمل الهاتف الشخصي، مرتديًا كمامة طبية، في هذا الوقت نادى عليَّ حرس الحسينية بإن د. حسين (أجة هذا هو).

قلت له: السلام عليكم د. حسين

قال: عليكم السلام انت حيدر؟

قلت له: نعم

قال لي: اهلاً وسهلًا تشرفت بك، تفضل لندخل، دخلنا الى صحن الحُسينية جلسنا على الأرض بعد أن فُرشت بالزوالي او ما تُعرف بـ(المدات)، بدئنا الكلام بعد أن روى لي اصل الفكرة من اين بدأت، وتم اخراج الاغراض من الكيس الذي بحوزته، فنهض واحضر كميات كبيرة من الاجهزة الجاهزة والمُعدة للعمل، بدأ يسترسل بالكلام عن الفكرة وعمل الجهاز.

حسين الهاشمي حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد كلية التربية الرياضية، البالغ من العمر(٤٠) سنة، يقول: بعد إصابة شقيقتي بفيروس كورونا ومضاعفة حالتها ولا سيّما ضيق في التنفس واجهتنا مشكلة شحة اسطوانات الأوكسجين في المستشفيات، وشحة في جهاز الإعطاء الذي يتحكم بسعة الغاز اضافة الى الاسعار المرتفعة واستغلالها من اصحاب المذاخر.

استطاع متطوعون من الشباب في بغداد من تصنيع هذا الجهاز بمواد محلية لمواجهة النقص الحاد في تلك الأجهزة، اذ تتكون هذه المواد من اجهزة قياس تستعمل للتبريد او اللحام (الولدن) او المستعمل في تبريد السيارات، وبعض الأدوات التي تدخل في صناعة هذا الجهاز بعد تحويرها واضافة بعض المواد لتكون اجهزة يستعملها المصابون بالفيروس الذين يعانون من ضيق في التنفس والحاجة الى الاوكسجين، مثل (انبوب خام) هذا الانبوب يُعد المادة الاساسية التي تستعملها مصانع البلاستك، بعد ان تُضغط بأجهزة خاصة والتي تُصنع منها "دبات" المياه

الكبيرة وبعض اللدائن، بعد شرائها من (سوق السنك*) بسعر لا يتجاوز الـ(١٠٠٠) دينار للقطعة الواحدة، يبلغ طولها (١٦) سم تقريبا ومُحكم بغطاء.

يتم تحوير الانبوب من خلال ثقبه من الاعلى (الإدخال) اي ادخال غاز الاوكسجين الجاف في الانبوب بدرجة خمسة من المقياس، وثقب آخر بالجانب العلوي من الانبوب، لإخراج الاوكسجين المرطب، بعد اضافة ماء بمقدار معين في الانبوب.

يتم ربط الانبوب بمقياس ضغط الغاز (العدادات) جهة (ادخال) الغاز ويُمزج الماء مع الغاز ليخرج اوكسجين رطب لطيف، وربط توصيلة بلاستك بعد احكامها جيدا لتكون عملية (الإخراج) وإيصاله بخرطوم التنفس المطاطي وتوصيله بماسك الهواء، او ما يسمى (قناع الوجه) الذي يتم تثبيته من خلال شريط مطاطي، ومن ثم يتم ربطه باسطوانة غاز الاوكسجين والتحكم بضخ الغاز من خلال مفك خاص (كندك) وبدرجة لا تقل ولا تزيد عن خمسة من المقياس وذلك من خلال المنظم الذي يتحكم في معدل تدفق الاوكسجين والذي يختلف بأختلاف الشخص المصاب وحاجته الى الاوكسجين.

إستطاع د. حسين من طرح الفكرة على بعض إصحاب الإختصاص من اطباء وممرضين يعملون بقسم التخدير والعناية المركزة في مستشفى ابن النفيس التخصصي، وعرض الجهاز على المختصين وتجربته على المرضى الراقدين في المستشفى وبالفعل نجح الجهاز وبفاعلية ممتازة تضاهي الاجهزة المستوردة في الاسواق على الرغم من رخص سعره قياسًا بالمستورد الذي وصل الى اكثر من (٥٠) الف دينار للجهاز الواحد.

بعد إكمال الفكرة والخطوات التي من خلالها تم تصنيع الجهاز ونشره على شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) وإفساح المجال للراغبين بالتبرع او ممن يحتاج هذا الجهاز التواصل مع د.حسين من خلال العنوان الموجود على الصفحة الرسمية او الاتصال على الهاتف المثبت على الصفحة.

---

*. سوق السنك، في بغداد، يُعد أحد أكبر أسواق العاصمة العراقية لبيع قطع غيار السيارات الجديدة والمستعملة، والاجهزة الاليكترونية وغيرها، ويعود تاريخ هذا السوق إلى عشرات السنين.

بدأت التعليقات والمشاركات تصل الى الكثير من الناس، وبالفعل تم الاتصال بالمُجهزين من محافظة (ذي قار) وتسليمهم (٥٠) جهازاً كوجبة اولى وبسعر رمزي، ومحافظة البصرة تم تجهيزهم بـ(٥٠) جهازاً.

المحطة الثامنة: مناسبة العيد (المراسم)

عندما تبدأ الشّمس بالإنسحاب إلى مخدعها وراء الغيوم، تترك أذيالها الحمراء الذهبيّة اللامعة تُزين جهة الغرب من السماء، فترى الناس يتأملون غروب الشّمس، تمامًا كفراق النور الذي تمنحه الشّمس لوجه الأرض، ومع اقتراب نهاية شهر رمضان ولا سيمّا اليوم الأخير، يبدأ اغلب الناس صعود الأسطح، مشرئبة أعناقها نحو السماء، وآخرون متجمهرون في الطرقات وعيونهم تتأمل ظهور هلال شهر شوال، كلهم في حالة تأهب واستعداد فهم أمام أمرين إما الإفطار عند ثبوت رؤية هلال شوال أو الصوم لليوم الثلاثين المكمل لشهر رمضان.

لتبدأ الجوامع بالتهليل والتكبير إعلامًا منها ليوم توديع شهر رمضان وبداية ليوم جديد من ايام عيد الفطر المبارك تستهلها العائلات بالأدعية الخاصة والعامة، وتبادل التهنأة، وتقوم بجمع اموال (زكاة الفطرة*) لكل فرد، وتهبها لمستحقيها من عائلات متعففة، تيمنًا بالمأثور الوارد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: الفطرة واجبة على كل من يعول.

تُعطى زكاة الفطرة قبل طلوع شمس اليوم الأول من العيد، الغاية أن تُعم الفرحة على قلوب الفقراء ولا سيّما الأيتام الذين تُسعدهم ملابس العيد .

عادة في الأيام الأخيرة من شهر رمضان ولا سيّما اليوم الأخير تبدأ النساء بغسل البيت والأبواب والشبابيك وتنظيف المراوح السقفية، وفرش الأرضية وغرف الأستقبال بالمفروشات الجديدة وتهيأة البيت لإستقبال الضيوف، وبعد إتمام تنظيف البيت وتهيأته، تبدأ النسوة بالأنهماك بتنظيف الأولاد وتحضير ملابس العيد وكيها وصبغ الأحذية وحلاقة الأولاد، بعدها تبدأ النسوة بعمل حلويات العيد (الكليچة).

---

*. زكاة الفطرة فرضٌ مالي يجب على كل مكلفٍ بالغٍ غير فقير إخراجه من ماله ليلة عيد لفطر عن نفسه و عن كل من يعولهم.

يتم عملها قبل يوم من العيد، اذ يشترك افراد العائلة جميعهم من بنين وبنات كبار وصغار بعمل (الكليچة)، بعد ان تم إعداد العجينة الخاصة بعد اضافة النكهات والمطيبات تترك بعض الوقت حتى تختمر، بعدها يتم تحضير المواد (التمر والجوز والحلقوم وجوز الهند) الذي يستعمل بحشو (الكليچة)، واخرى تسمى (الخفيفي) يكون شكلها دائري الشكل وهذا النوع غير محشو بأية حشوة يطلق عليه (الخفيفي) إذ تحتوي هذه الحلوى على نسبة قليلة من السكر، كما إنها تدهن عادة بصفار البيض.

يبدأ العمل من خلال قوالب خاصة أُعدت لهذا الغرض وبنقوش متعددة واحجام متساوية تقريباً، اذ توضع القطع بـ(صينية) معدنية من مادة (الفافون)، بعد جمع ثلاث (صواني) او اكثر، تبادر النساء بشوي الكليچة اما عن طريق الافران الخاصة بخبز الصمون في المحلة، او من خلال افران البيوت.

وفي صبيحة العيد تبدأ النساء بتوزيع كميات قليلة من الكليچة بعد وضعها بصحن (فرفوري) وتوزيعه على الجيران، اذ ينهض صغار العائلة مبكرين وأمُهم تساعدهم على ارتداء ملابسهم الجديدة التي كانوا قد وضعوها بالقرب من أماكن منامهم وبعضهم يضعها (جوه رأسه) أي (تحت الوسادة)، في اليوم الأول أعتاد العراقيون على زيارة بيت الوالدين والبقاء هناك لتناول طعام الغداء، ثم معايدة الأقارب والأرحام ومن ثم الأصدقاء، وتكون فرحة الأطفال كبيرة بعيدية الأب والجدّ والجدّة والأعمام والأقارب.

أن قدوم عيد الفطر المبارك لهذا العام كان مختلفًا، وذلك بسبب الظروف الصحية والتباعد الاجتماعي التي أقرتها وزارة الصحة، إلا ان المواطنين تفاعلوا مع التقنية ببرامجها التي أصبحت الملاذ لمشاهدة بعضهم البعض والتحدث صوت وصورة، وقد اختزلت وسائل الاتصال الحديثة التي تشهد تطوراً مستمرا، المسافات بين أفراد العائلة الواحدة، وبين الاقرباء، حيث يمكن بضغط زر على جهاز حاسوب محمول أو حتى جهاز (موبايل) صغير ان تهنئ شخصا يقيم في قارة أخرى على بعد مئات الآف من الكيلومترات، ويزداد هذا التواصل خلال المناسبات والأعياد التي يتبادل فيها الأقارب والأصدقاء التهاني.

المحطة التاسعة: الحجر الصحي

من خلال التصفح التلقائي في مواقع التواصل الاجتماعي، شاهدتُ منشوراً لمجموعة من شباب الجيل الجديد تبنوا حملةَ تبرعاتٍ في إحدى مستشفيات العزل (ابن الخطيب) في منطقة جسر ديالى، تم التواصل مع أحد المشاركين والاتفاق على إجراء مقابلة معهم.

يحمل وقت العصر حضوراً لديّ، كما هو لدى أكثر العوائل العراقية، وكإنه في توديع لحرارة الشمس، والاستعداد لاستقبال الليل، عتبة العصر تكسر أفق الشمس الساخن، وتمنح عيوننا فرصة التمتّع بالنظر الى السماء، وقد يتطوّر ذلك النظر لمعنى من معاني التأمل، والهدوء المستجلب للنفس، لاسيما حين نتخيل قرص الشمس وهو يغطسُ في بركة الوجود، آذِناً لنا أن نصغي لما تبقى من مساء هادئ، ترصفُ النجوم لمعانها في كبد السماء.

وفي عصر يوم الأثنين توجهت إلى المستشفى؛ من أجل إجراء مقابلة مع القائمين بالعمل التطوعي، بعد أن تجمهر الناس حول باب المستشفى، إذ يقف على جانب الباب مجموعة من الرجال، وبعض النساء، مرتدين كمامات وقفازات، متباعدين واحداً عن الآخر خوف الإصابة، مترقبين وكإنهم ينتظرون قادماً من الباب لينقل لهم أوضاع مرضاهم.

شاب ثلاثيني العمر بجسم رياضي، طويل القامة أسمر مفتول العضلات واقف متحير ينظر يمينًا وشمالًا، تارة يجلس على سياج المستشفى وتارة أخرى يمشي متحيرًا مذهولًا، إنتابني الفضول لإسأله، تبين لي ان والده يرقد في المستشفى بعد اصابته بفيروس كورونا وحالته غير مستقرة، يتنفس من خلال جهاز التنفس الاوكسجين، يتسلل خلسة الى باحة المستشفى أو ينظر من النوافذ ليشاهد والده الذي أعيا الفايروس بدنه المتعب أصلاً.

لمحتُ نساءً بالجانب الآخر واحدة تبكي والأخرى تولول وقد خُطفت ألوانهن، يبدو ان أبنائهن يرقدون في المستشفى، يحاولن رفض الواقع القلق والدخول الى قاعات العزل، إلا ان رفض رجال الأمن (حرس المستشفى) حال دون وصولهن إلى رؤية أبنائهن، وعلى بعد أمتار عدة مجموعة أخرى واقفون من الرجال ينتظرون بإرهاق الطبيب ليخبرهم عن صحة مرضاهم.

في الجانب الآخر خلف قاعات الحجر الصحي حديقةٌ قد شُيدت حديثًا بأرضها المعشوشبة الخضراء، وأزهارها الندية والشجيرات والاشجار الباسقات التي تزينت بها، وعلى الجانب الآخر منها شارع يرتبط بنهايته (موقف للسيارات)، بعد كثرة الإصابات وأمتلاء غرف المستشفى بالمصابين تم اغلاقه بالكامل، استغلت مجموعة من الشباب الرياضي من أهالي منطقة جسر ديالى المرآب وقاموا بنصب سُرادِق لتظلهم من حرارة الشمس، والتجهيز بمواد الطبخ والشوي ومكائن العصائر، وشراء صناديق من الفاكهة، وبعض المواد الغذائية، كي تقدم وجبات غذائية مع العصائر الطبيعية في حديقة مستشفى (ابن الخطيب) للمصابين بفايروس كورونا، وشملت الحملة وجبات عدة مقسمة على عدد من أيام الأسبوع.

جاءت هذه الفكرة بعدما أُصيب اللاعب الدولي السابق (علي هادي) بالفيروس وتم على أثرها نقله إلى مستشفى (ابن الخطيب) التخصصي، إذ بادر بعض اصدقائه من الرياضيين بالتواجد كلّ يوم في المستشفى وتوفير كافة الاحتياجات للمصابين من تقديم علاجات ووجبات غذائية التي تحتوي على فيتامينات، مثل العصائر الطبيعية وغيرها، من خلال شراء الخلاطات الكهربائية الخاصة بالعصائر، وشواية اللحم المسمى شعبياً بـ(الشاورما) وشواية (الدجاج) وبدأ العمل بوضع جدول يومي للطبخ:

اليوم	وجبة الغداء	العصائر الطبيعية
السبت	تمن ولحم (برياني)	برتقال + ليمون
الاحد	دجاج شوي ولبن	برتقال
الاثنين	شوربة عدس وفاكهة	كوكتيل (مجموعة فواكه)
الثلاثاء	تمن ومرق	برتقال + ليمون
الاربعاء	سمك شوي	برتقال
الخميس	شوربة عدس	كوكتيل (مجموعة فواكه)
الجمعة	لحم (شاورمة)	برتقال + ليمون

بعد وفاة اللاعب (علي هادي) رحمه الله المفاجئة والمؤسفة، لم يتوقف المتطوعون عن هذه المبادرة من تقديم المساعدات للراقدين من المرضى في المستشفى، بل على العكس زادهم إصراراً وعزيمة على ان يبقوا مرابطين حتى خروج آخر مصاب من المستشفى، في حضور لافت ومؤثر للمعنى الإنساني لدى مختلف فئات المجتمع العراقي.

(مصطفى سعدون) حارس مرمى المنتخب الوطني، يبلغ من العمر(٢٨) سنة، تبنى هذه الفكرة ووافقه على ذلك بعض من أصدقائه الرياضيين بإن يقدموا كل الاحتياجات للمرضى، من خلال جهود ذاتية، فقرروا ان يدفع كل شخص مبلغ قدره (١٠٠) ألف دينار شهريًا لتوفير بعض الاحتياجات، بعد ذلك بدأ اهالي المصابين بالاشتراك مع المجموعة بإن يُقدموا مواداً غذائية، عرفتُ أن بعضهم يتبرع بالأموال، وآخرون يتبرعون بوجبة غذائية كاملة، حتى بدأت الفكرة بالاتساع مجتمعيًا وبدأت تتسارع عليهم مختلف القنوات الفضائية؛ لتغطي خبر هذا العمل التطوّعي داخل المستشفى.

(محمد المهدي) الملقب بـحمدان ٤٢ سنة صاحب مذخر (سما ديالى)، يقولُ حمدان: أتبرع كل يوم بما يقرب من (١٢٠) ألف دينار (أي ما يقرب مئة دولار أمريكي)، والتي شملت علاجات السُكر، والضغط، وعلاج الدهون الثلاثية، والرباعية، وغيرها من العلاجات التي لا توفرها المستشفى الحكومية للمرضى الراقدين، حيث تكمن مساهمة حمدان الشخصية بتوفير علاجات معينة لا توجد في أمكنة علاج مرضى الفيروس.

(حسن) الملقب ابو الليل عمره (٣٨) سنة، يعمل موظفاً في وزارة الشباب والرياضة يُسهم حسن في شراء الملابس للراقدين من المرضى، الذين لم يزرهم أحد من عائلاتهم ولا أقاربهم لأسباب مجهولة، تكفل (حسن) بكل ما يحتاجونه من كسوة، يقول: كل اسبوع أجمع تبرعات من زملائي وأصدقائي في العمل، وأذهب إلى سوق الملابس القريبة، واشتري دشاديش رجالية ونسائية وملابس داخلية وشحاطات، وكمامات وقفازات (كفوف) وأوزعها عليهم.

الفصل الخامس

تحليل الدراسة

تمهيد

إن المفهوم العام لمعنى العملية ذو مغزى تحليلي ضرورية، فثمة فكرة محددة تتصل بإمكانية الحصول على الكثير من القوة التحليلية في توظيف هذا المفهوم لموضوع الدراسة وبأسلوب أكثر تحديداً ولمجموعة قابلة للتعميم من الأحداث المترابطة التي يتكرر حدوثها، ويمكن بوضوح ودقة وصف الارتباطات المتبادلة الضرورية فيما بينها فضلا عن النتائج التي تسفر عنها، ان الميزة الجوهرية المتأتية من وضع المحطات المفاهيمية فيما يتصل بمصطلح العملية تكمن في قدرته على منح عمليات ممارسة الهبات مقدارا اكبر من الطبيعية ***Naturalism***، اذ إننا لا نلحظ محصلات الثقافة والمجتمع الفاعلة في الحياة الاجتماعية فحسب، بل اننا نلحظ الكثير من آليات عملها بالنظر الى وقوع الأحداث ***Events*** بين فاعلين قابلين للملاحظة.

يسعى أنموذج المادية الثقافية إلى تصور ما يحدث بالفعل بوصفها أحداثاً قابلة للملاحظة في حياة الناس وتفاعلاتهم لا الاكتفاء بتقديم استنتاجات من أحكام أخلاقية وقيمية التي يؤمن بها هؤلاء الناس، وقد أكد الانثروبولوجي الامريكي مارفن هاريس على إن الظروف المادية (البيئية والاقتصادية والتكنولوجية) هي التي تشكل الوعي وتحدد مستواه وطبيعته، وتُعد العامل الرئيس في التطور الثقافي والاجتماعي، ومن ثم لا يمكن فهم وتفسير العناصر الثقافية للحياة الاجتماعية إلا بالرجوع الى تلك الظروف.

اذ يُنظر إلى الطبقة السفلى البنية التحتية، على أنها الأساس لمجتمع تكّمنُ فيه الظروف المادية للحياة البشرية، وتشمل هذه الإستراتيجيات التي يرتبط بها الناس في بيئتهم كيف ينتجون الطعام والأدوات والمأوى والتكنولوجيات التي يستعملونها في حياتهم اليومية، إن الظروف المادية للمجتمع في إنتاج وإعادة إنتاج وسائل الوجود الإنساني هي الطرق التي يعيش بها البشر.

نحاول في هذا الفصل تفريغ البيانات من الدراسة الميدانية على اساس المتغيرات التي اكدت عليها المادية الثقافية بدءاً من الخوافض مروراً بالبناء ومن ثم النواهض.

المبحث الاول: البنية التحتية

تعزز فكرة البنية التحتية التي تتكون من (حقائق مادية) مثل العوامل التكنولوجية والاقتصادية (الديموغرافية) تشكل وتؤثر في الجوانب الأخرى للثقافة، وقد تكون البنية التحتية من جزأين مهمين هما: (نمط الإنتاج وطريقة الاستنساخ)[١].

١. نمط الإنتاج

نمط الإنتاج يتكون من التكنولوجيا والممارسات المستعملة لتوسيع أو الحد من الإنتاج المعيشي الأساسي، ولا سّيما إنتاج الأغذية وغيرها من أشكال الطاقة، او هي محاولات لإحداث توازن بين مستوى السكان وإستهلاك الطاقة من بيئة محدودة، فمن هذا الأساس البيئي، تستند البنية التحتية الى الأجزاء المتبقية من النظام الاجتماعي، كما تتمثل العوامل الاقتصادية في نوعين أساسين هي: (الحركات المكانية او التغيرات المكانية والعلاقات الاقتصادية) [٢].

والتي تُفهم على أنها تغيرات في المكان كإنتقال الناس من مكان الى آخر، وهذا ما يحدث لجامعي التبرعات حيث يكون التنقل بين المناطق والأزقة لغرض جمع المواد الأساسية، ومن ثم العودة الى محل سكناهم.

وقد يمثل هذا الفعل بجمع التبرعات من مناطق بعيدة، او ضمن منطقة سكناهم او من خلال شراء المواد العينية التي تدخل في عمل وتحضير المواكب كالدقيق والرز والحبوب والتنقل بين المحال التجارية لغرض شراء اللحوم والبقوليات وغيرها من المواد التي تستعمل في تحضير وجبات غذائية كاملة.

---

(1) . Dr. Frank W. Elwell, Article Cultural Research Strategy, Rogers State University, 2001,p,2.

(2) . Ibid,p,3.

في المحطة الأولى كان الدور البارز والأساسي لحركة المرأة في عملية جمع التبرعات من أموال وحاجات عينية على وفق البناء التحتي الذي يتمثل بجمع المواد العينية من الناس منذ بدايات شهر رجب والذي قد اتخذ الجانب المادي ولا سيّما الأيام الاولى من الشهر والتنقل بين الدور والازقة، من أجل جمع الأموال والتي تتراوح تلك التي تحصل عليها النساء بين (٢٥) الف دينار عراقي، قد تزيد أو تنقص بحسب إمكانياتهن المادية، وبعضهن يتبرعن بمواد عينية مثل: (الرز والحمص او التمر او الطحين..) أو يتبرعن بـ(بطانيات، فراشات، وسادات... وغيرها).

وهذا الفعل لا يقتصر على النساء حسب، بل يبادر الرجال ايضاً في هذه الممارسة بجمع التبرعات من الاصدقاء، وعادةً ما يتم التبرع شهرياً على مدار العام؛ كونهمُ مؤسسين وأعضاء في الموكب، من خلال مشاركة المتبرعين في الصندوق الذي تُجمع فيه التبرعات الشهرية او على مدار العام او عند قرب المناسبة، يتم فتح الصندوق بحضور المؤسسين، وتُصرف الاموال التي جُمعت لشراء الحاجات الأساسية للموكب.

في المحطة الأولى تم ملاحظة حركة اقتصادية شهدها السوق في المنطقة من خلال العرض والطلب بين الفاعلين، وذلك بتحديد سُبل التعامل اذ يبدأ بعُرف اجتماعي يقضي بإن التعبيرات التي تُقرب الأشخاص (الفاعلين)، من خلال إلقاء التحية والرد عليها بطرق النطق ورفع اليد والمصافحة والترحيب والجلوس وتقديم أصول الضيافة والمحاورة والمعاملة على أسعار المواد (الإتفاق) هذا التعامل ينتج علاقات ثانوية، ولا سيّما أصحاب المحال التجارية ومعرفتهم بإن هذه المواد سيتم إستهلاكها في (موكب حسيني) يكون التعامل على غير المعتاد عليه والمعمول به يومياً، إذ يتبرع الكثير من أصحاب المحال بشيء من هذه المواد، او التقليل من الاسعار، وقد عَّبر أحد المشاركين بقوله: "مشاركة مني ثواباً الى ارواح امواتي"، حسب اعتقادهم بأن هذه الاموال أو هذه المواد التي تم التبرع بها لموكب حسيني ينفع امواتهم في القبر او في الحساب.

يتم شراء بعض أدوات الطبخ والشوي التي تمثلت بشوايات السيّاح والكباب وبعض المواد التي تدخل في عملية الشوي مثل (المنقلة) وأكياس الفحم.

تتكون شوايات السِيّاح من صفيحة معدنية اشبة بغطاء القدر المستعمل في الطبخ على شكل دائري يبلغ قطرها ما يقرب المتر منصوبة على منضدة مربعة الشكل وتحتها مشعل النار، وبعض الادوات كالسكاكين والشفرات التي تدخل في تقطيع السياح مع منضدة كبيرة يبلغ طولها ثلاثة أمتار وعرضُها نصف متر تقريباً، لغرض عرض قطع السيّاح للزائرين، وبعض مستلزمات الشاي مثل الأقداح والفناجين وإناء لغلي الماء (الكتلي) وأسطوانات الغاز... وغيرها من المواد العينية التي تدخل ضمن احتياجات الموكب.

تظهر نشاطات أخرى في المحطة الثانية اذ تُبين جانباً آخر متمثلاً في المستوى الاقتصادي لمساعدة الناس الذين يُعانون من أمراض مزمنة او من الذين قد أصُيبوا بفايروس كورونا وتم حجرهم في البيت، هؤلاء كانوا بأمس الحاجة الى توفير العلاجات الخاصة لهم، فيضطر بعض القائمين الى تبني هذه الحالات وإبداء المساعدة لهم بالتنقل بين المستشفيات والصيدليات الأهلية لكي يتبرعوا او يُسهموا في ارسال العلاجات للحالات الحرجة، او التنقل من منطقة الى أخرى لشراء قناني الاوكسجين لحالات مرضى الربو او الأختناق او ممن يعاني من ضيق في التنفس.

اما العلاقات الاقتصادية على العكس من ذلك فهي متغيرات كتوزيع الطعام والشراب على أعضاء الموكب، وتوزيع ملابس العمل وقمصان ذات اللون الأسود الموحد، و(سدرية عمل) للعاملين على تحضير السيّاح، وشفرات وسكاكين وقفازات (كفوف).

اذن فالحركات المكانية تشمل نقل الطاقة، على العكس من الحركات الاقتصادية التي تشمل نقل المستلزمات الخاصة بطبيعة العمل، بين العاملين من اللجان التي تُشرف على توزيع السلات الغذائية او اللجان المشرفة على متابعة المرضى في منازلهم وتوزيع لهم العلاجات، وكذلك على العاملين في المواكب، مما يعزز ويشكل خلق توازن في العلاقات الاجتماعية.

اما فيما يخص المحاولات لإحداث توازن بين مستوى السكان وإستهلاك الطاقة من بيئة محدودة، وذلك من خلال إقامة مناسبات إسلامية كالزيارة الشعبانية والاربعينية والرجبية والتي يصادف فيها أستشهاد الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام)، حيث يبدأ الناس بنصب السُرادِق وتتهيأ لإستقبال الزائرين وتوفير لهم كل الاحتياجات كالطعام والشراب وسُبل الراحة وغيرها، بحيث تخلق حالة من التوازن بين استهلاك الطاقة وعدد الزائرين المتوافدين صوب مدينة الكاظمية المقدسة.

في المحطة الثانية تُبين الدراسة الدور الأساسي لعمل اللجان التي تُشرف على توزيع المواد بإنتظام، بعدما كانت في الوهلة الأولى مقتصرة على أفراد معينين لا تربطهم اي علاقة فيما بينهم وكان العمل غير منظم، بدأت هذه اللجان تُنظم حملات مساعدة على مستوى المنطقة والمناطق المجاورة لها من رجال ونساء، وذلك من خلال تقسيم العمل وفق آليات وضوابط متفق عليها بين هذه اللجان والإهتمام بتلبية إحتياجات العائلات المتعففة وإيصال المواد الغذائية الى محل سكناهم ودفع لهم ما يتيسر من الأموال لسد أحتياجات إيجار البيت مثلاً، او دفع فاتورة سحب الكهرباء (المولد)، وشراء كل ما تحتاجه الأسرة من مواد كهربائية وملابس للأطفال وغيرها.

بدأت حملات أخرى خاصة شملت توعية الناس للحد من انتشار فيروس كورونا وذلك من خلال نشر بوسترات والحديث مع الناس، وبعضهم الآخر عمل على جمع بعض الأدوات التي تدخل في تعقيم وتعفير الدور السكنية والمحال التجارية والشوارع، شملت هذه الأدوات خزان ماء (تانكي) سعة (٥٠٠) لتر الذي تبرع به احد اصحاب محال الإنشائية، ومولد كهربائي سعة (4 KV) اي ما يتم توليد (١٢) امبيراً وشراء مرشة تستعمل في غسل السيارات، او ما يسميها بعضهم (فارة)، وشراء مواد معقمة من مادة (القاصر) وتم مزجه وتخفيفه بالماء لكل لتر واحد من القاصر المركز مقابل (٩) لترات من الماء، وبدأت هذه الحملة لتطهير وتعقيم المحلة خوفًا من انتشار فيروس كورونا.

في المحطة الثالثة من الدراسة تم ملاحظة مشاركة العتبة الكاظمية المقدسة بحملة أُطلق عليها (جود الجوادين) التي إنطلقت بسياراتها (برادات) من مدينة الكاظمية الى منطقة الزعفرانية تحمل مساعدات للعائلات المتعففة واصحاب الدخل المحدود، هذه الوجبة الغذائية او ما تُعرف بـ(السلة الغذائية) اشتملت على (٢ بُطل) من دهن الزيت حجم (١ لتر) و (٥ كغم) من الطحين الصفر و (١ كغم) عدس أو(١ كغم) من الفاصوليا و(٥ كغم) من الرز نوع بسمتي، وثلاث علب من المعجون ذات حجم (٤٠٠ غرام) وبعض اكياس الشعرية والعدس، مجموعة في مغلف من الكارتون مكتوب عليها (حملة جود الجوادين) ويتم تسليمه الى العائلة المحتاجة.

٢. طريقة التوالد

تشير طريقة التوالد الى العوامل الديموغرافية للسكان مثل حجم وكثافة السكان، وتشمل العوامل الديموغرافية تقنيات تنظيم السكان، بمعنى يجب ان تتوفر لدينا اساسات كي نتمكن من عملية التوالد او الاستنساخ[١].

في المحطة الأولى من الدراسة بّينا عدد الاشخاص الذين عملوا على تأسيس موكب والذي بلغ عددهم (٣) اشخاص فقط هم اصحاب فكرة تأسيس الموكب، ومن خلال عملية التوالد (الاستنساخ) المتزايد للأشخاص بلغ العدد نحو (٥٨) شخصًا شملت الرجال والنساء ممن هم اعضاء في تأسيس الموكب قابل للزيادة، ويمكن ان يزيد الإنتاج عن طريق زيادة في عدد العاملين او زيادة مدة العمل وسرعة ادائه في الوقت الذي تبقى فيه ادوات الإنتاج ثابتة.

اما ما يتعلق بالمواد الغذائية فبعد ان كانت قليلة تُحسب بالكيلوغرام والطريقة المتبعة في الأستهلاك البطيئة بسبب قلة الواردات المالية، مع عدد المتبرعين منذ بداية تأسيس الموكب، وبمرور الوقت والزيادة الحاصلة في الواردات وكثرة المتبرعين تم بناء مخزن بعد ان استقطعت مساحة من الأرض لتوضيفها بجمع المواد الغذائية من رز وطحين وبقوليات وغيرها من المواد التي تدخل في عمل وجبات غذائية للزائرين، في حين يحتاج الزائر الى عدد كبير من البروتينات

---

[1].ibid,p,3.

في أنماط المواد الغذائي المختلفة، فضلاً عما يقتضيه تأمين ذلك من الطاقة، قياسًا بالجهد المبذول من قبل الزائرين بالمشي مسافات بلغت عشرات الكيلو مترات.

بينت الدراسة كما موضح في المحطة الثالثة مكانة المرأة والدور البارز والمهم في الأحداث الأخيرة، إذ عمدت بعض النساء الى تبني عمل يُسهم في مساعدة الناس ولا سيّما في منطقة الدراسة بالإتفاق مع بعض من نساء المحلة والقريبات منهن داخل المنطقة والإتفاق على تقديم مساعدة للمحتاجين، مبادرة بخياطة الكمامات وتوزيعها على العوائل من خلال شراء لاستيك مطاط وقماش طبي من الصيدليات والمذاخر الطبية الذي يستعمل في المستشفيات او ما يُعرف بـــ(الشرشف) الذي يضعونه على سرير المريض، وبجهود ذاتية وعلى حسابهن الخاص تمكن من جمع كميات كبيرة من هذه النوعية الذي يكون حجمه (٢٢٠ × ١٤٠) سم، لكل قطعة من هذا القماش تنتج ما يقرب (١٦) قطعة من الكمامات ذات الثلاث طبقات، بعد ان بلغت سعر الكمامة الواحدة (١٠٠٠) الف دينار عراقي للأستعمال الواحد، وهذا ما لا تستطيع العوائل الفقيرة توفيره لإبنائها او اقاربهم.

في المحطة الأولى بينت ان التبرعات التي يهبها الناس الى أصحاب المواكب والى العائلات المتعففة عبارة عن مواد عينية كأن تكون لحوم او حبوب، او ادوات تدخل فيها التكنولوجيا او ماشابه ذلك، في هذه الحالة تم تحويل هذه المواد والتي من خلالها أُعيد انتاجها لتتحول الى صيغة أموال، من خلال عملية التوالد او الاستنساخ.

الثاني: التكنولوجيا

أدت تلك الإنجازات التكنولوجية المتتالية الى زيادة مطردة لمعدل كمية الطاقة، التي يمكن للإنسان ان يحصل عليها منذ العصر الحجري القديم الى الوقت الحاضر، ولا يعني هذا بالضرورة القول ان هذه الزيادة المطردة للطاقة قد صاحبتها زيادة مماثلة في قدرة الإنسان للسيطرة على الطبيعة، وان استعمال طاقة متزايدة يحقق بالضرورة لكل فرد مستوى عالياً

للمعيشة، أو حتى انه قلل من فترة العمل، كذلك لا بد من التمييز بين كمية الطاقة التي يمكن الحصول عليها، والفاعلية التي بواسطتها تنتج هذه الكمية وتكون جاهزة للأستعمال.

ويتكون (وضع الإنتاج) من التكنولوجيا والممارسات المستعملة لتوسيع أو الحد من إنتاج الكفاف الأساسي، وخاصة إنتاج الغذاء وأشكال الطاقة الأخرى، بالنظر إلى القيود والفرص التي توفرها تقنية محددة تتفاعل مع موئل* محددة.

في المحطة الأولى يُعد موضوع بناء الهيكل الحديدي للسرادق او المواكب والذي يتم فيه توظف الأرض من خلال نصب أو بناء هذه السُرادِق من أجل ان توفر مساحة كافية لمتطلبات العمل وتوفير خدمات للزائرين، او من خلال تخزين المواد الغذائية التي تم شراؤها او التي تم التبرع بها من التُجار واصحاب المحال التجارية او من العتبات المقدسة مثل العتبة الكاظمية التي تبرعت بكميات كبيرة من مواد غذائية للعائلات المتعففة في مجتمع الدراسة، وهذه الكميات الكبيرة من التبرعات تحتاج الى مكان او مساحة تكفي لخزنها ومن ثم توزيعها من اللجان المتخصصة، فمن خلال نصب هذه السُرادِق او تشييد الأرض ببناء معين، ما هو إلا تبني مأوى، وهذا المأوى يجمع الناس ممن هم من أصحاب المواكب او الزائرين القادمين من محافظات العراق الجنوبية بعد ان أنهكهم طول المسافة حتى يصلوا الى مبتغاهم، ومبيتهم واستراحتهم لبضعٍ من الوقت.

في المحطة الثانية تتضح ان المواد التي تدخل ضمن الحاجات الاساسية والتي سخرتها التكنولوجيا من الطبيعة وعمليات التحويل الى مواد عينية مثل شوايات السياح، وشواية الشاورمة وشواية (الهمبرغر) والسكاكين والشفرات التي تدخل في تقطيع السياح ومنضدة معدنية كبيرة مصنوع محلياً يبلغ طولها ثلاثة امتار وعرضها نصف متر تقريباً، الغرض منها، عرض قطع السيّاح للزائرين، والادوات التي تدخل في عمل الشاي مثل (اقداح وفناجين) وإناء (الكتلي) لغلي الماء الحار وقناني الغاز، وبعض الأدوات الأساسية مثل ماكنة تجهيز الفلافل وأدوات الشوي

* . مَلْجأ، مَلاذ.

واجهزة التبريد مثل المبردات والمراوح العمودية، وأدوات الكهرباء كالمصابيح والعدد اليدوية الخاصة بالكهرباء، ومولد خاص لتوليد الطاقة الكهربائية سعة (10 Kv)، واجهزة التبريد مثل المبردة الهوائية حيث تواجد الزوار داخل السُرادِق، والثلاجات والمجمدات التي تُجمع فيها المواد الغذائية للمحافظة عليها من التلف).

محطة أخرى من محطات الدراسة عن وضع الإنتاج من التكنولوجيا والممارسات الاجتماعية المستعملة لإستخلاص الطاقة والمواد الخام من البيئة وتصميمها للأستعمال البشري، كالتبرع بالإموال للعائلات المحتاجة وشراء أجهزة التنفس مثل قناني غاز الاوكسجين التي يستعملها مرضى الربو والمصابون التي اكدت إصاباتهم بفيروس كورونا ولم يرقدوا في المستشفيات بعد ان بقوا في الحجر البيتي وتوفير العلاجات التي تُسهم في الحد من هذا الفايروس.

في المحطة الأولى التبرع ببناء حمامات جاهزة مصنوعة محلياً بوصف ان الشارع العام الرئيس بعيد عن البيوت السكنية ويتعذر وجود حمامات للزائرين لقضاء حاجاتهم، ومغاسل خاصة للوضوء، لذلك تم نصب مجموعة كاملة من الحمامات وبمساعدة قسم بلدية الزعفرانية وقسم ماء بغداد الرصافة، اذ تحتوي هذه الحمامات على أربع حجرات صغيرة محلية الصنع وهي عبارة عن جملون صغير تربط فيها حنفية ماء موصلة الى نقطة رئيسة لماء الإسالة لتغذية الحمامات بماء نظيف، وربط التواليتات بأنبوب (بوري) بلاستك مع المجاري الرئيسة في الشارع الخاص لتصريف المياة، والذي يبلغ ارتفاع كل واحدة من هذه التواليتات على ما يقرب (١٦٠) سم اي ما يقدر (متر ونصف) وقطره ما يقرب (٨٠ سم) مربع مغلفة، وتم نصب (٤) مجموعات كاملة منها حمامات خاصة للنساء وهو ما يبعد عن المجموعة الأولى لحمامات الرجال ما يقرب (٢٠٠) متر تقريباً.

في المحطة الرابعة مبادرة أخرى تبنتها مجموعة من الشباب الإعلامي بحملة واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي كـ(الفيس بوك، والواتساب، والتليغرام، وتويتر)، اطلقوا عليها تسمية

(ظل بالبيت) طالبت المواطنين بالبقاء في منازلهم إلا للضرورة القصوى ومن ثم إيصال كل الإحتياجات الضرورية للناس المحتاجين، من خلالها بدأت العائلات المحتاجة التي يصعب عليها الخروج، مستغلةً هذه التكنولوجيا (وسائل التواصل الاجتماعي) بنشر تعليقات ومنشورات موضحة رقم الموبايل وعنوان السكن، والمواد التي يحتاجونها، مثل حليب اطفال حديثي الولادة وعلاجات لكبار السن وغيرها، او من خلال نشر مجموعة أرقام وصفحات خاصة باللجان او الشباب المتكفلة بهذا الموضوع وكل من يحتاج شيء ويصعب عليه شراؤه او أستحصاله، تقوم هذه اللجان بتوفيره له، هناك حالات اخرى مثل نساء كبيرات في السن يصعب عليهن التنقل من اجل إستلام مرتب التقاعد او مرتبات شبكات الحماية للأرامل والمطلقات والعاطلين عن العمل، وإبداء المساعدة من المتطوعين إذ يقومون بنقل كبار السن بسياراتهم الخاصة الى اقرب مكتب صرف مرتبات البطاقة الذكية وإرجاعهم الي محل سكناهم، بعد اخذ التصاريح القانونية بالتنقل من الأفواج التابعة لوزارة الداخلية.

في المحطة السادسة من الدراسة بَيّنّا مدى إستطاعة مجموعة شباب في بغداد من تصنيع جهاز إعطاء الاوكسجين من مواد محلية، وذلك لمواجهة النقص الحاد في تلك الأجهزة داخل المستشفيات وحاجة المرضى الذين يعانون من ضيق في التنفس، تتكون المواد من أجهزة قياس يستعملها اصحاب مهنة التبريد او اللحام (الولدن)، او المستعمل في تبريد السيارات، وبعض الأدوات التي تدخل في صناعة هذا الجهاز تم تحويرها وإضافة مواد اخرى مثل (إنبوب خام) هذا الإنبوب يُعد المادة الاساسية (الخام) والتي تستعملها مصانع البلاستك، بعد ان تُضغط بأجهزة خاصة لتُصنع منها دبات المياه الكبيرة وبعض اللدائن.

يتم شرائها من (سوق السنك) بسعر لا يتجاوز الـ(١٠٠٠) دينار للقطعة الواحدة، إذ يبلغ طوله اي الأنبوب (١٦) سم تقريباً، مُحكم بغطاء.

يتم تحوير الإنبوب من خلال ثقبه من الأعلى (in put) والتي تتم ضخ غاز الاوكسجين الجاف في الإنبوب من خلال هذه الفتحة بدرجة ٥ من المقياس، وعمل ثقب آخر بالجانب العلوي (out put)، لأخراج الاوكسجين الرطب، بعد إضافة مقدار من الماء في الإنبوب.

يتم ربط الإنبوب بمقياس ضغط الغاز (العدادات) جهة (in put) يُمزج الماء مع الغاز ليخرج اوكسجين رطب لطيف، وربط توصيلة بلاستك بعد إحكامها جيداً لتكون عملية (out put) وإيصاله بخرطوم التنفس المطاطي والذي تكون في نهايته (mask) الهواء، او ما يسمى (قناع الوجه) الذي يتم تثبيته على الأنف والفم من خلال شريط مطاطي، ومن ثم ربطه بأسطوانة غاز الاوكسجين والتحكم بضخ الغاز من خلال مفك خاص " كندك" وبدرجة لا تقل ولا تزيد عن خمسة من المقياس وذلك من خلال المنظم الذي يتحكم في معدل تدفق الأوكسجين والذي يختلف بإختلاف الشخص المصاب وحاجته الى الاوكسجين.

في المحطة الثالثة تمت ملاحظة حملات التبرع من قبل بعض الصيادلة ليَهَبوا عددًا من الأدوية والعلاجات للمصابين، وبعض الحالات المَرضية المُزمنة، الذي يتم صرفهِ من خلال (وصفة الطبيب) بعد ان يتم تسجيل إسم المريض وعنوان سكنُه ورقم الهاتف والعلاج الذي يحتاج اليه، بلغ عدد المحتاجين للأدوية ما يقُرب (٥٠٠) مريض غالبية امراضهم مزمنة كما موضح في الجدول الذي أُعد في الفصل الرابع من الدراسة الميدانية.

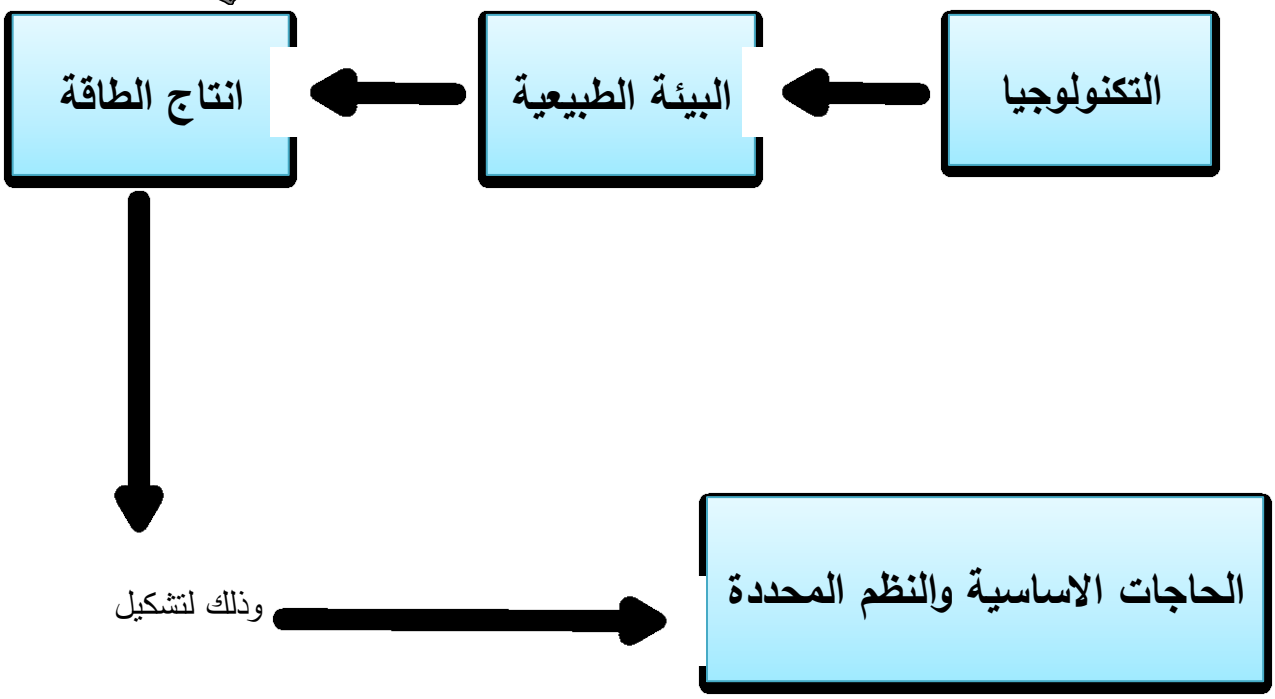

يتضح من هذا الانموذج ان التكنولوجيا السائدة في مجتمع ما، هي التي تفرض على الانسان اختيار واستغلال موارد الثروة المعينة في بيئته الطبيعية لإنتاج طاقته الحيوية التي تساعده على البقاء واقامة العلاقات.

الثالث: البيئة

يُفسر الإيكولوجيون الثقافيون التغيرات، والتطورات، والتجديدات فى المجتمعات البشرية عن طريق التكيف، فكلما إزدادت فاعلية الثقافة والتكنولوجيا، كلما ازداد المجتمع تعقيدًا، وكلما ازدادت الثقافة قدرة على التكيف أى صارت من أكثر وسائل التكيف، ويُشير ذلك ايضاً إلى إزدياد التخصص وازدياد التأثير، وتتخذ هذه المظاهر معايير أو مقاييس لقياس عملية التكيف، فالإيكولوجيا الثقافية تُفسر كيف تتم عملية التكيف، وما الوسائل التى تُساعد الإنسان فى تكيفهِ مع البيئة[1].

يَجبُ على البشر الحصول على القوت من بيئاتهم، لذلك يقتصُر كل عمل بشري على القيود البيئية، وعلى رأسها توافر الغذاء، إن كمية الطعام التي يمكن أن توفرها بيئة معينة محدودة وذلك

[1]. ايمان علي مصطفى الخولي، مصدر سابق، ص١٠٩.

بسبب العوامل الطبيعية (مثل خصوبة الأرض، والمناخ، وأنماط هطول الأمطار) والتقنيات البشرية والممارسات الاجتماعية مثل تدجين النباتات والحيوانات والأسمدة.

يتم تركز الإهتمام على العلاقات المعقدة بين السكان والبيئة التي نعيش فيها والطرق التي يُشكل بها الإنسان البيئة، والعلاقات التي تشكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للسكان، وبصفة عامة تحاول تقديم تفسيرات مادية للمجتمع الإنساني والثقافة كنتائج للتكيف مع ظروف بيئية معينة والتي تركز على أن خصائص البيئة يجب ان يكون لها تأثير مباشر على التكيف الإنساني، أما الثقافة والقيم فما هي إلا وسائل بشرية للتكيف مع البيئة.

شُوهد في المحطة الأولى من ميدان الدراسة إيكولوجيا المنطقة، إذ ان موسم الصيف تكون درجات الحرارة مرتفعة جداً لتصل الى (٥٠°) درجة مئوية أو اكثر، وعندما يبدأ الناس بنصب السُرادِق او ما تُعرف بالمواكب والتي تتكون من الهياكل الحديدية مصممة بأشكال عدة، مغطاة بقماش سميك لتفادي أشعة الشمس ليبدأ العاملون في هذه المواكب بنصب أجهزة تبريد ومراوح، وتسخير كل الإمكانات التي تساعد الزائرين على التكيف مع الاجواء البيئية.

فالبيئة لم تُعد مظهراً طبيعياً، بل مظهراً إنسانيًا وثقافياً في الوقت نفسه ، ومن ثمَّ ليس هناك حتمية مطلقة صارمة، بل ان هناك إمكانية مرنة، وبما أن الإنسان هو سيد الطبيعة والمسيطر عليها فهو من يُحدد نمط إستغلال موارده البيئة، ويتحتم على الناس الإستفادة من تلك الموارد الموجودة في الطبيعة، ويمكن للتقنيات تعديل نوع وكميات الموارد اللازمة للبقاء على قيد الحياة وبناء علاقات إجتماعية، ويمكن أن تؤدي الزيادة والنقصان في التكاثر البشري إلى تعديل كمية الموارد المطلوبة.

في المحطة الأولى اتضحت إيكولوجة المنطقة والتي تقع في الجنوب الشرقي لمحافظة بغداد وتبدأ شمالاً متجهة إلى ناحية الجنوب، إذ يُعرف مناخ المنطقة بإرتفاع في درجات الحرارة ولا سّيما في شهر تموز وشهر آب وتراوحت فيها درجة الحرارة بين (٤٥°_٥٠°)، وتنقسم المدينة إلى عدة محلات ومناطق، أهمها الزعفرانية القديمة او ما تسمى بـ(العتيگة) الواقعة على المدخل

الشمالي للمدينة، ويقع في قلبها سوقٌ شعبيٌّ عامرٌ بالحركة، إضافةً الى مستشفى الزعفرانية العام ومركز شرطة الزعفرانية.

أما من الجهة المقابلة للشارع العام الذي يُقَسم منطقة الزعفرانية، فتقع منطقة سعيدة والتي تتكون من مجموعةٍ من البيوت السكنية ودور سميت بالجلود، كون الساكنين في هذه المنطقة موظفو الشركة العامة للصناعات الجلدية، ويوجد فيها ايضاً شقق عمودية تسمى "عمارات سعيدة" السكنية والتي شُيدت في ثمانينات القرن الماضي، وتقع بجوارها مزرعةٌ عرضها (٥٠٠) متر تقريباً تفصل منطقة سعيدة عن منطقة دور المعلمين الذي تتكون من مجموعةٍ من الدور السكنية بدءاً من ساحة الشهيد (رسول آلوس) مروراً بساحة الزعفرانية لكرة القدم فاصلاً بينها وبين دور سعيدة، وبِجانبِها تُوجد بناية المجلس البلدي، والمحلات مُقسمة في منطقة الزعفرانية الى (٢٢) محلة او قطاعات موزعة بترتيب وإنتظام، منها محلات زوجية ومنها الفردية، تبدأ من محلة (٩٥٠) وانتهاًء بالمحلة (٩٧٠) وهذه المحلات الزوجية والفردية يفصل بينهما شارع عام رئيس، أما مداخل المنطقة فأن فيها مدخلين رئيسين الأول يبدأ من تقاطع جسر بغداد الجديدة الذي يفصل منطقة الكرادة ومنطقة الدورة من الشمال ومن شمال الشرقي مدخل منطقة الزعفرانية، والمدخل الثاني الذي يبدأ من جسر ديالى القديم مروراً بمدخل المنطقة والذي يبلغ طوله ما يقرب (١٥) كيلومتر.

المحطة الثالثة بعد إزدياد المواد التي تم التبرع بها من الناس والعتبات وميسوري الحال واصحاب المحال التجارية، تم تخصيص مساحة (مكان) "قاعة وموكب اهالي الزعفرانية للمناسبات الدينية"، لجمع المساعدات والتبرعات بكل اشكالها واحجامها المختلفة، تم تقسيم المكان المخصص للمساعدات كلاً حسب المادة ونوعِها بشكل منتظم، على سبيل المثال الأموال التي تُعطى هبات للعائلات المحتاجة مُخصص لها مكان وتكون بمسؤولية لجنة خاصة لها التصرف بها وفق ما يرونه مناسباً.

المواد الطبية كإن تكون علاجات وكمامات او كفوف (قفازات)، ايضاً خُصص لها مكان لحفظها من التلف، وهذه المواد مسؤول عنها الصيدلاني عباس وهو طالب مرحلة رابعة جامعة بغداد تخصص صيدلة مع مجموعة من المتطوعين، وموادٌ اخرى كهربائية مثل المبردات ومراوح وأجهزة تبريد وبرادات ماء وغيرها تم تخصيص مكان لها ايضاً، وقسمٌ آخر خاص لحفظ المطهرات والمعقمات والديتول، والقاصر، مع مرشات كبيرة وصغيرة، هذه ايضاً مسؤولة عنها لجنة التعفير والتعقيم، إذ تقوم اللجنة بتعفير المحلة والبيوت القريبة والشوارع والأماكن كالمقاهي والمحال التجارية وغيرها، كل يومين اذ يكون التعفير راجلًا، في هذا الجانب او المستوى البيئي تم تقسيم وتخصيص مكان لحِفظ المواد، تم تسخير الأرض وتوظيفها وفقاً للجانب البيئي الذي تُعد الارض الجزء الهام والاساسي فيه، وفي المحطة الثالثة نفسها والكلام عن وقت عمل اللجان المخصصة لتوزيع الهبات إذ يبدأ فيه العمل من الساعة (٣ ظهراً) الى وقت صلاة المغرب ليستريحوا قليلًا ومن ثم يُستأنف العمل مرة ثانية ليبدأ من بعد صلاة المغرب الى الساعة (١١ ليلاً) تقريباً، على الرغم من منع التجوال المقرر من القوات الامنية وخلية الازمة إلا انهم مخولون بالتجوال حتى في ساعات متأخرة من الليل وذلك بموافقة اللجنة الامنية من الشرطة الاتحادية وكذلك الموافقة من خلية الازمة.

المحطة السابعة ومع إقتراب نهاية شهر رمضان ولا سيّما اليوم الأخير، يبدأ غالبية الناس من الصعود على مكانات مرتفعة او من على أسطح الدور، مشرئبة اعناقهم نحو السماء، وآخرون متجمهرون في الطرقات وعيونهم تتأمل ظهور هلال شهر شوال، وكلهم في حالة تأهب وترقب لمشاهدة هلال شهر شوال، فهم أمام أمرين إما الإفطار بعد ثبوت رؤية هلال شوال أو الصوم لليوم الثلاثين المكمل لشهر رمضان، لتبدأ الجوامع والحسينيات بالتهليل والتكبير إعلامًا منها بتوديع شهر رمضان وبداية ليوم جديد من أيام عيد الفطر المبارك الذي تستهله العائلات بالأدعية الخاصة والعامة، وتبادل التهنِئة، وتقوم بجمع اموال (زكاة الفطرة) لكل فرد، وتهبها

لمستحقيها من عائلات متعففة، تيمنًا بالمأثور الوارد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: الفطرة واجبة على كل من يعول.

المبحث الثاني (تقسيم البيانات)

البناء (الهيكل)

يتألف البناء او الهيكل من المجموعات البشرية والمنظمات المسؤولة عن إنتاج وتخصيص الإحتياجات جميعها البيولوجية والنفسية لسكان المجتمع، والتسلسلات الهرمية الموجودة في الهياكل الاجتماعية جميعها ، ويُشير البناء او الهيكل الاجتماعي الى أنماط السلوك الفعلي، بدلاً من الصور أو التصورات الذهنية حول تلك الأنماط وما يفعله الناس في الواقع، وليس ما تقوله أو تفعله، ويجب على المجتمع كله الحفاظ على علاقات آمنة ومنتظمة بين شعبه والجماعات المكونة له، ومع المجتمعات المجاورة، وقد قَسم مارفن هاريس الهيكل الاجتماعي الى جزأين: (الاقتصاد السياسي)، و(الاقتصاد المنزلي)[1]. ففي هذا المبحث نحاول استعراض ادوار الجنسين المتمثل في الرجل والمرأة والأدوار العمرية وتنظيم الأسرة وما شكلته من جوانب تنظيمية للثقافة مثل الانساق، والتي تتمثل في إحدى وظائف البقاء الضرورية التي يجب على كل مجتمع القيام بها في الحفاظ على علاقات منظمة وآمنة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المجاورة، والشكل الآتي يوضح هذه التقسيمات.

---

(1) . Dr. Frank W. Elwell,p,3.

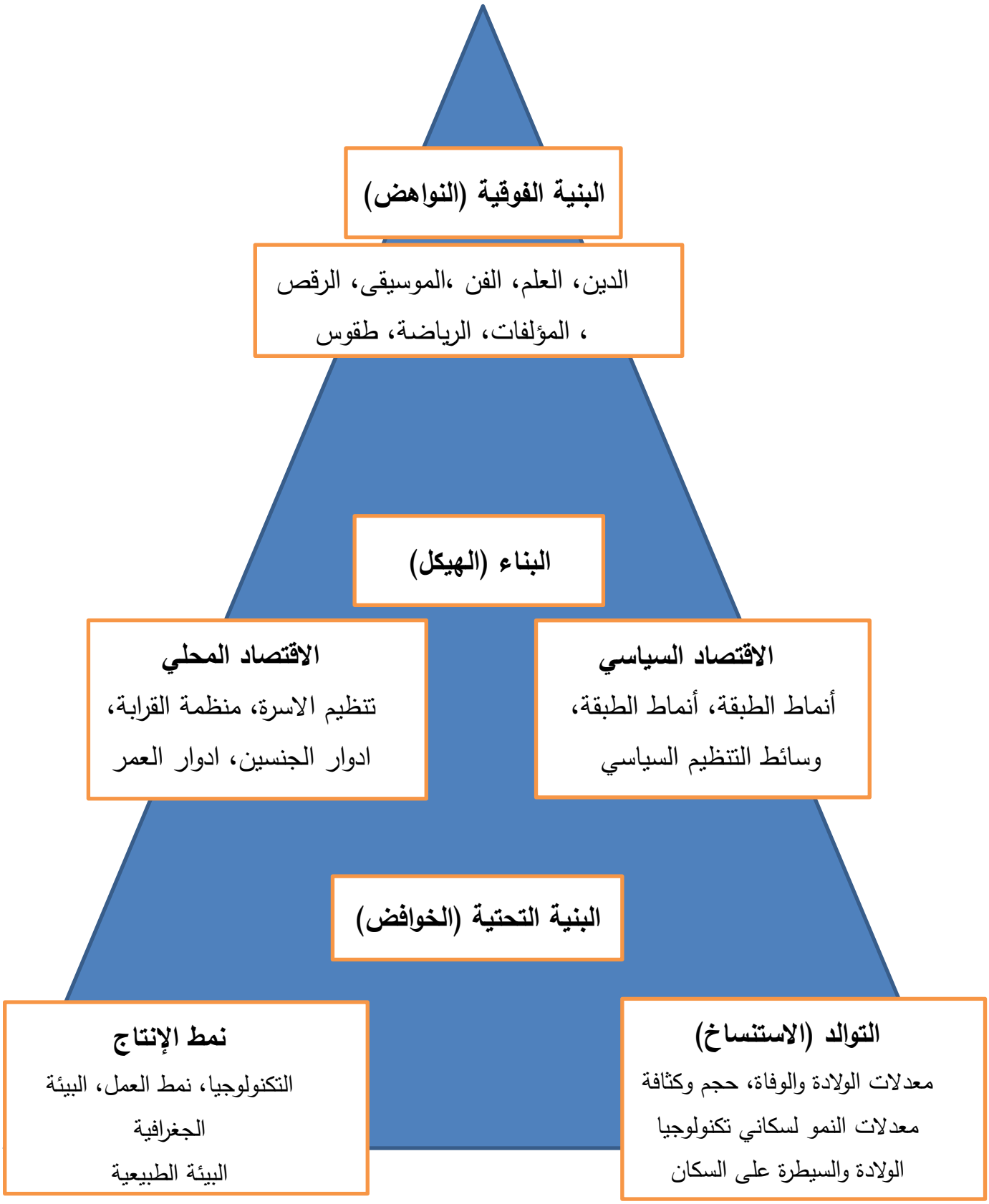
البنية الفوقية (النواهض)
الدين، العلم، الفن ،الموسيقى، الرقص ، المؤلفات، الرياضة، طقوس
البناء (الهيكل)
الاقتصاد المحلي
تنظيم الاسرة، منظمة القرابة، ادوار الجنسين، ادوار العمر
الاقتصاد السياسي
أنماط الطبقة، أنماط الطبقة، وسائط التنظيم السياسي
البنية التحتية (الخوافض)
نمط الإنتاج
التكنولوجيا، نمط العمل، البيئة الجغرافية
البيئة الطبيعية
التوالد (الاستنساخ)
معدلات الولادة والوفاة، حجم وكثافة
معدلات النمو لسكاني تكنولوجيا
الولادة والسيطرة على السكان

في محطة آخرى من الدراسة بادرت مجموعة من الشباب بحملة واسعة في منطقة الزعفرانية من خلال تشيكل لجان منظمة ومقسمة على المحلات جميعها هدفها تقديم الخدمات للعمل مُقسمين الى مجموعات موزعين على محلات المنطقة ومن خلال تجوال اللجان المسؤولة عن التبرعات في المحلة والاستعانة بمختار كل محلة وبعض الشباب من اجل إحصاء كل العوائل في المنطقة ممن تشملهم هذه المساعدات والتأكيد على تسجيل اسمائهم في سجل خاص من اللجنة المكلفة بهذه المحلة والتأكيد على البطاقة التموينية وعدد افراد العائلة، خلقت حالات إنسانية من خلال تلبية الاحتياجات النفسية والمادية للعائلات غير القادرة على إعانة نفسها.

إنطلقت حملة آخرى في محلة (٩٥٠) بمبادرة كل من حجي وليد الأسدي يبلغ من العمر (٤٨) سنة، وهو موظف في مستشفى الزعفرانية، إذ يعمل بتوزيع المساعدات على العائلات بعد استراحته من العمل في المستشفى وهو مسوؤل عن تسجيل اسماء العائلات، وسلام اللامي (ابي مريم) موظف في وزارة النفط يبلغ من العمر (٤٤) سنة يقوم بدور التوزيع وإيصال العطاء الى منازل العائلات، ودكتور ثائر البصيصي دكتوراه في التاريخ يبلغ من العمر (٤٠) سنة يعمل أُستاذ تاريخ في مدرسة متوسطة النجاح للبنين وظيفته توعية المواطنين وإيصال المواد للعائلات، وصلاح ابو زينب وهو موظف يعمل سائقًا في دائرة البلدية يقوم توزيع المساعدات في سيارته الخاصة نوع (تويوتا حمل بيضاء اللون) وحجي علي زيارة صاحب محل جملة للأغراض المنزلية في سوق الزعفرانية يبلغ من العمر (٣٨) سنة، وقد تبنى نقل المواد بسيارته الخاصة ايضاً، وهم يتنقلون بين المحلات بموافقة ومساندة الجهات الامنية في المنطقة .

في المحطة الأولى لم يقتصر دور النساء على جمع التبرعات فحسب، بل يشاركن في تحضير المواكب وإقامة المجالس الخاصة بالنساء، وتوزيع الطعام وإستقبال النساء الزائرات القادمات من المحافظات البعيدة ومبيتهن في البيوت، وهذا الفعل الذي تبنته النساء خلق علاقات بين النساء على المستوى القريب والبعيد المتمثل بالنساء الزائرات القادمات من محافظات الوسط والجنوب، وبين النساء اللواتي يتواجدن في السُرادِق المواكب من ابناء المنطقة هذا على مستوى

البناء، أما على المستوى الفكري فقد تعددت وظائفها من خلال الاعمال التي أوكلت بها، بعد ما كان يقتصُر عملها على جانب واحد.

وللرجال حظٌ ايضاً في جمع التبرعات من الأصدقاء والمُقربين، إذ يتم إعطاء التبرعات الشهرية على مدار العام؛ كونهمُ المنظمين لعملية التبرعات ومن خلال اشتراكهم وإنضمامهم الى موكب في منطقتهم، وهذا التفاعل بين الافراد الفاعلين أنتج لنا ما يُسمى بالعلاقات الاقتصادية والتي عادة ما تكون محدودة ومرتبطة بالمناسبات الدينية والممارسات التي يؤديها الافراد خلال السنة.

يتبرع بعض أهالي المنطقة بما يتسير لهم من مواد غذائية او بعض الحلويات والمعجنات كأن يكون تمراً او ما يُعرف بـ(كعك بالدهن) وعائلات أخرى تَهبُ للزائرين وللمواكب العصائر والمياه المعدنية، هذا العمل يؤدي الى بناء جسور التعاون بين العائلات وبين اصحاب المواكب التي تنشأ فيما بينهم بعلاقات هدفها تقديم افضل الخدمات للضيوف.

في اوقات الظهر وبعد صلاة الظهرين يتوجه المتطوعون للموكب لتجهيز وجبة الغداء، اذ يقومون بطبخ الرز والحساء (التمن والمرق) كأن تكون بقوليات مثل الفاصولية أو القيمة أو ما يسمى بـ(التبسي)، وبأيام متفاوتة، في بعض الاحيأن يكون الغداء شوي (كباب لحم) أو دجاج حسب المتوفر أو عمل (شاورمة)، في المواكب وتم ملاحظة حالة قد تُلفت الإنتباه وهي المساعدات العينية بين المواكب أو من خلال عملية تبادل المواد بين موكب وآخر بعد أن تنفد إحدى المواد الاساسية كأن يكون الصمون أو الخبز أو مادة الزيت أو الفاكهة أو اي شيء آخر، وهذا يشد التآزر والتلاحم بين الناس ولا سيّما العاملين.

تتسابق العائلات على مبيت الزائرين والتواصل مع اصحاب المواكب لجذب الزائرين الى بيوتهم وذلك تبركًا بهم، اذ تقوم العائلة بغسل ملابس الزائرين وكيّها وتعطيرها، وتقديم كل ما يسرهم، وعند صلاة الصبح يقوم الزائرون بتأدية الصلاة والتوجه مباشرة لإكمال مسيرتهم

متوجهين الى زيارة الامام موسى بن جعفر(عليه السلام)، هذه الاعمال وطدت علاقات مع زائرين من خارج العراق بعد ان حلوا ضيوفًاعلى المدينة.

لجأت بعض النساء الى عمل مجموعات من نساء المحلة والاقارب داخل المنطقة والاتفاق على مساعدة الرجال في مهامهم المكلفين بها، والمبادرة بخياطة الكمامات وتوزيعها على العائلات المحتاجة من خلال ما يتوافر لديهن من قماش ولا سيّما يُستعمل في المستشفيات او ما يُعرف بـــ(الشرشف) الذي يضعونه على سرير المريض، يتم شرائه من الصيدليات والمذاخر الطبية.

بدأت الحملات بمساعدة ومساندة العائلات، إذ بادرت بعض النساء بالإتفاق مع النساء اللواتي يمتهَن الخياطة او ممن تجيد الخياطة او تمتلك ماكنة خياطة، بحملة واسعة من خياطة الكمامات وتوزيعها على العوائل التي لا تستطيع شراءها وتوزيعها على الناس، مما أدى الى تأسيس منظمات طوعية من النساء على المستوى المحلي والذي اشارت اليه المادية الثقافية على مستوى البناء او الهيكل.

د. ثائر عبد العزيز البصيصي البالغ من العمر (٤٠ سنة) قام بحملة توعوية لأبناء المنطقة، إذ قام بنشر بوسترات تعليمية توعوية تبين كيفية تعقيم وغسل اليدين وعدم مصافحة الناس والتكلم معهم عن قرب خوفاً من إنتقال وإنتشار الفيروس بعدما بات وباءً عالميًا بتصنيف منظمة الصحة العالمية، إنظم لهذا العمل عدد من المتطوعين في دعمهم لهذه الحملة التوعوية والعمل على تعقيم محلة الدور والمحال بمادة مطهرة، هذا العمل يساعد على إنضباط الاشخاص والإلتزام بمقررات الصحة.

في المحطة الرابعة من الدراسة الميدانية شاركت المدرسة التقدمية بحملة (# لأجل_سلامتك_خليك_بالبيت) بمشاركة تلاميذ المدرسة لفئة معينة من العمر والدور المهم الذي تبنته هذه الفئة من الاطفال وبدعم من ادارة المدرسة بجمع التبرعات من الاساتذة وشراء مواد صحية شملت معقمات وقفازات (كفوف) وايضاً (كمامات) واثناء حملة التجوال بين الاحياء

السكنية في المنطقة، قاموا بنشر بوسترات توعوية وصور كارتونية لصغار وهم يقومون بغسل اليدين وتعقيمهما.

في المحطة السادسة نوع من الرجال تبنوا فكرة تصنيع جهاز إعطاء الاوكسجين وبجهود ذاتية وبكلفة رمزية، من خلال تجميع بعض الأدوات التي تدخل في صناعته، بعد ان كثر استعماله ولا سيّما المصابين بجائحة كورونا والذين يعانون من ضيق في التنفس، من جهة اخرى ارتفاع اسعار الجهاز في الصيدليات والمذاخر الطبية بسعر قد تجاوز الـ(٥٠) الف دينار، وهذا ما لا تستطيع عليه اغلب العائلات من شرائه بسبب ارتفاع السعر، اضافة الى شحة الجهاز بعد أن زاد الطلب عليه في المستشفيات، هذا العمل فتح آفاق المساعدة على مستوى المستشفيات الحكومية والتواصل مع الناس في بعض المحافظات الجنوبية وتكوين علاقات عمل.

في المحطة السابعة التي أُدرجت تحت مسمى مراسم العيد وقد أعتاد الناس في اليوم الاول من عيد الفطر المبارك وبعد الرجوع من صلاة العيد في الجامع او الحسينيات تبدأ زيارة بيت الوالدين والبقاء هناك لتناول طعام الغداء، ثم معايدة الأقارب والأرحام ومن ثم الأصدقاء، وتكون فرحة الأطفال كبيرة بعيدية الأب والجدّ والجدّة والأعمام والأقارب.

اما ما يخص انماط السلوك الذي يفعله الناس وفق البناء او الهيكل للمادية الثقافية فهو:

يتأهب الناس عند دخول شهر رجب لأعمال تطوعية يتقربون بها إلى الله تعالى ولاسّيما الاستعداد للزيارة الرجبية (زيارة الامام الكاظم عليه السلام) التي توافق يوم (٢٥) رجب، فيبدأون بتهيئة وتحضير مواكب خدمة الزائرين، وجمع واستقبال التبرعات التي تدعم مواكب الخدمة.

عملية جمع التبرعات تتم من خلال تجوال النساء في المنطقة، كونها تبادر قبل الرجل ومنذ بدايات شهر رجب ولا سيّما الأيام الأولى من الشهر، إذ يتجولن منذ وقت الصباح الى غروب الشمس، بين الدور وأفرع المنطقة لجمع الأموال من المتبرعين، كلٌ حسب امكانياته المادية ومن غير اجبار لهم؛ لإنهم يتبرعون لنيل الأجر والثواب وقبول الاعمال.

كما تبدأ عملية نصب الخيم (الهيكل) التي تحتاج الى "فزعة" من الشباب الذين يبلغ عددهم (٧-٨)، أو اكثر و يتم نقل الاغراض والنصب في الشارع الرئيس للمنطقة (شارع المواكب) الذي تتم فيه نصب الخيم .

احد المتطوعين العاملين في الموكب وظيفته جمع التبرعات العينية (الرز)، اذ يقوم بالتنقل بين محلات أو اصحاب وكالات المواد الغذائية (الحصة التموينية) لشراء اكياس الرز، اذ يجمع كل سنة ما يقرب (٢٠) كيساً من الرز أو من خلال تبرع الاهالي بحصتهم التموينية، إذ يقوم بجمعه ووضعه في سيارة حمل ونقله الى مطحنة في منطقة الشعلة لطحنه حتى يصبح دقيقًا (طحيناً) وهذا ما يُستعمل في عمل السيّاح

تقسم مهام العمل والتحضيرات على مؤسسي المواكب، وقد يشاركهم ايضاً عدد من البيوتات كإن تكون مشاركتهم بثرم اللحم كي يعملوا منه (كباباً مشوياً) يوزع على الزائرين وجبة غداء أو مشاركات اخرى كعمل حلويات مثل (الكاستر أو المحلبي أو تمر بالسمسم على شكل دوائر صغيرة بعد اخراج النواة منه) هذه المشاركات من قبل الناس كعطاء منهم وتبرع للموكب كإن يتم التبرع بمبلغ من المال، أو أي مواد اخرى يستفيد منها اصحاب الموكب، الأمر الذي جعل من هذه المشاركات تطور العلاقات بين الناس وإتساع نطاق المشاركات والتبرعات.

المبحث الثالث: البناء الفوقي

في هذا المبحث نحاول ان نُبين تقسيمات البناء الفوقي من الدراسة الميدانية الموضحة على شكل محطات أشتملت على القيم والجماليات والقواعد والمعتقدات والرموز والطقوس الدينية والفن، والرياضة، والفولكلور، وغيرها من المنتجات الجمالية بما في ذلك الموسيقى والرقص والأدب والإعلان والألعاب والهوايات وممارسة العلوم، وتشتمل البنية الفوقية والعقلية التي يفكر بها أفراد المجتمع ويصوِّرون ويقيمون سلوكهم، من الأمثلة على ذلك الأيديولوجية الدينية (صور رمزية أو تمثيلات لها قيمة جمالية أو عاطفية أو فكرية)[١].

ويفترض مارفن هاريس أن هذه الفئات العقلية تعمل فعليًا بالتوازي مع العناصر السلوكية للهياكل الاجتماعية – أي أن هناك أنظمة المعتقدات التي تعمل على تبرير وتشجيع السلوك في كل مكون من مكونات المجتمع الثلاثة ومع ذلك، ومن أجل البساطة فالذين يعنيهم هو الهيكل الفكري الذي يعني، الأهداف الإدراكية الواعية وغير الواعية والفئات، والقواعد، والخطط، والقيم، والفلسفات، والمعتقدات المتعلقة بالسلوك الذي يستنبطه المشاركون أو يستنتجه المراقبون[٢].

في المحطة الأولى اوضحت الدراسة كيفية إستعمال اللحم في الوجبات الغذائية التي توزع للزائرين، وتُعد مادة اللحم أنموذجاً مستعملاً في الطبخ، بعد ان تحول من مستواه الأول المادي الى المستوى الثاني (البناء او الهيكل) ليُشكل علاقات بين بائع اللحم (القصاب) والراعي او مالك الحيوانات وبين المتبرع، ومن ثم الانتقال او الصعود الى البنية الفوقية (النواهض) ليكّون نموذج أُطلق عليه فكرة الثواب.

في المحطة عَينهُا شهد سوق المنطقة حركة اقتصادية؛ نتيجة زيادة الطلب على المواد التي تستعمل في المواكب مثل المواد الغذائية والحديد الذي يدخل في بناء الموكب (الهيكل) وبعض المواد الكهربائية كالإنارة والطباخات وشوايات الكباب (المنقلة) والفحم وكذلك شوايات

---

(1). Marvin Harris, Cultural Materialism,p.66.

(2). Ibid,p.69.

السياح، وشواية الشاورمة، والسكاكين والشفرات وغيرها من المواد التي تدخل ضمن احتياجات الموكب، هذه المواد التي يتم شراؤها من محال الكهربائيات والحَداد الذي جهز مواد الشوي والهيكل الحديدي، بعد التحول الى مستوى البناء في المادية الثقافية تشكلت علاقات بين بائعي المواد وبين المشتري ومن ثم الانتقال الى المستوى الثالث الا وهو النواهض او ما يُعرف بـ البناء الفوقي ليخرج لنا أنموذج الوقفية او ما يطلق عليها (أغراض او حاجات الإمام).

اما على مستوى التبرع بالاموال بعد ان عُدت هذه الاموال من التوالد إعادة انتاج، بمعنى بدل ما كانت الناس تتبرع بمواد عينية خام مثل الحبوب او ماشية، تحولت هذه المواد العينية الخام بفعل التكنولوجيا، عند التحول الى مستوى البناء لتشكل بناء علاقات بين المزارع والناقل والمشتري، لتتحول بمستواه الفكري لتصبح اموالاً نقدية، من خلال التكنولوجيا يمكن تسخير الطاقة واستعمالها لإشباع الحاجات، ولا سيّما المواد الخام التي يتم تحويلها بفضل التكنولوجيا الى نقود (اموال) يتم التعامل معها وفق عمليات البيع والشراء في السلع، وتداولها بين الناس من خلال تقنينها الذي يُجيز للناس التعامل بها .

في المحطة الثانية تم رصد إجراءات المادة التي تدخل في عملية سحب ونقل الدم من خلال التبرّع عن طريق جمعه في كيس طبي يحتوي على مادة مانعة للتجلط متصل بإبرة معقمة ذات الإستعمال الواحد، يتم التوصيل من الوريد في ذراع المتبرّع، وعلى مستوى البناء تشكلت علاقات بين الواهب او المانح وبين خازن الدم، وبين الاشخاص المحتاجين، ومن ثم الانتقال الى المستوى الأخير المتمثل في البنية الفوقية والذي اخرج لنا فكرة مصرفاً للدم.

ما زلنا في المحطة نفسها والحديث عن التكنولوجيا المتمثلة في جهاز الهزاز المستعمل لقياس وزن الدم داخل الكيس المخصص، والسرير الخاص للمتبرعين هذه المادة بعد التحول الى المستوى الثاني والمتمثل في العلاقات بين صانع هذه المواد والتاجر والمستورد والفريق الخاص في المؤسسة الصحية لتصل الى فكرة المنح.

ما زلنا في المحطة الثانية وموضوع آخر حول المواد (الأدوية) والتي تُصنع بمصانع متخصصة، تكون وفق مسميات تستعمل لبعض الامراض سواء كانت مزمنة او عادية مثل (ديوفان Diovan، وكابوتين–Capoten، والاسبرين – ASPIRIN، A–Z VITAL، والمثبت ومقويات للحمل...) هذه المسميات وفق قراءتها مع البناء تنتج علاقات بين المُصِنع والمستورد والمشتري، بعدها يتم الانتقال الى المستوى الفوقي المتمثل بالنواهض والذي اخرج وفق أنموذج التراكيب الكيميائية.

محطة اخرى بينت مسألة التبرع بالدم والتي كانت مقتصرة على فئة الشباب، بسبب العامل الأساسي الذي تتمتع به هذه الفئة من قوة ونقاء الدم والحيوية والطاقة الجسمانية والتي تدخل ضمن مستوى التوالد، ومن ثم بعد التحول الى المستوى الفكري تتبين بأن هذه الفئة من الشباب لها القدرة والقابلية على ان تهب في اي وقت.

في المحطة الاولى اوضحت دور النساء في عمليات التنقل لجمع التبرعات العينية، ومشاركتهن في توزيع الطعام وإستقبال النساء الزائرات القادمات من المحافظات البعيدة ومبيتهن في البيوت، وهذا الفعل الذي تبنته النساء خلق من هذا الفعل علاقات على مستوى البناء، اما على المستوى الفكري فقد تعددت وظائفهن من خلال الاعمال التي وُكلت بهن، بعد ما كان يقتصُر عملهن على جانب واحد فحسب ليتضمن فكرة الاعتقاد بهذه الممارسة.

في المحطة السادسة تبنت مجموعة شباب تصنيع جهاز أعطاء الأوكسجين بمواد محلية خام ومن اجهزة قياس تستعمل للتبريد او اللحام (الولدن) و انبوب بلاستك خام الذي تستعمله مصانع البلاستك بعد شرائه من الاسواق، هذه المواد شكلت علاقات بين المُصنع والبائع والمشتري لتخرج لنا فكرة الحياة الذي وضفت فيها التكنولوجيا لتُسهم في تصنيع جهاز إعطاء الاوكسجين.

في المحطة الأولى من الدراسة الحقلية ظهرت لنا المادية بمستويين: المستوى الاول بينت على اساس المادي والثاني ظهرت على مستوى الاشخاص الذين تبنوا فكرة تأسيس المواكب،

ايضاً شملتهم التحولات وذلك عن طريق عملية التوالد او الاستنساخ بعد ما كان العدد يَقتصرُ على ثلاثة اشخاص فقط، ومع مرور الوقت ونتيجة هذه التحولات اصبح عدد الاشخاص يزداد ليصل الى (٥٨) من الرجال والنساء، هذا على المستوى المادي، اما على مستوى البناء فقد كانت العلاقات واضحة في مدى التفاعل والتنظيم وتقسيم العمل، ومن ثم التحول الى الفكر او البناء الفوقي ليظهر لنا أنموذج هيأة المواكب.

في كل المحطات السابقة من الدراسة التي استطاعت ان تشخص المسائل المادية بعد ان تمت معالجتها ثقافياً، والتي اتسمت فيها التكنولوجيا وأستعمالاتها لرسم الطاقة والمواد الخام من البيئة لإجل تلبية متطلبات الكفاف، في المحطة الخامسة التي بينت مسألة البحث عن الارض وإستغلال جزء منها لتوظيفها، بعد ان جُمعت المواد الخام مثل الرمل والحصى والاسمنت لتشييد دار سكنية، هذه المواد الخام انطوت تحت المستوى الاول والتي شكلت تفاعلاً بين العاملين والواهبين لينتقل الى مستوى العلاقات في الهيكل والتي تمت قراءتها وفق المستوى الفوقي ليتضمن فكرة العطاء او الهبة.

الخاتمة

شهدت العقود الأخيرة من القرن المنصرم تقدماً ملموساً في الانثروبولوجيا كمدخل منهجي وكعلم لدراسة الانسان، وانعكس ذلك التقدم في تطور وسائل البحث فيه، وفي تنوع مجالات الاهتمام، وفي هذا الصدد تطرقت الانثروبولوجيا بفروعها الى بحث ودراسة الكثير من القضايا التي تتعلق بالأنسان، سواء في مجال الصحة او السياسة او التعليم او التنمية الاجتماعية او التحضر او الاقتصاد.

ويتسق ذلك الاتساع في نطاق البحث ومسؤولية الباحثين في هذا العلم نحو التصدي لقضايا الانسان المعاصر بعد ان ظلت حبيسة في بداية توجهاته ولسنوات طويلة بدراسة الجماعات المعزولة، وبالأعتماد على وصف حياة هذه الجماعات بالتركيز على عوامل السكون لطرق وأساليب الحياة التقليدية التي تعيشها تلك الجماعات، وقد اقترن ذلك بنشأتها ومسماها ومجال اهتمامها بهذه المجتمعات.

والجدير بالذكر ان الكثير من الفروع الحديثة في الانثروبولوجيا لم تنشأ من فراغ، وإنما نشأت في اطار جهود علماء الانثروبولوجيا وسعيهم الدائم والحثيث نحو إعادة طرح الكثير من الافكار والمسلمات في مجال علوم الإنسان والتي كانت قد صيغت في أطر اجتماعية متباينة، ومن ثم تعثرت او بالأحرى ظلت قاصرة على فهم الاشكال او النماذج الاجتماعية.

ومع هذا التطور الزمني ظهرت توجهات انثروبولوجية معنية بدراسة الاشكال او النماذج الاجتماعية، فقد استعمل الباحث في دراسته الموسومة "الهبات العينية دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد" .

لقد حاولت الدراسة وفقاً للتساؤلات التي عرضتها في الفصل الأول، والتي اتسمت فيها الهبات بالكم اي انها كمية وفي زيادة مستمرة، وتتصف ايضاً بدوام الاستمرارية وهذه الاستمرارية ظهرت نتيجة الاحداث والظرفيات التي طرأت على مجتمع الدراسة، وصفة الاستمرارية هي المواد

التي يجب ان تكون مادية، اذ يتم تداولها على وفق حياتنا اليومية، هذه المواد اتصفت بالاستمرارية لأنه يتم وهبها ومنحها ويمكن تداولها وتهيأتها بين الناس.

١. اما كيف يمكن انتاج الهبات؟، فذلك من خلال التأكيد على أن الظروف المادية (البيئية والاقتصادية والتكنولوجية) هي التي تشكل الفكر وتحدد مستواه وطبيعته، وتُعد العامل الرئيس في التطور الثقافي والاجتماعي، ومن ثم لا يمكن فهم وتفسير العناصر الثقافية للحياة الاجتماعية إلا بالرجوع الى تلك الظروف، وإن هذه الظروف المادية للمجتمع في إنتاج وإعادة إنتاج وسائل الوجود الإنساني هي الطرق التي يعيش بها البشر، ونتيجة التحولات التي طرأت بدأ انتاج الهبات على اساس هذه الظروف.

٢. اما كيفية الحصول عليها، وذلك من خلال صفة الاستمرارية ونتيجة الاحداث والظرفيات والمناسبات ونتيجة التحولات التي طرأت على التكنولولجيا والاقتصاد والبيئة، انحصرت مسألة الحصول على هذه الهبات المادية، اما ما يخص الآلية التي يتبعها الناس في الهبات، فالظرفية هي التي ساعدت وحددت إتباع طريقة معينة لتوزيعها على الناس، وهذه الآلية قد تم شرحها في الفصل الرابع ميدان الدراسة.

٣. فيما يخص المكانات والأدوار الفاعلة في عملية التبرع، فقد توصلت الدراسة الى ان هناك تكافؤ في الادوار من قبل الفاعلين اي الذين يهبون الاشياء المادية وهذا على مستوى الجنسين من الذكور والإناث فعلى مستوى الذكور فبينت الدراسة على ان غالبية الذكور يتمتعون بمراكز مهمة وبالتالي هذا لا يمنعهم من ممارسة دورهم كفاعلين في المجتمع من ان يهبوا.

هذه الأدوار التي تشكلت من قبل الفاعلين الاساسيين في الدراسة قد بينت مكانة كل واحد من هؤلاء الفاعلين والوظيفة المخصصة له والدور الاساسي في عمليات التبرع .

٤. اجتهدت الدراسة في معالجة احد الموضوعات الحيوية في مجتمع الدراسة والتي لم تنل الاهتمام الكافي من قبل الباحثين، ان للهبات رمزية عالية وهي من اكثر الموضوعات ارتباطاً بواقع الحياة الاجتماعية.

٥. توصلت الدراسة الى نتيجة، وهي ان التبادل الرمزي للهبات يلعب دوراً اساسياً وهاماً ليس فقط على المستوى المجتمعي، بل على المستوى الشخصي متمثلاً في العلاقات بين الذات والآخر، وهذا المستوى الشخصي ذاته هو محور أساسي في عملية التفاعل الاجتماعي طالما انه يتضمن على الاقل شخصين يدخلان في عملية التبادل الرمزي.

٦. توصلت الدراسة على ان الهبات تتسم بالدورية والسنوية والشهرية والاسبوعية كما في المناسبات الدينية والثقافية، وهذا يرتبط بالإحياء السنوي للاحتفال بهذه المناسبات التي يتبادل خلالها الأفراد الهدايا، وتتسم بالظرفية في المناسبات الاجتماعية والمجاملات لأنها مناسبات أو وقائع لا تتكرر بصفة منتظمة، فالمناسبات التي يحتفل بها الأفراد تتسم بالدورية إما أن تكون سنوية أو ظرفية أو يومية.

كما وقد توصلت الدراسة الى أن المجتمع مكون من أجزاء مترابطة وظيفياً، عندما تتغير إحدى هذه الأجزاء يجب أن تتكيف الأجزاء الأخرى مع هذا التغيير، إذ لا يمكن النظر الى نظام الملكية بمعزل عن أجزاء أخرى من نظام التبادل.

ان موضوعة اجزاء الهبات تغيرت نتيجة تغير بُعدي الزمان والمكان ونتيجة للظرفيات التي طرأت عليها، هذا التغير قد أصاب بقية الأجزاء لهذا تعددت أشكال الهبات، فقد غيرت من مفهوم الهبة الاساسي أو كانت تتصف بالطوعية، اصبحت بعد التحولات ونتيجة التغيرات اقرب الى ان تكون الهبات إلزامية.

فمن خلال عرض وتحليل معطيات الدراسة الميدانية فقد توصلت الى مجموعة من انواع وأشكال العطاء "الهبات" بعد أن طرأت عليها بعض التغيرات فظهر ما يُعرف بأشكال الهبات التي تشكلت على وفق هذه التغيرات، ونتيجة التحولات التي طرأت

توصلت الدراسة الى ظهور اشكال الهبات بصيغ متعددة نتيجة التغير الحاصل على المستويات التكنولوجية والاقتصادية والبيئية، إذ بينت حركة السوق الاقتصادية ونتيجة زيادة الطلب على المواد الاساسية التي تستعمل في عدة أماكن ظهرت هذه الأجزاء متمثلة بالمواد التي

تمثلت بالحديد والكهربائية والصحيات والاغطية وغيرها من المواد المادية التي تدخل في احتياجات السَرادِق، الذي كان فيها السوق يتصف بالنفعية، ونتيجة إتساع اشكال الهبات فقد ازالت هذه النفعية .

بَرزّت الدراسة نوعية الهبات التي تمثلت بالجهد المبذول جسدياً ومدى نسبة العطاء الذي كان يُقاس بالطاقة، ونتيجة التحولات التي طرأت عليها ظهرت اشكال الهبات التي اشتملت على قيام جماعات من افراد الدراسة التبرع بالدم، ومن هذه الاشكال ظهرت الاجزاء التي هي عبارة عن مكونات تكنولوجية واقتصادية تمثلت بالمواد التي تُستعمل في عملية التبرع كأن يكون كيس مصنوع من مادة البلاستك يوضع فيه الدم، أو جهاز الهزاز المستعمل في حساب وزن الدم والمواد الاخرى التي تدخل في عملية التبرع بالدم.

كما خلصت الدراسة بظهور نوع آخر من الهبات تمثلت باللحوم بعدما كانت في الاساس مقتصرة الى حد ما على النحر اي ذبح الماشية، من خلال التحولات التي إستجدت برزت اشكال من الهبات تمثلت بلحوم البقر او الغنم او الأبل او لحوم الدجاج والسمك، والتي ظهرت بالأجزاء من خلال المكونات التكنولوجية .

هناك نوع آخر من الهبات تمثل في المواد الطبية (علاجات) بعد ان كانت مقتصرة في توزيعها على المؤسسات الحكومية كالمستشفيات والمراكز الصحية، بعد التحولات التي أستجدت عليها ظهرت اشكال أخرى بشكلها ومسمياتها الكيميائية (جانوميت، كابوتين، الايبكس..).

بينت نتائج الدراسة نوعاً آخر من الهبات تمثلت بمواد عينية تمثلت بجهاز اعطاء الاوكسجين، ونتيجة الحاجة الماسة والظرفية التي اجبرت الناس على تصنيع كل ما يدخل في سد احتياجاتهم والتي ظهر بها هذا الجهاز بأن تكون هناك تحولات طرأت عليها بعدما كانت هذه المواد مقتصرة على فئات محددة ومصانع خاصة، كما آلت للتغيرات التكنولوجية ظهرت اجزاء الهبات مقتصرة بالتبرع بقناني غاز الاوكسجين وملئها في معامل خاصة، تحولت هذه المواد الى

شكل جديد من اشكال الهبات بدافع الحس والشعور بالمسوؤلية لتتحول الى هبة بشكل آخر، فالهبة ما عادت مسألة عينية فحسب، بل اخذت مسارات اخرى لتظهر لنا اشكال اخرى للهبات.

نوع آخر للهبات تمثلت بالاشخاص الذين يهبون عملهم وطاقتهم تطوعًا للزائرين، وكان هذا شكل آخر من اشكال الهبات، بعدما اقتصر على عدد قليل من الاشخاص العاملين في المواكب واللجان المسؤولة على توزيع الهبات، ونتيجة للتحولات المادية التي استجدت بدأت هذه المادة بالإتساع اي بالتوالد ومن ثم ما كانت المواد مقتصرة على الحاجات الاساسية بل شملت المواد الاشخاص أنفسهم ايضًا، لتُشكل ما يسمى بهيأة المواكب وهذه الهيأة تعددت فيها اشكال وانوع الهبات.

خلصت الدراسة الى وجود نوع آخر من الهبات تمثلت بتبرع الاموال كهبات، نتيجة التحولات التي طرأت على الجانب التكنولوجي التي حولت هذه المواد الخام الى أشكال عينية مقسمة الى فئات معدنية واخرى ورقية .

كما ظهرت الهبة بالقفة بعدما كانت مقتصرة على عائلات محددة لكن نتيجة التحولات التي طرأت على عاملي الزمان والمكان ونتيجة الظرفيات ظهرت اشكال اخرى للهبات تمثلت بالمواد كالحبوب والمواد الغذائية والفاكهة، اما على مستوى التكنولوجية فقد استجدت اشكال الهبات والتي ظهرت بأجهزة التبريد(المبردة) والمراوح والطباخات وغيرها من الاجهزة المنزلية.

توصلت الدراسة الى ان أصل عملية العطاء هي الارض، ومن ثم فإن هذه الأرض قد أكُتسبت هذه الصفة منها على ان الأساس في ذلك بيئي، لذلك ان أصل الهبات من العطاء والعطاء يرتكز على الأرض لتظهر الهبة بشكلها الآخر، ونتيجة للتغيرات التي أستجدت على المستوى البيئي، غيرت من جنس الارض بعدما كانت زراعية تتصف بالعموم والمشاع، لتصبح ارضاً سكنية تتصف بالملكية، وفي هذه الحالة اصبح الحساب والتعامل على أساس قيمة هذه الأرض، وبالرغم من تباين القيمات بين الأراضي، بمعنى ان قيمة الارض في مكان ما لا يكون مساويًا في منطقة آخرى، ومع هذا فأن لم يمنع من اقامة ذلك فقد بقت المسألة الاساسية هي:

انه من الممكن إقامة مجلس او موكب او مراسم او مركز صحي او مدرسة او حسينيات، وفي هذا المعنى ظهر لنا شكل آخر من اشكال الهبات .

بما ان الاساس الذي استند عليه منهج الدراسة هي البيئة، لذا فقد ظهرت لنا انواع أخرى من الهبات الا وهي خُطى الزائرين والتنقل من مكان الى آخر، والتي اكتسبت ظرفية الوقت والتغيرات المناخية من امطار وبرد وارتفاع في حرارة الشمس، وُظفت الارض لهذا الغرض والتي عُدت جزءاً من البيئة، ومن خلالها ظهرت لنا هذه الممارسات بنماذج أخرى من الهبات.

اما على مستوى الايكولوجيا فأن الاساس الذي شُيدت عليه المنطقة (مجتمع الدراسة) بعد ان كانت ارض زراعية والتي كانت الهبات فيها محددة ومقتصرة على فئات معينة، لكن من خلال التحولات التي استجدت على مستوى التكنولوجيا والاقتصاد تم تقسم منطقة الزعفرانية مجتمع الدراسة الى (٢٢) محلة او قطاعات موزعة منها محلات زوجية ومنها الفردية، والتي تُعد الايكولوجيا جزاءاً اساسياً للبيئة، ومن ثم لم تقتصر الهبات على فئة معينة او مكان محدد بل اتسعت وتنوعت اشكلها.

محطة اخرى برزّت فيها اشكال الهبات من خلال الخطوات او الخطى التي يتحرك بها الرجل والمرأة لجمع التبرعات التي كانت على اساس بيئي، وللمتبرع بالدم ايضًا عندما يبدأ بالتنقل من مكان سكناه الى ان يصل الى مركز التبرع بالدم، هذه كلها تُعد جزءاً من البيئة، لكن نتجة التحولات على المستوى التكنولوجي والتي طرأت على اشكال الهبات ظهرت فكرة قطع للمسافة والتي تُعد جزءاً من امتداد البيئة والتي من خلالها يهب المتبرع.

مسألة اخرى أرتبطت في عمليات التبرع بالمواد العينية وهذه المواد شملت التمر والرز وبعض الحبوب والفاكهة والخضروات التي كانت اساساً منحصرة على موسم معين في توزيعها، لكن بعد ان شملتها التحولات ظهرت اشكال اخرى للهبات تمثلت في مادة الخل المستعمل في الطبخ والطحين (الدقيق) والعصائر، ونتيجة التغير التكنولوجي على الاجزاء بدأ انتاج هذه المواد

على مدار السنة، اما على مستوى الارض وما بها من مزروعات وخضروات وحبوب اصبح هذا المنتوج يُحجز من ماليكها بإسم الإمام عليه السلام، وهذا جزء من عقيدة بعض الأفراد بمعنى ان كل واردات هذه الارض تتحول الى شكل من اشكال الهبات.

مصادر الدراسة

الأول: مراجع عامة

القرآن الكريم

١. اباالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج٦، ١٣٩٩ – ١٩٧٩.

٢. بيار بونت، ميشال ايزار، مُعجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة، مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنششر والتوزيع، مجد، الطبعة الثانية، ٢٠١١.

٣. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٤. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،١٩٩٩.

٥.شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثروبولوجيا، الطبعة الاولى،١٩٨١.

٦. الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط٢، (طهران: د/ت)، ١٩٦/٢٤.

٧. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٤، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،٢٠٠٥.

٨. موسوعة كمريدج في النقد الأدبي – القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية–تحرير: ك.نوريس، ج. أوزبورن، مراجعة واشراف: رضوى عاشور، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط ١، ٢٠٠٥.

٩. الموسوعة العربية، الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، المجلد الثالث.

الثاني: الكُتب

١. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، المكتبة العلمية –بيروت، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

٣. ابو بكر باقادر، انثروبولوجيا الاسلام، دار الهادي للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٥.

٤. ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الزمخشري، الكشاف، (طهران: د/ت)، ١٤٧/٣.

٥. احمد ابو زيد، (البناء الاجتماعي) ج٢، الأنساق، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة،١٩٦٧.

٦. احمد بدر،أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات للنشر،ط٦، بيروت،١٩٨٢

٧. انتوني جيدينز، علم الاجتماع، الطبعة التاسعة، دار نشر منوشهر صبوري، طهران ،٢٠٠٣.

٨. بدر الدين العينى الحنفى، عمدة القاري، ج١٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩. بدوي، السيد، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٧.

١٠. جون بيار اوليفي دي ساردون، الداخلي، ترجمة الحبيب درويش، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد١٩، المجلد الخامس،٢٠١٧.

١١. حسن، عبد الباسط محمد، اصول البحث الاجتماعي، ط٣، مكتبة الانكلو–المصرية ، القاهرة، ١٩٧١.

١٢. حسين، سعد عبد الرزاق، محاضرات في المنهج الاجتماعي، ، معهد الدراسات الاستراتيجية، ط١، ج١، بغداد، ٢٠٠٧.

١٣. حفناوي رشيد بعلي، مسارات في النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب عصر النهضة، دروب للنشر، عمان ط١.

١٤. زكي جمال السيد، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، ١٩٧٣.

١٥. صلاح مصطفى الفوال، البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية، دار الفكر العربية ، ١٩٧٤.

١٦. شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان، ترجمة علياء شكري واخرون، المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، مصر، ١٩٩٢.

١٧. طاهر حسو الزيبادري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، دار البيروني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦.

١٨. عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣.

١٩. عبد الله حبيب، سحر كاظم حمزة، سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ٢٢، العدد١، لسنة ٢٠١٤.

٢٠. عبد الله ظهري، التسويق عشق.متعة.ابداع، استاذ ادراة الاعمال جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٧.

٢١. عبد الوهاب بوحديبة، تطور مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠عدد ١، وزارة الاعلام، الكويت،١٩٨٩.

٢٢. فتحية محمد إبراهيم ، حمدي الشنواني: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان الأنثروبولوجيا، دار المريخ للنشر، الرياض .

٢٣. قيس النوري، الانثروبولوجيا الاقتصادية، الموصل، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩.

٢٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٣، ج١٩٢/٥، دار الكتب المصرية – القاهرة،١٩٦٤.

٢٥. كليفورد غيرتز، تاويل الثقافات، ترجمة د. محمد بدوي، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٢٦. ليونارد جاكسون، شكلان من المادية الثقافية، المادية في الانثروبولوجيا وفي الدراسات الثقافية، ترجمة، ثائر ديب، مجلة تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، العدد،١، ٢٠١٢.

٢٧. مارسيل موس، مقال في الهبة أشكال التبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه، ترجمة وتحقيق وتعليق، د. محمد الحاج سالم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٣.

٢٨. مارفن هاريس، الانثروبولوجيا الثقافية، ترجمة، د. السيد حامد، د. علية حسين، والسيد فارس، ط٣، دار الثقافة العربية، مصر،٢٠٠٦.

٢٩. مارفن هاريس، التحريم والتقديس: نشوء الثقافات والدول، ترجمة احمد م. احمد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، لبنان، ٢٠٢٠

٣٠. مارفن هاريس، مقدسات ومحرمات وحروب الغاز الثقافة، ترجمة، احمد م. احمد، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، لبنان، الطبعة الاولى،٢٠١٧.

٣١. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سير الأخبار، بيروت: ١٩٧٣، ٩٩/٦.

٣٢. محمد حسن الغامري، المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ب ت.١٩٩٨.

٣٣. مختار مروفل، الهدية والمبادلات الانسانية ونشأة الروابط الاجتماعية، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية،٢٠١٩.

٣٤. مصطفى إبراهيم عوض، دراسات حديثة في الأنثروبولوجيا البيئية، في الصحة والبيئة دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٢٠٠١.

٣٥. مصطفى بوجلال، مقياس العلاقات الاجتماعية في المؤسسة،جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،٢٠١٧.

٣٦. مور جيري، حياة وأفكار علماء الأنثروبولوجيا، هاشم أغابيجبور وجعفر أحمدي، منشورات طهران الاجتماعية،٢٠١٠.

٣٧. موريس غودولييه، لغز الهبة، ترجمة، د. رضوان ظاظا، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، لبنان،١٩٨٩.

٣٨. ناصر فاخو، تاريخ الأفكار ونظريات الأنثروبولوجيا، دار النشر طهران،٢٠٠٢.

٣٩. ياس خضر عباس العباسي، كليفورد جيرتز ومنهجية الوصف المكثف، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الآداب/جامعة بغداد، العدد١٨، لسنة ٢٠١٠.

الثالث: الاطاريح والرسائل العلمية

١. آمال شرايري، التبرع بالدم في الجزائر دراسة سوسيو–انثروبولوجية، دراسة ماجستير في علم اجتماع الصحة، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع،٢٠١٠–٢٠١١.

٢. إيمان علي مصطفى الخولي، الايكولوجية الثقافية–اسلوب منهجي، بحث في الانثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، جامعة بني سويف، قسم علم الاجتماع،٢٠٠٧.

٣. الهام عبد الواحد ناجي، الهبات والهدايا عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، قسم تاريخ اسلامي، كلية الآداب، جامعة بابل، ٢٠١٥.

٤. ربيع كمال كردي صالح، آدموند ليتش وإسهاماته في الانثروبولوجيا الاجتماعية، جامعة بني سويف، كلية الآداب، قسم الاجتماع،٢٠٠١.

٥. زهرة عباس، (الهدية في المجتمع الجزائري طبيعتها ودلالاتها الرمزية دراسة ميدانية بمنطقة تيارت) ٢٠١٨–٢٠١٩، جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع.

٦. السعيد صابر المصري، الانثروبولوجيا النقدية والتحولات النظرية والمنهجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،١٩٩٢.

٧. محمود محمد قاسم، تبادل الهدايا واثرها في عملية التفاعل الاجتماعي–دراسة انثروبولوجية في بلدة الطرة/ لواء الرمثا، جامعة اليرموك، الاردن،١٩٩٤.

٨. وجدان عبد الجبار حمدي النعيمي، الهبات والهدايا في العراق في العصر العباسي من القرن الرابع للهجرة إلى منتصف القرن السابع للهجرة ، قسم تاريخ اسلامي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

الرابع: المصادر الاجنبية

1. Alain Testart, "What is a gift?," HAU: Journal of Ethnographic Theory 3, no. (Spring 2013).
2. Alan Barnard, "Cultural Materialism", in Barnarde & J. Spencer, Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology, London, 1996.
3. Robertson ,Fabian Article publié le 28 juin, Moss, Philosophy of Giving,2017.
4. Frank W. Elwell. Article. By, Harris on the Universal Structure of Societies,2007.
5. Barfield, Thomas. Cultural Materialism. In: The Dictionary of Anthropology. Oxford: Blackwell1997.
6. Brenard, Cole, Language Dictionary, Vintage Book, New York,1985.
7. Ferrera, Rita Conversation with Antonio with Marvin Harris, January 7, 1956.

8. Wolf, Closed. Eric, Corporate Peasant Communties in Mesoameeica and Central Java, Southwestern Journal of Anthropology.

9. D.Moore, Jerry,Vision of Culture An Introduction to Anthropological Theories and Thoriste, Third Edition,New York, Toronto,UK,2009

10. Harris, Marvin. Cultural Materialism:The Struggle for a Science of Culture. New York: Random House, (1979).

11. Harris, Marvin. The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture. New York: Crowell,1968.

12. Harris, Marvin. Cultural Materialism. In: David Levinson & Melvin Amber (Eds.), Encyclopedia of Cultural Anthropology. New York: Henry Holt and Co, 1996.

13. Harris, Marvin, Theories of culture in postmodern times. Walnut Creek, California: AltaMira Press, 1999.

14. Harris Marvin, Our Kind: Who We Are, Where We Came From, and Where We Are Going. New York: HarperCollins, 1989.

15. Heston Alan et al. An Approach to the Sacred Cow of India, Current Anthropology, vol.12,1971.

16. Holmes, Janet, The role of compliments in female-male interaction. Using English: From conversation to canon. ed. by Janet Maybin and Neil Mercer. London: Open University1987.

17. Korom, Frank J. Holy Cow, The Apotheosis of Zebu, or Why the Cow is Sacred in India. *Asian Folklore Studies*, 2000.

18. Kenneth E. Lloyd, Behavioral Anthropology: A Reviw of Marvin Harris',Cultural Materialsm,1985.

19. Lorenzo Macagno, The birth of cultural materialism? Debate between Marvin Harris and Antonio Rita Ferrara, Department of Anthropology, Federal University of Paraná, Curitiba/PR, Brazil, vol.13 no.1 Brasília Jan./June 2016.

20. Mauss, Marcel, The Gift, Trance.I. Cunnison, New York, The free Press, 1954.

21. E. Stone. Micheel.' Judaism at the Time of Christ.' Scientific American, January 1973.

22. Moore, Jerry, "Marvin Harris: Cultural Materialism", Visions of Culture: An Introduction to Anthropological Theories and Theorists (2nd ed.) California ,2004.

23. Parry, Jonathan "The Gift, the Indian Gift and the 'Indian Gift'". Man, (1986).

24. Raymond E. Crist, Sugar Cane and Coffee in Puerto Rico, Published By: Duke University Press, Vol. 33, No. 2 (May, 1953).

25. Robert. Feleppa, Emics, Etics and Social Objectivity current Anthropology Vol. 27, No. 3, June 1986.

26. Roseberry, William. Marx and Anthropology. Annual Review of Anthorpology ,1997.

27. Sahlins, Marshall Stone Age Economics. Chicago: Aldine-Atherton, (1972).

28. Burge, Tyler, CONCEPTS, DEFINITIONS, AND MEANING, October 1993.

29. William B. Gudykunst, Communication in Personal Relationships across Cultures, New Delhi, 1996.

مواقع الانترنت

1. https://slidetodoc.com/harris-cultural-materialism-by-dr-frank-elwell-cultural/.

2. https://slidetodoc.com/harris-cultural-materialism-by-dr-frank-elwell-cultural/.

3. https://www.cgie.org.ir/fa/news/127453/%D9%85%D8%A7%D8%AA%D8%

Abstract

Abstract

The study focused on material gifts in kind according to the cultural materialism approach, which was based on knowledge of the physical characteristics and qualities of the gifts and the mechanism that depends on their distribution. Thus, the study tried to uncover the culture of society, which is almost hidden and unclear.

The study was organized into two chapters. The first included the theoretical side, and the second chapter moved towards field field work in the city of Baghdad, which the researcher focused on the Zafaraniya area.

The first chapter directed towards introducing the subject of the study and clarifying the questions that are the goals that the study aims to achieve and showing the importance of the topic and its three areas (temporal, spatial and human) with a first topic, and then heading in the second topic towards introducing the basic concepts of the topic, and then heading to the third topic which It includes a systematic review of the concepts or a reading of the concepts adopted by the study.

In order to complete the field of study, the second chapter was devoted in the directions of the study towards presenting a group of studies that discussed the topic of donations according to several specializations, while the third chapter went towards theoretical guidelines in cultural materialism, as it tended towards presenting the theoretical material adopted by the study, as the study used the methodology The cultural materialism of the American anthropologist Marvin Harris, in which he explains cultural similarities and differences, as well as models for cultural change in a societal context, is also a scientific research strategy that gives priority to physical, behavioral and other processes in explaining the development of human social-cultural systems.

Abstract

The fourth chapter on (the field of study) includes the process of intensive description of various forms of the donation process that the actors accomplished in narrative language, as the appropriate method for monitoring the giving process.

As for the fifth chapter, it went towards analyzing the study and focused on unpacking data from the field study on the basis of the variables emphasized by cultural materialism represented by the economic, technological and environmental aspect.

While the study concluded through discussion of its topics with a conclusion that showed the most important results of the study, what was discussed, and how it can benefit from its data, hopefully the study provided the library and the reader with a local study that is one of the basic building blocks of the subject of in-kind donations.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Qadisiyah
College of Art
Department of Sociology

In-kind donations in the city of Baghdad

An anthropological study in cultural materialism

A Thesis Submitted by

Hayder Ali Hasan

To the council of College of Arts / University of **Qadisiyah** *As a partial fulfillment to the Requirements of Master PhD Degree in In Anthropology.*

Supervised by
Prof. Dr.. Basma Rahman Odeh

1443 A.H *Baghdad* ***2021 A.D***